كتاب الاعتبار

لابن منقذ

وهو مؤيّد الدولة ابو المظفّر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى
المعروف بابن منقذ

وقد اعتنى بتصحيحه

العبد الفقير الى رحمة ربّه

هرتويغ درنبرغ

طبع
فى مدينة ليدن المحروسه
بمطبع بريل
سنة ١٨٨٤ المسيحية



كتاب الاعتبار
لابن منقذ

. . . .

. . . .

علم بكرّ القتل فى ذلك المصافّ فى المسلمين كثيرا وكان وصل
من الامام الراشد بن المسترشد بالله رحمهما الله ابن بشر رسولا الى اتابك
يستدعيه فحضر ذلك المصافّ وعليه جوشن مذهّب فطعنه فارس من
الافرنج يقال له ابن الدقيق فى صدره اخرج الرمح من ظهره رحمه الله
بل قُتل من الافرنج خلق كثير وامر اتابك رحمه الله فجُمعت رؤوسهم
فى حقل مقابل للحصن فكانت قدر ثلاثة الاف رأس، ثم ان ملك الروم
عاد خرج الى البلاد فى سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة واتّفق هو
والافرنج خذلهم الله واجمعوا على قصد شيزر ومنازلها فقال لى صلاح
الدين ما ترى 1) ما فعله هذا الولد المتّكل يعنى ابنه شهاب الدين
احمد قلت واىّ شىء فعل قال انفذ الىّ يقول ابصرْ من يتولّى بلدك
قلت واىّ شىء عملتَ قال نفّذتُ الى اتابك اقول تسلَّمْ موضعك قلت
بئس ما فعلت ما يقول لك اتابك لمّا كانت لحمٌ اكلها ولمّا صارت عظم
رماها علىّ قال فاىّ شىء اعمل قلت انا اجلس فيها فان سلّم الله تعالى
كان بسعادتك ويكون وجهك ابيض عند صاحبك وان أُخذَ الموضع

1) Mot douteux. A cet endroit s'étend en diagonale une tache qui a ici son point culminant.

وقتلنا كان بآجالنا وانت معذور قال ما قال لى هذا القول احد غيرك وتوهّمتُ انه يفعل ذلك فحفلتُ الغنم والدقيق الكثير والسمن وما نحتاجه لنحاصَر فانا فى دارى المغرب ورسوله جاءنى قال يقول لك صلاح الدين نحن بعد غد سائرون الى الموصل فاعملْ شغلك للمسير فورد على قلبى من هذا همّ عظيم وقلت اترك اولادى واخوتى واهلى فى الحصار واسير الى الموصل فاصبحت ركبت اليه وهو فى 1) الخيام استأذنته فى الرواح الى شيزر لا حصر لى منه فقال حاجّ اليه فى الطرف اهلك 2) لا تبطئ فركبت ومضيت الى شيزر فبدا منه ما 3) اوحش قلبى وعرك ابنى فنازل فنغذ الى دارىّ فرفع كلّ ما فيها من الخيام والسلاح والرحل وقبض على امر احبّتى 4) وتتبّع اصحابى فكانت نكبة كبيرة رائعة فاقتضت الحال مسيرى الى دمشق ورسل اتابك تتردّد فى طلبى 5) الى صاحب دمشق فاقمت فيها ثمانى سنين وشهدت فيها عدّة حروب واجزل لى صاحبها رحمه الله العطيّة والاقطاع وميّزنى بالتقريب والاكرام يضاف ذلك الى اشتمال الامير معين الدين رحمه الله علىّ وملازمتى له ورعايته لاسبابى ثم جرت اسباب اوجبت مسيرى الى مصر فضاع من حوائج دارى وسلاحى ما لم اقدر على حمله وفرطت فى املاكى ما كان نكبة اخرى كلّ ذلك والامير معين الدين رحمه الله محسن مجمل كثير التأسّف على مفارقتى مقرّ بالعجز عن امرى حتى انه انفذ الىّ كاتبه للحاجب

1) Restitué par conjecture.

2) Ce mot et les quatre précédents sont à peu-près illisibles dans le manuscrit. Je ne réponds pas du texte.

3) Tout ce qui suit ما jusqu'à فنازل est du domaine de l'hypothèse.

4) Les deux mots امر احبّتى sont douteux.

5) Le manuscrit est ici fort endommagé. Peut-être, au lieu de طلبى, convient-il de lire ذمّى ou لحمى. Si les mots sont douteux, le sens l'est moins.

محمود المسترشدى رحمه الله قال والله لو ان معى نصف الناس لضربت بهم النصف الاخر ولو ان معى ثلثهم لضربت بهم الثلثين وما فارقتك تلك الناس كلّهم قد تمالوا علىّ وما لى بهم طاقة وحيث كنت فالذى نشأ من المودّة على احسن حاله ففى ذلك اقول [من الوافر]

معينَ الدين كم لك طوقُ منّ ... بجيدى مثل أطواق الحمام
يُعبّدنى لك الاحسانُ طوْعًا ... وفى الاحسان رِقٌّ للكرام
فصار الى مودّتك انتسابى ... وان كنتُ العظامىَّ العصامى
الم تعلم بانّى لانتمائى ... اليك رمى سوادى كلُّ رام
ولولا انتَ لم يُصْحِبْ شِماسى ... لِقَسْرٍ دونْ اعْذارِ الحُسامِ
ولكن خفتُ من نار الأعادى ... عليك فكنتُ اطفاء الضِّرام

فكان وصولى الى مصر يوم الخميس الثانى من جمادى الاخرة سنة تسع وثلثين وخمس مائة فاقرنى 1) للحافظ لدين الله ساعة وصولى فخلع علىّ بين يديه ودفع لى تخت ثياب ومائة دينار واعطانى 2) دخول الحمّام وانزلنى فى دار من دور الافضل بن امير الجيوش فى غاية الحسن وفيها بُسُطها وفُرُشها ومرتبة كبيرة وآلها من النحاس كلّ ذلك لا يُستعاد منه شىء واقمت بها مدّة اقامة فى اكرام واحرام وانعام متواصل واقطاع زاج فوقع بين السودان وهم فى خلق عظيم شرٌّ وخُلف بين الرّيحانيّة وهم عبيد للحافظ وبين الجيوشيّة والاسكندرانيّة والفرجيّة فكان الريحانيّة فى جانب وهاولاء كلّهم فى جانب متّفقين على الريحانيّة وانضاف الى الجيوشيّة قوم من صبيان الخاصّ فاجتمع من الفريقين خلق عظيم وغلب عنهم للحافظ وتردّدت اليهم رسله وحرص على ان يُصلح بينهم فما اجابوا الى ذلك وهم معه فى جانب البلد فاصبحوا التقوا فى القاهرة فاستظهرت الجيوشيّة واصحابها على الريحانيّة فقُتلت منهم فى

1) Lecture incertaine; peut-être فاحضرنى.

2) Impossible de lire avec certitude.

سُوَيْقة امير الجيوش الف رجل حتى شدّوا (1) السويقة ونحن نبيت ونصبح بالسلاح خوفا من ميلهم علينا فقد كانوا فعلوا ذلك قبل طلوعى الى مصر وظنّ الناس لمّا قُتل الزنجانيّة ان الحافظ ينكر ذلك ويوقع بقاتليهم وكان مريضا على شفى فمات رحمه الله بعد يومين وما انتطح فيها عنزان وجلس بعده الظافر بامر الله وهو اصغر اولاده واستوزر نجم الدين بن مصّال وكان شيخا كبيرا والامير سيف الدين ابو الحسن على بن السلّار رحمه الله اذذاك فى ولاية فحشد وجمع وسار الى القاهرة ونفذ الى داره فجمع الظافر بامر الله الامراء فى مجلس الوزارة ونفّذ الينا زمام القصور يقول يا امراء هذا نجم الدين وزيرى ونائبى فمن كان يطيعنى فليطعه ويمتثل امره فقال الامراء نحن مماليك مولانا سامعون مطيعون فرجع الزمام بهذا الجواب فقال امير من الامراء شيخ يقال له لكرون يا امراء نترك على بن السلّار يُقتَل قالوا لا والله قال فقوموا فنفروا كلّهم وخرجوا من القصر شدّوا على خيلهم وبغالهم وخرجوا الى معونة سيف الدين بن السلّار فلمّا رأى الظافر ذلك وغلب عن دفعه اعطى نجم الدين بن مصّال مالا كثيرا وقال اخرجْ الى الحوف اجمع واحشد وانفق فيهم وادفع ابن السلّار فخرج لذلك ودخل ابن السلّار القاهرة ودخل دار الوزارة واتّفق الجند على طاعته واحسن اليهم وامرنى ان ابيت انا واصحابى فى داره وافرد لى موضعا فى الدار اكون فيه وابن مصّال فى الحوف قد جمع من لواتة ومن جند مصر ومن السودان والعربان خلقا كثيرا وقد خرج عبّاس ركن الدين وهو ابن امرأة على بنْ السلّار وضرب خيمه فى ظاهر مصر فغدتْ سرية من لواتة ومعهم نسيب لابن مصّال وقصدوا مخيم عبّاس فانهزم عنه جماعة من المصريين. ووقف هو وغلمانه ومن صبر معه من الجند ليلة محايصتهم (2) وبلغ

1) Mot douteux.
2) Lecture incertaine.

الخبر الى ابن السلّار فاستدعانى فى الليل وانا معه فى الدار وقال هاولاء الكلاب يعنى جند مصر قد شغلوا الامير يعنى عبّاسا بالقوارع حتى عدا اليه قوم من لواتة سباحة فانهزموا عنه ودخل بعضهم الى بيوتهم بالقاهرة والامير مواقفهم قلت يا مولاى نركب اليهم فى سحر وما يضحى النهار الّا وقد فرغنا معهم ان شاء الله تعالى قال صواب ابكرْ فى ركوبك فخرجنا اليهم من بكرة فلم يسلم منهم الّا من سبحت به فرسُه فى النيل وأُخذ نسيب ابن مصّال ضُرب رقبته وجميع العسكر مع عبّاس وسيّره الى ابن مصّال فلقيه على دلاص فكسرهم وقُتل ابن مصّال وقُتل من السودان وغيرهم سبعة عشر الف رجل وحملوا رأس ابن مصّال الى القاهرة ولم يبق لسيف الدين من تعانده ولا تشاقعه وخلع عليه الظافر خلع الوزارة ولقّبه الملك العادل وتولّى الامور كلّ ذلك والظافر منحرف عنه كاره له مضمر له الشرّ فعمل على قتله وقرّر مع جماعة من صبيان الخاصّ وغيرهم ممن اساء لهم واتّفق فيهم ان يهجموا داره ويقتلوه وكان شهر رمضان والقوم قد اجتمعوا فى دار بالقرب من دار الملك العادل ينتظرون توسّط الليل وافتراق اصحاب العادل وانا تلك الليلة عنده فلمّا فرغ الناس من العشاء وافترقوا وقد بلغه الخبر من بعض المعاجلين عليه احضر رجلين من غلمانه وامرهم ان يهجموا عليهم الدار التى هم فيها مجتمعون وكانت الدار لما اراده الله من سلامة بعضهم لها بابان الواحد قريب من دار العادل والاخر بعيد فهجمت الفرقة الواحدة من الباب القريب قبل وصول اصحابهم الى الباب الاخر فانهزموا وخرجوا من ذلك الباب وجاءنى منهم فى الليل من صبيان الخاصّ نحو عشرة رجال كانوا اصدقاء غلمانى تخبّوهم واصبح البلد فيه الطلب لاولئك المنهزمين ومن ظُفر به منهم قُتل . وعجبتُ ما رأيت فى ذلك اليوم ان رجلا من السودان الذين كانوا فى العملة انهزم الى علوّ دارى والرجال بالسيوف خلفه فاشرف على القاعة من ارتفاع عظيم وفى

الدار شجرة نبق كبيرة فقفز من السطح الى تلك الشجرة فثبت عليها ثم نزل ودخل من كمّ مجلس قريب منه فوطئ على منارة نحاس فكسرها ودخل الى خلف رحل فى المجلس اختبى فيه واشرف اولئك الذين كانوا خلفه فصحت عليهم واطلعت اليهم الغلمان دفعوهم ودخلت الى ذلك الاسود فنزع كساء كان عليه وقال خذه لك قلت اكثر الله خيرك ما احتاجه واخرجته وسيّرت معه قوما من غلمانى فنجا وجلست فى صفّة فى دهليز دارى فدخل علىّ شابّ سلّم وجلس فرأيته حسن الحديث حسن المحاضرة هو يتحدّث وانسان استدعاه فمضى معه ونفّذت خلفه غلاما يبصر لما ذا استدعى وكنت بالقرب من دار العادل فساعة ما حضر ذلك الشابّ بين يدى العادل امر بضرب رقبته فقتل وعاد الغلام وقد استخبر عن ذنبه فقيل له كان يزوّر التواقيع فسبحان مقدّر الاعمار وموقّت الآجال وقتل فى الفتنة جماعة من المصريين والسودان وتقدّم الىّ الملك العادل رحمه الله بالتجهّز للمسير الى الملك العادل نور الدين رحمه الله وقال تأخذ معك مالا وتمضى اليه لينازل طبريّة ويشغل الفرنج عنّا لنخرج من هاهنا نخرّب غزّة وكان الافرنج خذلهم الله قد شرعوا فى عمارة غزّة ليحاصروا عسقلان قلت يا مولاى فان اعتذر او كان له من الاشغال ما يعوقه اىّ شىء تأمرنى قال ان نزل على طبريّة فاعطه المال الذى معك وان كان له مانع فديوّن من قدرت عليه من الجند واطلع الى عسقلان اقم بها فى قتال الافرنج واكتب الىّ بوصولك لامرك بما تعمل ودفع الىّ ستّة الف[1] دينار مصريّة وحمل حمل ثياب دبيقى وسقلاطون ومستجب ودمياطى وعمائم ورتّب معى قوما من العرب ادلّاء وسرت وقد ازاح علّة سفرى بكلّ ما احتاجه من كثير وقليل فلمّا دنونا من الجفْر قال لى

1) *Sic.* Correctement il faudrait lire ستّة الاف, cf. p. ٣, l. 10 d'une part, d'autre part p. ٩, l. 20.

الادلّاء هذا مكان لا يكاد يخلو من الافرنج فامرتُ اثنين من الادلّاء ركبا مهريّين وسارا قدّامنا الى الجفر فما البثا أن عادا والمهاريٌّ تطير بهما وقالا الفرنج على الجفر فوقفتُ وجمعت الجمال التى عليها ثِقلى ورقاقا من السقّارة كانوا معى ورددتهم الى العرب ونَدبتُ ستّة فوارس من مماليكى وقلت تقدّموا وانا فى اثركم فساروا يركضون وانا اسير خلفهم فعاد الىّ واحد منهم وقال ما على الجفر احد ولعلّهم ابصروا غربان 1) وتنازع هو والادلّاء فنفّذتُ من ردّ الجمال وسرت فلمّا وصلت الجفر وفيه مياه وعشب وشجر فقام من ذلك العشب رجل عليه ثوب اسود فاخذناه وتفرّق اصحابى فاخذوا رجلا اخرّ وامرأتين وصبيان 2) فجاءت امرأة منهن مسكت ثوبى وقالت يا شيخ انا فى حسبك قلت انت آمنة ما لك قالت قد اخذ اصحابك لى ثوبا وناقا وناجا وخرزة قلت لغلمانى من كان اخذ شيءا يردّه فاحضر غلام قطعة كساء لعلّ طول ذراعين قالت هذا الثوب واحضر اخر قطعة سندروس قالت هذه الخرزة قلت فالحمار والكلب قالوا الحمار قد ربطوا يديه ورجليه وهو مرمىّ فى العشب والكلب مقلوب يعدو من مكان الى مكان فجمعتهم ورأيت بهم من الضُّرّ امرا عظيما قد يبست جلودُهم على عظامهم قلت ايش انتم قالوا نحن من بنى أُبَىّ وبنو أُبَىّ فرقة من العرب من طىّء لا يأكلون الّا المَيْتة ويقولون نحن خير العرب ما فينا مجذوم ولا ابرص ولا زمن ولا اعمى واذا نزل بهم الضيف ذبحوا له واطعموه من غير طعامهم قلت ما جاء بكم الى هاهنا قالوا لنا بحِسْمَى كثول ذرة مطمورة جئنا نأخذها قلت وكم لكم هنا قالوا من عيد رمضان انّا هاهنا ما رأينا الزاد باعيننا قلت فمن اين تعيشون قالوا من الرِّمّة

---

1) Grammaticalement, il faudrait lire غربانا.
2) Il serait plus correct de lire وصبيانا.

يعنون العظام البالية الملقاة فندقّها ونجعل عليها الماء وورق القطف شجر بتلك الارض وننقوّت به قلت فكلابكم وحُمركم قالوا الكلاب نُطعمهم من عيشنا والحمر تأكل الحشيش قلت فلم لا دخلتم الى دمشق قالوا خفنا الوبأ ولا وبأ اعظم مما كانوا فيه وكان ذلك بعد عيد الاضحى فوقفت حتى جاءت الجمال واعطيتهم من الزاد الذى كان معنا وقطعت فوطة كانت على رأسى اعطيتها للمرءتين 1) فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد وقلت لا تقيموا هاهنا يسبوكم الافرنج، ومن طريف ما جرى لى فى الطريق اننى نزلت ليلة اصلّى المغرب والعشاء قصرا وجمعا 2) وسارت الجمال فوقفت على رفعة من الارض وقلت للغلمان تفرّقوا فى طلب الجمال وعودوا الىّ فانا ما ازول من مكانى فتفرّقوا وركضوا كذا وكذا فما رأوهم فعادوا كلّهم الىّ وقالوا ما لقيناهم ولا ندرى كيف مضوا فقلت نستعين بالله تعالى ونسير على النوء فسرنا ونحن قد اشرفنا من انفرادنا عن الجمال فى البرّيّة على امر صعب وفى الادلّاء رجل يقال له جرّيّة 3) فيه يقظة وفطنة فلمّا استبطأنا علم انّا قد تُهنا عنهم فاخرج قدّاحة وجعل يقدح وهو على الجمل والشرار من الزند يتفرّق كذا وكذا فرأيناه على البعد فقصدنا النار حتى لحقناهم ولولا لطف الله وما الهمه ذلك الرجل كنّا هلكنا، ومما جرى لى فى تلك الطريق ان الملك العادل رحمه الله قال لى لا يعلم الادلّاء الذين معك بالمال فجعلت اربعة الف 4) دينار فى خُرج على بغل سروجىّ مجنوب معى وسلّمته الى غلام وجعلت الفى دينار ونفقة لى وسرفسار 5) ودنانير مغربيّة فى

---

1) Ms.: للمرئس.

2) La lecture n'est pas certaine.

3) Ms.: جريّه.

4) *Sic*. Grammaticalement, il faudrait lire الاف; cf. p. ٢, l. 10 d'une part, d'autre part p. ٧, l. 21.

5) وسرفسار et ce qui suit est douteux.

خرج على حصان مجنوب معى وسلّمته الى غلام فكنت اذا نزلت جعلت الأخراج فى وسط بساطٍ ورددتُّ طرفيه عليها وبسطت فوقه بساطا 1) اخر وانام على الاخراج واقوم وقت الرحيل قبل اصحابى يجىء الغلامان اللذان معهما الخرجان فيتسلّمانهما فاذا شدّاهما على الجنائب ركبت وايقظت اصحابى وتهمّمنا بالرحيل فنزلنا ليلة فى تيه بنى اسرائل فلمّا قمت للرحيل جآء الغلام الذى معه البغل المجنوب اخذ الخرج وطرحه على وركى البغل ودار يريد يشدّه بالسموط فزلّ البغل وخرج يركض وعليه الخرج فركبتُ حصانى وقد قدّمه الركابىّ وقلت لواحد من غلمانى اركب وركضت خلف البغل فما لحقته وهو كانه حمار وحش وحصانى قد اعيى من الطريق ولحقنى الغلام فقلت اتبع البغل كذا فمضى وقال والله يا مولاى ما رأيت البغل ولقيت هذا الخرج قد شلّته فقلت للخرج كنت اطلب والبغل اهون مفقود ورجعت الى المنزلة واذا البغل قد جاء يركض دخل فى طُوالة الخيل ووقف مكانه ما كان قصده الّا تضييع اربعة الف 2) دينار، ووصلنا فى طريقنا الى بصرى فوجدنا الملك العادل نور الدين رحمه الله على دمشق وقد وصل الى بصرى الامير اسد الدين شيركوه رحمه الله فسرت معه الى العسكر فوصلته ليلة الاثنين واصبحت تحدّثت مع نور الدين بما جئت به فقال لى يا فلان اهل دمشق اعداء والافرنج اعداء ما آمن منهما اذا دخلت بينهما قلتُ له فتأذن لى ان أُدَيْوِنَ من محرومى الجند قوما آخذُهم وارجع وتُنفذ معى رجلا من اصحابك فى ثلثين فارسا ليكون الاسم لك قال افعلْ فدَيْونتُ الى الاثنين الاخر ثمان 3) مائة وستّين فارسا واخذتُهم وسرت فى وسط بلاد الافرنج ننزل بالبوقّ ونرحل بالبوق 4) وسيّر

1) Ms.: بساطٌ.
2) *Sic*. Grammaticalement, il faudrait lire الاف.
3) *Sic*. Grammaticalement, il faudrait lire ثمانى.
4) Ms.: نىرل نالىوف ونرحل نالىوف.

معى نور الدين الامير عين الدولة الياروقى فى ثلثين فارسا فاجتزت فى طريقى بالكهف والرقيم فنزلت فيه ودخلت صلّيت فى المسجد ولم ادخل فى ذلك المضيق الذى فيه فجاء امير من الاتراك الذين كانوا معى يقال له برشك 1) يريد الدخول فى ذلك الشقّ الضيّق قلت اىّ شىء تعمل فى هذا صلّ برّا قال لا اله الّا الله باحرام راحتى لا ادخل فى ذلك الشقّ الضيّق قلت اىّ شىء تقول قال هذا الموضع ما يدخل فيه ولد زنا ما يستطيع الدخول فاوجب قوله أن قمت دخلت فى ذلك الموضع صلّيت وخرجت وانا الله يعلم ما اصدّق ما قاله وجاء اكثر العسكر فدخلوا وصلّوا ومعى فى الجند براق 2) الزبيدى معه عبد له اسود ديّن كثير الصلاة ادقّ ما يكون من الرجال وانحفهم فجاء الى ذلك الموضع وحرص بكلّ حرص على الدخول فما قدر يدخل فبكى المسكين وتوجّع وتحسّر وعاد بعد الغلبة عن الدخول فلمّا وصلنا عسقلان سحر ووضعنا اثقالنا عند المصلّى صبّحونا الافرنج عند طلوع الشمس فخرج الينا ناصر الدولة ياقوت والى عسقلان فقال ارفعوا ارفعوا اثقالكم قلت تخاف لا يغلبونا الافرنج عليها قال نعم قلت لا تخف هم يرونا فى البرّيّة ويعارضونا الى ان وصلنا عسقلان ما خفناهم نخافهم الان ونحن عند مدينتنا ثمّ ان الافرنج وقفوا على بُعْد ساعةً ثمّ رجعوا الى بلادهم جمعوا لنا وجاءونا بالفارس والراجل والخيم يريدون منازلة عسقلان فخرجنا اليهم وقد خرج راجل عسقلان فدرتُ على سرب الرجّالة وقلت يا اصحابنا ارجعوا الى سوركم ودعونا وايّاهم فان نصرنا عليهم فانتم تلحقونا وان نصروا علينا كنتم انتم سالمين عند سوركم فامتنعوا من الرجوع فتركتهم ومضيت الى الافرنج وقد حطّوا خيامهم ليضربوها فاختلطنا بهم واعجلناهم عن طىّ خيامهم فرموها كما هى

1) Ms. برشك.
2) Ms. براق.

منشورة وساروا راجعين فلمّا انفسحوا عن البلد تبعهم من المستولبين 1)
اقوام ما عندهم منعة ولا غناء فرجع الافرنج حملوا على اولئك فقتلوا
منهم نفرا فانهزمت الرجّالة الذين ردتهم فما رجعوا ورموا تراسهم ولقينا
الافرنج فرددناهم ومضوا عائدين الى بلادهم وهي قريبة من عسقلان وعاد
الذين انهزموا من الرجّالة يتلاومون وقالوا كان ابن منقذ اخبر منا
قال لنا ارجعوا ما فعلناه حتى انهزمنا وافتضحنا   وكان اخي عزّ الدولة
ابو الحسن على رحمه الله في جملة من سار معي من دمشق هو
واصحابه الى عسقلان وكان رحمه الله من فرسان المسلمين يقاتل للدين
لا للدنيا فخرجنا يوما من عسقلان نريد الغارة على بيت جبريل
وقتالها فوصلناها وقاتلناهم ورأيت عند رجوعنا على البلد علّة كبيرة
فوقفت في اصحابي وقدحنا نارا وطرحناها في البيادر وصرنا ننتقل من
موضع الى موضع ومضى العسكر تقدّمني فاجتمع الافرنج لعنهم الله من
تلك الحصون وهي كلّها متقاربة وفيها خيل كثيرة للافرنج لمغاداة
عسقلان ومراوحتها وخرجوا على اصحابنا فجاءني فارس منهم يركض وقال
قد جاء الافرنج فسرت الى اصحابنا وقد وصلهم اوائل الفرنج وهم
لعنهم الله اكبر الناس احترازا في الحرب فصعدوا على رابية وقفوا عليها
وصعدنا نحن على رابية مقابلهم وبين الرابيتين فضاء اصحابنا المنقطعون
واصحاب الجنائب عبور تحتهم لا ينزل اليهم منهم فارس خوفا من كمين
او مكيدة ولو نزلوا اخذوهم عن اخرهم ونحن مقابلهم في قلّة وعسكرنا
قد تقدّمنا منهزمين وما زال الافرنج وقوفا على تلك الرابية الى ان
انقطع عبور اصحابنا ثم ساروا الينا فاندفعنا بين ايديهم والقتال بيننا
لا يجدّون في طلبنا ومن وقف فرسه قتلوه ومن وقع اخذوه ثم
عادوا عنّا   وقدّر الله سبحانه لنا بالسلامة باحترازهم ولو كنّا في عددهم

1) Mot douteux, en partie effacé dans le manuscrit.

ونصرنا عليهم كما نصروا علينا كنّا افنيناهم فاقمت بعسقلان لمحاربة الافرنج اربعة اشهر هاجمنا فيها مدينة يُبْنَى1) وقتلنا فيها نحو مائة نفس وأخذنا منها اسارى وجاءنى بعد هذه المدّة كتاب الملك العادل رحمه الله يستدعينى فسرت الى مصر وبقى اخى عزّ الدولة ابو الحسن علىّ رحمه الله بعسقلان فخرج عسكرها الى قتال غزّة فاستُشهد رحمه الله وكان من علماء المسلمين وفرسانهم وعُبّادهم، وامّا الفتنة التى قُتل فيها الملك العادل بن السلّار رحمه الله فانه كان جهّز عسكرا الى بلبيس ومقدّمه ابن امرأته ركن الدين عبّاس بن ابى الفتوح بن تميم ابن باديس لحفظ البلاد من الافرنج ومعه ولده ناصر الدين نصر بن عبّاس رحمه الله فاقام مع ابيه فى العسكر ايّاما ثم دخل الى القاهرة بغير اذن من العادل ولا دستور فانكر عليه ذلك وامره بالرجوع الى العسكر وهو يظنّ انه دخل القاهرة للّعب والفرجة وللضجر من المقام فى العسكر وابن عبّاس قد رتّب امره مع الظافر ورتّب معه قوما من غلمانه يهجم بهم على العادل فى داره اذا أُبرد فى دار الحَرَم ونام فيقتله وقرّر مع استاذ من استاذى دار العادل ان يُعلمه اذا نام وصاحبة الدار امرأة العادل جدّته فهو يدخل اليها بغير استئذان فلمّا نام العادل اعلمه ذلك الاستاذ بنومه فهاجم عليه فى البيت الذى هو نائم فيه ومعه ستّة نفر من غلمانه فقتلوه رحمه الله وقطع رأسه وحمله الى الظافر وذلك فى يوم الخميس السادس من المحرّم سنة ثمان واربعين وخمس مائة وفى دار العادل من مماليكه واصحاب النوبة نحو من الف رجل لكنهم فى دار السلام وهو قُتل فى دار الحرم فخرجوا من الدار ووقع القتال بينهم وبين اصحاب الظافر وابن عبّاس الى ان رفع رأس العادل على رمح فساعة ما رأوه انقسموا فرقتين فرقة خرجت

1) Ms.: ىىىا.

من باب القاهرة الى عبّاس لخدمته وطاعته وفرقة رمت السلاح وجاءوا الى بين يدى نصر بن عبّاس قبّلوا الارض ووقفوا فى خدمته واصبح والده عبّاس دخل القاهرة وجلس فى دار الوزارة وخلع عليه الظافر وفوّض اليه الامر وابنه نصر مخالطه ومعاشره وابوه عبّاس كارهٌ لذلك مستوحش من ابنه لعلمه بمذهب القوم فى ضربهم بعض الناس ببعض حتى يُفنوهم ويحوزوا كلّما لهم حتى يتفانوا فاحضرانى ليلة وهما فى خلوة يتعاتبان وعبّاس يردّد عليه الكلام وابنه مطرق كانه نمر يردّ عليه كلمة بعد كلمة يشتاط منها عبّاس ويزيد فى لومه وتأنيبه فقلت لعبّاس يا مولاى الافضل كم تلوم مولاى ناصر الدين وتوبّخه وهو ساكت اجعل الملامة لى فانا معه فى كلّ ما يعمله ما أتبرّأ من خطاه ولا صوابه اىّ شىء هو ذنبه ما اساء الى احد من اصحابك ولا فرّط فى شىء من مالك ولا قدح فى دولتك خاطرٌ بنفسه حتى نلتَ هذه المنزلة فما يستوجب منك اللائمة فامسك عنه والده ورعى لى ابنُه ذلك وشرع الظافر مع ابن عبّاس فى حمله على قتل ابيه ويصير فى الوزارة مكانه وواصله بالعطايا الجزيلة فحضرتُه يوما وقد ارسل اليه عشرين صينيّة فضّة فيها عشرون الف دينار ثم اغفله ايّاما وحمل اليه من الكسوات من كلّ نوع ما لا رأيت مثله مجتمعا قبله واغفله ايّاما وبعث اليه خمسين صينيّة فضّة فيها خمسون الف دينار واغفله ايّاما وبعث اليه ثلثين بغل رحل واربعين جملا بعددها وغرائرها وحبالها وكان يتردّد بينهما رجل يقال له مرتفع بن فحل وانا مع ابن عبّاس لا يفسح لى فى الغيبة عنه ليلا ولا نهارا انام ورأسى على رأس مخدّته فكنت عنده ليلة وهو فى دار الشابورة 1) وقد جاء مرتفع بن فحل فتحدّث معه الى ثلث الليل وانا معتزل عنهما ثم انصرف فاستدعانى وقال اين

1) *Sic.* Il faut probablement lire الباشورة.

انت قلت عند الطاقة اقرأ القرآن فانى اليوم ما تفرّغت اقرأ فابتدأ يفاتحنى بشىء مما كانا فيه ليبصر ما عندى فى ذلك ويريد بى اقوى عزمه على سوء ما قد حمله عليه الظافر فقلت يا مولاى لا يستزلّنك الشيطان وتنخدع لمن يغرّك فما قتلُ والدك مثل قتل العادل فلا تفعل شيئا تُلعن عليه الى يوم القيامة فاطرق وقاطعنى الحديث ونمنا فأطلع والده على الامر فلاطفه واستماله وقرّر معه قتل الظافر وكانا يخرجان فى الليل متنكّرين وهما اتراب وسنّهما واحد فدعاه الى داره وكانت فى سوق السيوفيّين 1) ورتّب من اصحابه نفرا فى جانب الدار فلمّا استقرّ به المجلس خرجوا عليه فقتلوه وذلك ليلة الخميس سلخ المحرّم سنة تسع واربعين وخمس مائة ورماه فى جبّ فى داره وكان معه خادم له اسود لا يفارقه يقال له سعيد الدولة فقتلوه واصبح عبّاس جاء الى القصر كالعادة للسلام يوم الخميس فجلس فى خزانة فى مجلس الوزارة كانه ينتظر جلوس الظافر للسلام فلمّا جاوز وقت جلوسه استدعى زمام القصر وقال ما لمولانا ما جلس للسلام فتبلّد الزمام فى الجواب فصاح عليه وقال ما لك لا تجاوبنى قال يا مولاى مولانا ما ندرى اين هو قال مثل مولانا ما يضيع ارجع فاكشف الحال فمضى ورجع وقال ما وجدنا مولانا فقال عبّاس ما يبقى الناس بلا خليفة ادخل الى الموالى اخوته يخرج منهم واحد نبايعه فمضى وعاد وقال الموالى يقولون لك نحن ما لنا فى الامر شىء والده عزله عنا وجعله فى الظافر والامر لولده بعده قال اخرجوه حتى نبايعه وعبّاس قد قتل الظافر وعزم على ان يقول اخوتُه قتلوه ويقتلهم به فخرجٌ ولد الظافر وهو صبىّ محمول على كتف استاذ من استاذى القصر فاخذه عبّاس فحمله وبكى الناس ثم دخل به وهو حامله الى مجلس ابيه وفيه اولادٌ الحافظ الامير يوسف والامير جبريل وابن اختهم

---

1) Ms. السيّوفيين.

الامير ابو البقى ونحن فى الرواق جلوس وفى القصر اكثر من الف رجل من المصريّين فما راعنا الّا فوج قد خرج من المجلس الى القاعة وصوت السيوف على انسان فقلت لغلام لى ارمنىّ ابصر من هذا المقتول فمضى ثم عاد وقال ما هاولاء مسلمون هذا مولاى ابو الامانة يعنى الامير جبريل قد قتلوه وواحد قد شقّ بطنه يجذب مصارينه ثم خرج عبّاس وقد اخذ رأس الامير يوسف تحت ابطه ورأسه مكشوف وقد ضربه بسيف والدم يفور منه وابو البقى ابن اخته مع نصر بن عبّاس فادخلوهما 1) فى خزانة فى القصر وقتلوهما وفى القصر الف سيف مجرّدة وكان ذلك اليوم من اشدّ الايّام التى مرّت بى لما جرى فيه من البغى القبيح الذى ينكره الله تعالى وجميع الخلق وكان من طريف ما جرى فى 2) ذلك اليوم ان عبّاسا لمّا اراد الدخول الى المجلس وجد بابه قد قُفّل من داخل وكان يتولّى فتح المجلس وغلقه استاذ شيخ يقال له امين الملك فاحتالوا فى الباب حتى فتحوه ودخلوا فوجدوا ذلك الاستاذ خلف الباب وهو ميّت وفى يده المفتاح، وامّا الفتنة التى جرت بمصر ونصر فيها عبّاس على جند مصر فانه لمّا فعل باولاد الحافظ رحمه الله ما فعل جفت عليه قلوب الناس واضمروا فيها العداوة والبغضاء وكانت من فى القصر من بنات الحافظ فارس المسلمين ابا الغارات طلائع بن رزّيك رحمه الله يستصرخون به وحشد وخرج من ولايته يريد القاهرة فامر عبّاس فعُمرت المراكب وحُمل فيها الزاد والسلاح والخزانة وتقدّم الى العسكر بالركوب والمسير معه وذلك يوم الخميس العاشر من صفر سنة تسع واربعين وامر ابنه ناصر الدين بالمقام فى القاهرة وقال لى تقيم معه فلمّا خرج من داره متوجّها الى لقاء ابن رزّيك خامرْ عليه الجند وغلقوا ابواب القاهرة ووقع القتال بيننا

1) Ms. فادخلاهما.
2) Ms. sans فى.

وبينهم فى الشوارع والازقّة خيالهم تقاتلنا فى الطريق ورجالهم يرموننا بالنشّاب والحجارة من على السطوحات والنساء والصبيان يرموننا بالحجارة من الطاقات ودام بيننا وبينهم القتال من ضحى نهار الى العصر فاستظهر عليهم عبّاس وفتحوا ابواب القاهرة وانهزموا ولحقهم عبّاس الى ارض مصر فقتل منهم من قتل وعاد الى داره وامره ونهيه وامر باحراق البرقيّة لانها مجمع دور الاجناد فتلطّفتُ الامر معه وقلت يا مولاى اذا وقعت النارُ احرقتْ ما تريد وما لا تريد وبعلتَ عن ان تطفئها ورددتُّ رأيه عن ذلك واخذت الامان للامير المؤتمن بن ابى رمادة بعد ان امر بتلافه واعتذرت عنه فصفح عن جرمه ثم سكنت تلك الفتنة وقد ارتاع منها عبّاس وتحقّق عداوة الجند والامراء وانه لا مقام له بينهم وثبت فى نفسه الخروج من مصر وقصد الشأم الى الملك العادل نور الدين رحمه الله يستنجد به والرسل بين من فى القصور وبين ابن رزّيك متردّدة وكان بينى وبينه رحمه الله مودّة ومخالطة من حيث دخلت ديار مصر فنفّذ الىّ رسولا يقول لى عبّاس ما يقدر على المقام بمصر بل هو يخرج منها الى الشأم وانا املك البلاد وانت تعرف ما بينى وبينك فلا تخرج معه فهو بحاجته اليك فى الشأم يرغبك ويُخرجك معه فاللّه اللّه لا تصحبه فانت شريكى فى كلّ خير اناله فكان الشياطين وسوست لعبّاس بذلك او توهّمه لما يعلمه بينى وبين ابن رزّيك من المودّة، فامّا الفتنة التى خرج فيها عبّاس من مصر وقتله الافرنج فانه لمّا توهّم من امرى وامر ابن رزّيك ما توهّمه او بلغه احضرنى واستحلفنى بالأيمان المغلّظة التى لا مخرج منها انى اخرج معه واصحبه ولم يقنعه ذلك حتى نفّذ فى الليل استاذ داره الذى يدخل على حرمه اخذ اهلى ووالدتى واولادى الى داره وقال لى انا احمل كلفتهم عنك فى الطريق واحملهم مع والدة ناصر الدين واهتمّ بأمر سفره بخيله وجماله وبغاله فكان له مائتا حصان وحجرة مجنوبة على ايدى الرجّالة كعادتهم

بمصر ومائتنا بغل رحل واربع مائـة جمل تحمل اثقاله وكان كثير اللهج بالنجوم وهو معوّل على المسير بالطالع يوم السبت لخامس عشر من ربيع الاول من السنة فحضرته وقد دخل عليه غلام يقال له عنتر الكبير وهو متولّى اموره كبيرها وصغيرها فقال له يا مولاى اىّ شىء مرجوّ من مسيرنا الى الشأم خذ خزائنك واهلك وغلمانك ومن تبعك وسر بنا الى الاسكندرية نحشد من هناك ونجمع ونرجع الى ابن رزّيك ومن معه فان نصرنا عدتّ الى دارك والى ملكك وان عجزنا عنه عدلنا الى الاسكندرية الى بلد نحتمى فيه ونمتنع على عدوّنا قهره وخطّأ رأيه وكان الصوابُ معه ثم اصبح يوم الجمعة استدعانى من بكرة فلمّا حضرت عنده قلت يا مولاى اذا كنت عندك من الفجر الى الليل فمتى اعمل شغل سفرى قال عندنا رسل من دمشق تسيّرهم وتمضى تعمل شغلك وكان قبل ذلك احضر قوما من الامراء واستحلفهم انهم لا يخونونه ولا يخامرون عليه واحضر جماعة من مقدّمى العرب من دُرْنا وزُريق وخذام وسنبس وطلحة وجعفر ولواتة واستحلفهم بالمصحف والطلاق على مثل ذلك فما راعنا وانا عنده بكرة الجمعة الّا والناس قد لبسوا السلاح وزحفوا الينا ورؤُسهم الامراء الذين استحلفهم بالامس فامر بشدّ دوابّه فشُدّت وأُوقفتْ على باب داره فكانت بيننا وبين المصريّين كالسدّ لا يصلون الينا لازدحام الدوابّ دوننا فخرج اليهم غلامه عنتر الكبير الذى كان اشار عليه بذلك الرأى وهو زمامهم صاح عليهم وشتمهم وقال روحوا الى بيوتكم فسيّبوا الدوابّ ومضى الركابيّة والمكارية والجمّالون 1) وبقيت الدوابّ مهملة ووقع فيها النهب فقال لىْ عبّاس اخرج احضر الاتراك وهم عند باب النصر والكتّاب ينفقون فيهم فلمّا جئتهم واستدعيتهم ركبوا كلّهم وهم فى ثمانى 2) مائة فارس وخرجوا من

1) Ms.: موالجمالس

2) Ms.: ثمان.

باب القاهرة منهزمين من القتال وركب المماليك وهم اكثر من الاتراك
وخرجوا ايضا من باب النصر ورجعت اليه عن فئة ثم استعملت باخراج
اهلى الذين كان حملهم الى داره فاخرجتهم واخرجت حرم عبّاس فلمّا
خلت الطريق ونهبت تلك الدوابّ باجمعها وصل المصريّون الينا
فاخرجونا ونحن فى قلّة وهم فى خلق كثير فلمّا خرجنا من باب النصر
وصلوا الى الابواب اغلقوها وعادوا الى دورنا نهبوها فاخذوا من قاعة
دارى اربعين غرارة جماليّة محاطة فيها من الفضّة والذهب والكسوات
شىء كثير واخذوا من اصطبلى ستّة وثلثين حصانا وبغلة سروجيّة
بسروجها وعدّتها كاملة وخمسة وعشرين جملا واخذوا من اقطاعى
من كوم اسفين 1) مائتى رأس بقر للنشّابين والف شية واهراء غلّة
ولمّا سرنا عن باب النصر تجمّعت قبائل العرب الذين استحلفهم عبّاس
وقاتلونا من يوم الجمعة ضحى نهار الى يوم الخميس العشرين من ربيع
الاول فكانوا يقاتلونا النهار كلّه فاذا جنّ الليل ونزلنا اغفلونا الى ان
ننام ثم يركبون فى مائة فارس ويدفعون خيلهم فى بعض جوانبنا
ويرفعون اصواتهم بالصياح فما نفر من خيلنا وخرج اليهم اخذوه وانقطعت
يوما عن اصحابى وتحتى حصان ابيض هو ارذى خيلى شدّه الركابىّ ولا
ندرى ما يجرى وما معى من السلاح غير سيفى فحمل علىّ العرب
فلم آخذ ما ادفعهم به ولا ينجيني منهم حصانى وقد وصلتنى رماحهم
قلت أثب عن الحصان واجذب سيفى ادفعهم فجمعتُ نفسى لاثب
فتتعتع الحصان فوقعت على حجارة وارض خشنة فانقطعتْ قطعة من
جلدة رأسى ودختُ حتى ما بقيت ادرى بما انا فيه فوقف علىّ
منهم قوم وانا جالس مكشوف الرأس غائب الذهن وسيفى مرمىّ
بجهازه فضربنى واحد منهم ضربتين بالسيف وقال هات الوزن وانا لا

1) Ms.: اسفس.

ادرى ما يقول ثم اخذوا حصانى وسيفى ورآنى الاتراك فعادوا الىّ ونفّذ لى ناصر الدين بن عبّاس حصانا وسيفا وسرتُ وانا لا اقدر على عصابة أشدّ بها جراحى فسبحان من لا يزول ملكه وسرنا وما مع احد منا كفّ زاد واذا اردت اشرب ماء ترجّلت شربت بيدى وقبل ان اخرج ببليلة جلستُ فى بعض دهاليز دارى على كرسىّ وعرضوا علىّ ستّة عشر جملة روايا وما شاء الله سبحانه من القرب والسطائح وعجزت عن حمل اهلى فرددتهم من بلبيس الى عند الملك الصالح ابى الغارات طلائع ابن رزّيك رحمه الله فاحسن اليهم وانزلهم فى دار واجرى لهم ما يحتاجونه ولمّا اراد العرب الذين يقاتلونا الرجوع عنا جاؤونا يطلبون حَسَبنا اذا عُدنا وسرنا الى يوم الاحد ثالث وعشرين ربيع الاول فصبّحونا الافرنج فى جمعهم على الموتلح 1) فقتلوا عبّاسا وابنه حُسام الملك واسروا ابنه ناصر الدين واخذوا خزانته وحُرمَه وقتلوا من ظفروا به واخذوا اخى نجم الدولة ابا عبد الله محمد رحمه الله اسيرا وعادوا عنا ونحن قد تحصّنّا عنهم فى الجبال فسرنا فى اشدّ من الموت فى بلاد الفرنج بغير زاد الرجال ولا علف للخيل الى ان وصلنا جبال بنى فهيد لعنهم الله فى وادى موسى وطلعنا فى طرقات ضيّقة وعرة الى ارض فسيحة ورجال وشياطين رجيمة من ظفروا به منّا منفردا قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بنى ربيعة الامراء الطائيّين فسألتُ من هاهنا من الامراء بنى ربيعة قالوا منصور بن غدفل 2) وهو صديقى فدفعت لواحد دينارين وقلت امض الى منصور قل له صديقك ابن منقذ يسلّم عليك ويقول لك صل اليه بكرة وبتنا فى مبيت سوء من خوفهم فلمّا اضاء الصبح اخذوا عدّتهم ووقفوا على العين وقالوا ما ندعكم تشربون ماءنا ونهلك نحن بالعطش وتلك العين تكفى ربيعة

1) Ms.: الموبلح les deux fois; cf. p. ٢١, l. 18.
2) Ms.: عدحل les deux fois; cf. p. ٢١, l. 2.

ومصر وكم في ارضهم مثلها وانما قصدهم ان ينشئوا الشرّ بيننا وبينهم
ويأخذونا فنحن فيما نحن فيه ومنصور بن غدفل وصل فصاح عليهم
وسبّهم فتفرّقوا وقال اركب فركبنا ونزلنا في طريق اضيق من الطريق
التي طلعت فيها واوعر فنزلنا الى الوطا سالمين وما كدنا نسلم
فجمعت للامير منصور الف دينار مصريّة ودفعتها اليه وعاد وسرنا
حتى وصلنا بلد دمشق بمن سلم من الافرنج وبنى فهيد يوم الجمعة
خامس ربيع الاخر من السنة وكانت السلامة من تلك الطريق من
دلائل قدرة الله عزّ وجلّ وحسن دفاعه ، ومن عجيب ما جرى
لي في تلك الوقعة ان الظافر كان ارسل الى ابن عبّاس رهوارا صغيرا
مليحا افرنجيّا وكنتُ قد خرجت الى قرية لي وابني ابو الفوارس مرهف
عند ابن عبّاس فقال كنّا نريد لهذا الرهوار سرجا مليحا من السروج
الغزّيّة فقال له ابني قد وجدته يا مولاى وهو فوق العرض قال اين
هو قال في دار خادمك والذي له سرج غزّيّ مليح قال انفذ احضره
فارسل رسولا الى داري اخذ السرج فاعجبه وشدّ به على الرهوار وكان
السرج طلع معي من الشأم على بعض الجنائب وهو منبّت مجرى
بسواد في غاية الحسن وزنه مائة مثقال وثلثون مثقالا ووصلت انا من
الاقطاع فقال لي ناصر الدين اذللنا عليك واخذنا هذا السرج من دارك
فقلت يا مولاى ما اسعدني بخدمتك   فلمّا خرج علينا الافرنج بالموتلح
كان معي من مماليكي خمسة رجال على الجمال اخذت العرب خيلهم فلمّا
وقع الافرنج بقيت الخيل سائبة فنزل الغلمان عن الجمال واعترضوا الخيل
واخذوا منها ما ركبوه فكان على بعض الخيل التي اخذوها ذلك
السرج الذهب الذي اخذه ابن عبّاس وكان حسام الملك ابن عمّ
عبّاس واخو عبّاس ابنُ العادل قد سلما فيمن سلم منّا وقد سمع
حسام الملك خبر السرج فقال وانا اسمع كلّ ما كان لهذا المسكين يعني
ابن عبّاس نُهب فمنه ما نهبه الافرنج ومنه ما نهبه اصحابه قلت

لعلّك تعنى السرج الذهب قال نعم فامرتُ باحضاره وقلت اقرأْ ما عليه اسم عبّاس عليه واسم ابنه او اسمى ومن كان فى مصر يقدر يركب بسرج ذهب فى ايّام الحافظ غيرى وكان اسمى مكتوبا على دائر السرج بالسواد ووسطه منبّت فلمّا قرأ ما عليه اعتذر وسكت، ولولا نفاذ المشيئة فى عبّاس وابنه وعواقب البغى وكفر النعمة كان اتّعظ بما جرى قبله للافضل رضوان بن الولخشى 1) رحمه الله كان وزيرا فقام الجند عليه بامر الحافظ كما قاموا على عبّاس فخرج من مصر يريد الشأم ونُهبت داره وحرمه حتى ان رجلا يُعرَف بالقائد مُقبِل رأى مع السودان جارية فاشتراها منهم وبعثها الى داره وكانت له امرأة صالحة فأطلعت الجارية الى حجرة فى علوّ الدار فسمعتْها وهى تقول لعمر الله تظفّرنا بمن بغى علينا وكفر نعمتنا فسألتها من انت فقالت انا قطر الندا بنت رضوان فنفّذتِ المرأة الى زوجها القائد مقبل احضرته وهو على باب القصر فى خدمته فعرّفتْه حال البنت فكتب الى الحافظ مطالعة فعرّفه بذلك فنفّذ من خُدّام القصر من اخذها من دار مقبل ورفعها الى القصر ثم ان رضوان وصل الى صلخد وفيها امين الدولة طغدكين اتابك رحمه الله فاكرمه وانزله وخدمه وملك الامراء اتابك زنكى ابن اقسنقر رحمه الله على بعلبكّ يحاصرها فراسل رضوان واستقرّ انه يمضى اليه وكان رجلا كاملا كريما شجاعا كاتبا عارفا وللجند اليه ميل عظيم لكرمه فقال لى الامير معين الدين رضى الله عنه هذا الرجل ان انضاف الى اتابك دخل علينا منه ضرر كثير قلت فاىّ شىء ترى قال تسير اليه لعلّك تردّ رأيه عن قصد اتابك ويكون وُصوله الى دمشق وانت ترى فيما تفعله فى هذا رأيك. فسرت اليه الى صلخد واجتمعت به وباخيه الاوحد وتحدّثت معهما فقال لى الافضل رضوان

---

1) Ms.: الولحسى.

فرط الامر منى ورهنت قولى عند هذا السلطان بوصولى اليه ولزمنى
الوفاء بقولى قلت اقدمك الله على خير وانا اعود الى صاحبى فانه ما
يستغنى عنّى فعدّ ان اخرج اليك بما فى نفسى قال قل قلتُ اذا
وصلتَ الى اتابك معه من العسكر ما ينفذ نصفه معك الى مصر ويبقى
نصفه يحاصرنا به قال لا قلت فاذا هو نزل على دمشق وحاصرها
واخذها بعد المدّة الطويلة يقدر وقد ضعف عسكره وفُرغت نفقاتُهم
وطالت سفرتهم يسير معك الى مصر قبل ان يجدّد بركه ويقوّى عسكره
قال لا قلت ذلك الوقت يقول لك نسير الى حلب نجدّد آلة سفرنا
فاذا وصلتم الى حلب قال نمضى الى الفرات 1) نجمع التركمان فاذا نزلتم
على الفرات قال ان لم نعدّ الفرات ما يجتمع لنا التركمان فاذا عدّيتم
يسوق بك وافتخر على سلاطين الشرق وقال هذا عزيز مصر فى خدمتى
وتتمنّى ذلك الوقت ان ترى حجرا من حجارة الشأم فلا تقدر عليها
وتذكر حينئذ كلامى وتقول نصحنى ما قبلتُ فاطرق مفكرا لا يدرى
ما يقول ثم التفت الىّ وقال ما ذا اعمل وانت تريد ترجع قلت ان
كان فى مقامى مصلحة اقمت قال نعم فاقمت وتكرّر الحديث بينى وبينه
حتى استقرّ وصوله الى دمشق وان يكون له ثلاثون الف دينار نصفها
نقد ونصفها اقطاع ويكون له دار العَقيقىّ 2) ويخرج لاصحابه ديوان
وكتب لى خطّه بذلك وكان كاتبا حسنا وقال ان شئت سرتُ معك
قلت لا انا اسير ومعى الحمام من هاهنا فاذا وصلت واخليتُ الدار
ورتبتُ الامر طيّرت اليك الحمام وسرت انا فى الوقت القاك فى نصف
الطريق وادخل بين يديك فتقرّر ذلك وودّعته وسرت وكان امين الدولة
يشتهى مصيره الى مصر لما قد وعده به واطمعه فيه فجمع له من
قدر عليه وسيّره بعد مفارقتى له فلمّا دخل حدود مصر غدر به

1) Ms.: القراه.
2) Ms.: العععى.

الذين كانوا معه من الاتراك ونهبوا ثقله والتجأ هو الى حىّ من احياء العرب وراسل الحافظ وطلب منه الامان وجاء الى مصر فساعة وصوله الى مصر امر به الحافظ فحُبس هو وولده واتّفق طلوعى الى مصر وهو فى الحبس فى دار فى جانب القصر فنقب بمسمار حديد اربعة عشر ذراعا وخرج ليلة الخميس وله من الامراء نسيب قد عرف امره فهو عند القصر ينتظره ومصطنع له من لواتة ومشوا الى النيل عدّوا الى الجيزة واختبطت القاهرة لهروبه واصبح فى منظره فى الجيزة والناس يجتمعون اليه وعسكر مصر قد تأهّب لقتاله ثم اصبح بكرة الجمعة عدّى الى القاهرة والعسكر المصرىّ مع قيماز صاحب الباب مدّرعين للّقاء فلمّا وصلهم هزمهم ودخل القاهرة وكنتُ قد ركبت انا واصحابى الى باب القصر قبل دخوله البلد فوجدت ابواب القصر مغلقة وما عندها احد فرجعت نزلت فى دارى ونزل رضوان فى الجامع الاقمر واجتمع اليه الامراء وحملوا اليه الطعام والنفقة وقد جمع الحافظ قوما من السودان فى القصر شربوا وسكروا وفتح لهم باب القصر فخرجوا يريدون رضوان فلمّا وقع الصياح ركب الامراء كلّهم من عند رضوان وتفرّقوا وخرج هو من الجامع وجد حصانه قد اخذه الركابى وراح فرآه رجل من صبيان الخاصّ واقفا على باب الجامع فقال يا مولاى ما تركب حصانى قال بلى فجاء اليه يركض وسيفه فى يده فأومأ كانه يميل للنزول وضربه بالسيف فوقع ووصله السودان قتلوه وتقاسم اهل مصر لحمه يأكلونه ليكونوا شجعانا فقد كان فيه معتبَر وواعظ لولا نفاق المشيئة، واصاب ذلك اليوم رجلا من اصحابنا الشأميّين جراح كثيرة فجاءنى اخوه وقال اخى تالفٌ قد وقع فيه كذا وكذا جرح سيوف وغيرها وهو مغمور ما يفيق قلت ارجعْ افصدْه قال قد خرج منه عشرون رطل دم قلت ارجعْ افصدْه فانا اخبرُ منك بالجراح وليس له دواء غير الفصاد فمضى غاب عنّى ساعتين ثم عاد وهو مستبشر

قال انا فصدته وهو افاق وجلس واكل وشرب وذهب عنه البؤس قلت الحمد لله ولولا انى جرّبت هذا فى نفسى عدّة مرار ما وصفته لك ، ثم اتّصلتُ بخدمة الملك العادل نور الدين رحمه الله وكاتب الملك الصالح فى تسيير اهلى واولادى الذين تخلّفوا بمصر وكان محسنا اليهم فردّ الرسول واعتذر بانه يخاف عليهم من الافرنج وكتب الىّ يقول ترجع الى مصر وانت تعرف ما بينى وبينك وان كنتَ مستوحشا من اهل القصر فتصل الى مكّة وأُنفذ لك كتابا بتسليم مدينة اسوان اليك وامدّك بما تتقوّى به على محاربة الحبشة فاسوان ثغر من ثغور المسلمين واسيّر اليك اهلك واولادك ففاوضت الملك العادل واستطلعت امره فقال يا فلان ما صدقتَ متى تخلص من مصر وفتنها تعود اليها العمرُ اقصرُ من ذلك انا انفذ آخذ لاهلك الامان من ملك الافرنج واسيّر من يُحضرهم فأنفذ رحمه الله اخذ امان الملك وصّلنيه فى البرّ والبحر وسيّرتُ الامان مع غلام لى وكتاب الملك العادل وكتابى الى الملك الصالح فسيّرهم فى عُشارىّ من الخاصّ الى دمياط وحمل لهم كلّ ما يحتاجونه من النفقات والزاد ووصى بهم واقلعوا من دمياط فى بطسة من بطس الافرنج فلمّا دنوا من عكّا والملك لا رحمه الله فيها نفّذ قوما فى مركب صغير كسروا البطسة بالفؤس واصحابى يرونهم وركب ووقف على الساحل نهب كلّ ما فيه فخرج اليه غلام لى سباحة والامان معه وقال له يا مولاى الملك ما هذا امانك قال بلى ولكن هذا رسم المسلمين اذا انكسر لهم مركب على بلد نهبه اهل ذلك البلد قال فتسبينا قال لا وأنزلهم لعنه الله فى دار وفتش النساء حتى اخذ كلّ ما معهم وقد كان فى المركب حلى اودعه النساء وكسوات وجوهر وسيوف وسلاح وذهب وفضّة بنحو من ثلاثين الف دينار فاخذ الجميع ونفّذ لهم خمس مائة دينار وقال توصّلوا بهذه الى بلادكم وكانوا رجالا ونساء فى خمسين نسمة وكنتُ اذذاك مع الملك العادل فى بلاد الملك مسعود

رعبان وكيسون1) فهوّن علىّ سلامةُ اولادى واولاد اخى وحرمنا ذهابَ ما ذهب من المال الّا ما ذهب لى من الكتب فانها كانت اربعة الف2) مجلّد من الكتب الفاخرة فان ذهابها حزازة فى قلبى ما عشت، فهذه نكبات تزعزع الجبال وتُفنى الاموال والله سبحانه يعوّض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته وتلك وقعات كبار شاهدتها مضافة الى نكبات نُكِبْتُها سَلِمتْ فيها النفس لتوقيت الآجال وأُجحفتْ بهلاك المال وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكفّار والمسلمين ما لا أُحصيها وسأُورد من عجائب ما شاهدته ومارسته فى الحروب ما يَحضرنى ذكره وما النسيان بمستنكر لمن طال عليه مَرُّ الاعوام وهو وراثة بنى آدم من ابيهم عليه الصلاة والسلام، فمن ذلك ما شاهدتُه من انفة الفرسان وحملهم نفوسهم على الاخطار اننا كنّا التقينا نحن وشهاب الدين محمود بن قراجا صاحب حماة ذلك الوقت وكانت الحرب بيننا وبينه ما تغبّ3) والمواكب واقفة والطراد بين المتسرّعة فجاءنى رجل من اجنادنا وفرساننا المعدودين يقال له جمعة من بنى نُمير وهو يبكى فقلت له ما لك يا ابا محمود هذا وقت بكاء قال طعننى سُرْهَنْكُ بن ابى منصور قلت واذا طعنك سرهنك اىّ شىء يكون قال ما يكون شىء الّا يطعننى مثل سرهنك والله ان الموت اسهل علىّ من ان يطعننى ولكنه استغفلنى واغتالنى فجعلتُ أُسكّنه وأُهوّن الامر عليه فردّ رأس فرسه راجعا فقلت الى اين يا ابا محمود قال الى سرهنك والله لأطعننّه او لأموتنّ دونه فغاب ساعة واشتغلتُ انا بمن مقابلى ثم عاد وهو يضحك فقلتُ ما عملتَ فقال طعنتُه والله ولو لم اطعنه لفاظت روحى فحمل عليه فى جمع اصحابه فطعنه وعاد فكان

1) Ms.: رعمان وكدسون.
2) *Sic*. Grammaticalement, il faudrait lire الاف; cf. p. v, l. 21.
3) Mot douteux; peut-être نُغب.

هذا الشعر عنى سرهنك وجمعة بقوله [من الكامل]

لـلّـه درّك ما تَـظُـنّ بـثـائـرٍ حَرّانَ لـيـس عـن الترات براقد
أيقظتَه ورقدتَ انتَ 1) ولم يَنَمْ حنقا عليك وكيف يومُ الجاهد
ان تُمكن الايّامُ منـك وعلّها يـوما يُكَـلْ لـك بالصّواع الزائـد

وقـد كان سرهنك هـذا من الـفـرسـان المذكورين مقدّما فى الأكراد الّا انه كان شابّا وجمعة رجل كهل له ميزة بالسنّ والتقدمة فى الشجاعة، وذكّرتْ فعلةُ سرهنك ما فعله مٰلك بن الحٰرث الاشتر رحمه الله بأبى مُسَيْكة الايادىّ وذلك انه لمّا ارتدّت العرب فى ايّام ابى بكر الصدّيق رضوان الله عليه وعزم الله سبحانه له عـلى قتالهم جهّز العساكر الى قبائل العرب المرتدّين فكان ابو مُسَيْكة الايادى مع بنى حنيفة وكانوا أشدّ العرب شوكةً وكان مٰلك الاشتر فى حبس ابى بكر رحمه الله فلمّا توافقوا برز مٰلك بين الصفّين وصـاح يا ابا مُسَيْكة فبرز له فقال ويحك يا ابا مُسيكة بـعـد الاسـلام وقـراءة القرٰن رجعت الى الكفر فقال ايّاك عنّى يا مٰلك انهم يُحرمون الخمر ولا صـبـر عنها قال فهل لـك فى المبارزة قال نعم فالتقيا بالـرماح والتقيا بالسيوف فضربـه ابو مُسيكة فشقّ رأسه وشتر عينه وبتلك الضربة سُمّى الاشتر فرجع وهو مُعتنِق 2) رقبةَ فرسه الى رحله واجتمع له قوم من اهله واصدقائه يبكون فقال لاحدهم أَدْخِلْ يدك فى فىّ فأدخل اصبعه فى فمه فعضّها مٰلك فالتوى الرجل من الوجع فقال مٰلك لا بأس على صاحبكم يقال اذا سلمت الأضراس سلم الرأس احشوها يعنى الضربة سَويقا وشدّوها بعمامة فلمّا حشوها وشدّوها قال هـاتـوا فرسى قالوا الى اين قال الى ابى مُسيكة فبرز بين الصفّين وصـاح يا ابا مُسيكة فخـرج اليه مثـل السهم فضربه مٰـلـك بالسيف على كتفه

1) J'ai ajouté انت, qui ne se trouve pas dans le manuscrit, afin de compléter le vers.

2) Ms.: مُعْتَنِق.

فشقّها الى سرجه فقتله ورجع مُلك الى رحله فبقى اربعين يوما لا يستطيع الحراك ثمّ أبلّ وعوفى من جُرحه ذلك، ومن ذلك ما شاهدتُه من سلامة المطعون وقد ظُنّ انه قد هلك أننا التقينا بوادرَ خيل شهاب الدين محمود بن قراجا وقد جاء الى ارضنا وكمّن لنا كمينا فلمّا تواقفنا نحن وهو انتشرت خيلنا فجاءنى فارس من جندنا يقال له علىّ بن سلام نميرىّ وقال اصحابُنا قد انتشروا ان حملوا عليهم اهلكوهم قلت احبسْ عنّى اخوتى وبنى عمّى حتى اردّهم فقال يا امراء دعوا هذا يردّ الناس ولا تتبعونه والّا حملوا عليهم قلعوهم قالوا نمضى فخرجتُ أناقلُ حصانى حتى رددتهم وكانوا مُمسكين عنهم ليستجرّوهم ويتمكّنوا منهم فلمّا رأونى قد رددتهم حملوا علينا وخرج كمينهم وانا على فسحة من اصحابى فرجعت مباريهم اريد احمى اعقاب اصحابى فوجدت ابن عمّى ليث الدولة يحيى رحمه الله قد جذب من وراء اصحابى من قبلىّ الطريق وانا فى شماليّه فجئناهم فتسرّع فارس من خيلهم يقال له فارس بن زمام رجل عربىّ فارس مشهور وجازنا يريد الطعن فى اصحابنا فسبقنى اليه ابن عمّى فطعنه فوقع هو وحصانه وفقع الرمح فقعة سمعتُها انا واولئك وكان الوالد رحمه الله ارسل رسولا الى شهاب الدين فأخذه معه لمّا جاء لقتالنا فلمّا طُعن فارس بن زمام ولم يَبلغ منّا ما اراد نفّذ الرسول من مكانه بجواب ما سار فيه ورجع الى حماة فسألتُ الرسول هل مات فارس بن زمام قال لا والله ولا فيه جرح قال ليث الدولة طعنه وانا اراه فرماه ورمى حصانه وسمعتُ قعقعةَ كسرِ الرمح لمّا غشيه ليث الدولة من يساره مال 1) على جانبه الايمن وفى يده قنطاريته فوقع حصانه على قنطاريّته وهى على وهذه فانكسرت وتذنّب ليث الدولة برمحه فوقع من يده والذى سمعتُ

1) La lecture est douteuse.

فعقعة قنطارية فارس بن زمام ورمح ليث الدولة احضروه بين يدى شهاب الدين وانا حاضر وهو صحيح ما فيه كسرٌ ولا فى فارسَ جرح فعجبتُ من سلامته وكانت تلك الطعنة طعنةَ فَيْصَلٍ كما قال عنترة 1)

[من الكامل]

الخَيْلُ تَعلم والفوارسُ أنّنى فرّقتُ جَمْعَهُمْ بطَعْنة فَيْصَلِ

ورجع جميعهم وكمينهم ما نالوا منه ما ارادوه والبيت المقدّم من ابيات لعنترة بن شدّاد يقول فيها

[من الكامل]

انّى امْرُؤٌ من خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِى وأَحْمِى سائرى بالمُنْصُلِ

واذا الكتيبةُ أحْجَمَتْ فتلاحَظَتْ أُلْفِيتُ خَيْرًا من مُعَمٍّ مُخْوَلِ

انّ المَنِيّةَ لو تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلِى اذا نزلوا بضَنْكِ المَنْزِلِ

والخيلُ تَعلم والفوارسُ أنّنى فرّقتُ جمعَهم بطعنة فَيْصَلِ

ودَعَوْا نَزالِ فكُنْتُ أوّلَ نازلٍ وعَلامَ أَرْكَبُهُ اذا لم أَنْزِلِ

ومثل ذلك ما جرى لى على افامية فان نجم الدين بن الغازى بن ارتق رحمه الله كسر الافرنج على البلاط وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وافناهم وقُتل صاحب انطاكية روجار وجميع فرسانه فسار اليه عمّى عزّ الدين ابو العساكر سلطان رحمه الله وتخلّف والدى رحمه الله فى حصن شيزر وقد وصّاه ان يسيّرنى الى افامية بمن معى بشيزر من الناس ويستنفر الناس والعرب لنهب زرع افامية وكان قد هدف من العرب الينا خلق كثير فلمّا سار عمّى نادَى المنادى بعد يُويمات من مسيره وسرتُ فى نفر قليل ما يلحق عشرين فارسا ونحن على يقين ان افامية ما فيها خيّالة ومعى خلق عظيم من النهابة والبادية فلمّا صرنا على وادى ابو2) الميمون والنهابة

---

1) Ahlwardt, *The divans of the six ancient arabic poets*, p. ٤٢.

2) Ms.: أبو (*sic*).

والعرب متفرّقون فى الزرع خرج علينا من الافرنج جمع كثير وكان قد وصلها تلك الليلة ستّون فارسا وستّون راجلا فكشفونا عن الوادى فاندفعنا بين ايديهم الى ان وصلنا الناس الذين فى الزرع ينتهبونه فصاحوا صيحة عظيمة فهان علىّ الموت لهلاك ذلك العالم معى فرجعت على فارس فى اولهم قد ألقى عنه درعه وتخفّف ليجوزنا من بين ايدينا فطعنتُه فى صدره فطار عن سرجه ميّتا ثم استقبلت خيلهم المتتابعة فولّوا وانا غِرٌّ من القتال ما حضرت قتالا قبل ذلك اليوم وتحتى فرس مثل الطير لحق اعقابهم لاطعن فيهم ثم أَجتنّ عنهم وفى اخرهم فارس على حصان ادهم مثل الجمل بالدرع ولأمة الحرب انا خائف منه لا يكون جاذبا لى ليعود علىّ حتى رأيته ضرب حصانه بمهمازه فلوّح بذنبه فعلمتُ انه قد أعيا فحملت عليه طعنته فنفذ الرمح من قدّامه نحوا من ذراع وخرجتُ من السرج لخفّة جسمى وقوّة الطعنة وسرعة الفرس ثم تراجعتُ وجذبت رمحى وانا اظنّ انى قتلته فجمعت اصحابى وهم سالمون وكان معى مملوك صغير يجرّ فرسا لى دهماء مجنوبة وتحته بغلة مليحة سروجيّة وعليها مركوب بفتل فضّة فنزل عن البغلة وسيّبها وركب الحِجرة فطارت به الى شيزر فلمّا عدتُّ الى اصحابى وقد مسكوا البغلة سألتُ عن الغلام فقالوا راح فعلمت انه يصل شيزر ويُشغل قلب الوالد رحمه الله فدعوت رجلا من الجند وقلت تسرَّعْ الى شيزر تعرِّف والدى بما جرى وكان الغلام لمّا وصل احضره الوالد بين يديه وقال اىّ شىء لقيتم قال يا مولاى خرج علينا الافرنج فى الف وما اظنّ احدا يسلم الّا مولاى قال كيف يسلم مولاك دون الناس قال رأيته قد لبس وركب الخضراء هو يحدّثه وذلك الفارس قد وصله واخبره باليقين ووصلتُ بعده فاستخبرنى رحمه الله فقلت يا مولاى كان اوّل قتال حضرته فلمّا رأيت الافرنج قد وصلوا الى الناس هان علىّ الموت فرجعت الى الافرنج لأُقتَل او احمى ذلك العالم فقال رحمه

الله متمثّلا [من الطويل]

يفرّ جَبانُ القوم عن امّ رأسه ويَحمى شُجاعُ القوم من لا يلازِمُهْ

ووصل عمّى رحمه الله من عند نجم الدين الغازى رحمه الله بعد ايّام فاتانى رسوله يستدعينى فى وقت ما جرتْ عادته فيه فجئتُه فاذا عنده رجل من الافرنج فقال هذا الفارس قد جاء من افامية يريد يبصر الفارس الذى طعن فليب الفارس فان الافرنج تعجّبوا من تلك الطعنة وانّها خرقت الزرديّة عن طاقتين وسلم الفارس قلتُ كيف سلم قال ذلك الفارس الافرنجىّ جاءت الطعنةُ فى جلدة خاصرته قلت نعم الاجل حصن حصين وما ظننته يسلم من تلك الطعنة، قلت يجب على من وصل الى الطعن ان يشدّ يده وذراعه على الرمح الى جانبه ويدع الفرس يعمل ما يعمله فى الطعنة فانه متى حرّك يده بالرمح او مدّها به لم يكن لطعنته تأثير ولا نكاية، وشاهدتُ فارسا من رجالنا يقال له بدىّ بن تليل القُشَيْرىّ وكان من شجعاننا وقد التقينا نحن والفرنج وهو معرّى ما عليه غير ثوبين فطعنه فارس من الافرنج فى صدره فقطع هذه العصفورة التى فى الصدر وخرج الرمح من جانبه فرجع وما نظنّه يصل منزله حيّا فقدر الله سبحانه ان سلم وبرأ جرحُه لكنه لبث سنة اذا نام على ظهره لا يقدر يجلس ان لم يُجلسه انسان باكتافه ثم زال عنه ما كان يشكوه وعاد الى تصرّفه وركوبه كما كان قلتُ فسبحان من نفذت مشيئتُه فى خلقه يُحْيِى ويميت وهو حىّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شىء قدير، كان عندنا رجل من المصطنعة يقال له عَتّاب اجسم ما يكون من الرجال واطولهم دخل بيته فاعتمد على يده عند جلوسه على ثوب بين يديه كانت فيه ابرة دخلت فى راحته فمات منها وبالله لقد كان يَئِنّ 1) فى المدينة فتسمع

1) Ms.: بيانٌ

ابنته من الحصن لعظم خلقه وجهارة صوته يموت من ابرة وبرأ القشيرى
يدخل فى صدره قنطاريّة تخرج من جنبه لا يصيبه شىء، نزل علينا
صاحب انطاكية لعنه الله بفارسه وراجله وخيامه فى بعض السنين فركبنا
ولقيناهم نظنّ انهم يقاتلونا فجاءوا نزلوا منزلا كانوا ينزلونه وهجموا فى
خيامهم فرجعنا نحن الى اخر النهار ثم ركبنا ونحن نظنّ انهم يقاتلونا
فما ركبوا من خيلهم وكان لابن عمّى ليث الدولة يحيى غلّة قد
نجزت وهى بالقرب من الافرنج فجمع دوابّ 1) يريد يمضى الى الغلّة
يحملها فسرنا معه فى عشرين فارسا معدّين وقفنا بينه وبين الفرنج
الى ان حمل الغلّة ومضى فعدلتُ انا ورجل من مولّدينا يقال له حسام
الدولة مسافر رحمه الله الى كَرْم رأينا فيه شخوصا وهم على شطّ النهر
فلمّا وصلنا الشخوصَ التى رأيناها والشمسُ على مغيبها فاذا شيخ
عليه معرقة امرأة ومعه اخر فقال له حسام الدولة وكان رحمه الله رجلا
جيّدا كثير المزاح يا شيخ اىّ شىء تعمل هاهنا قال انتظر الظلام
وأسترزقُ الله تعالى من خيل هاؤلاء الكفّار قال يا شيخ بأسنانك تقطع
عن خيلهم قال لا بهذه السكّين وجذب سكّينا من وسطه مشدودة
بخيط مثل شعلة النار وهو بغير سراويل فتركناه وانصرفنا واصبحتُ
من بكرة ركبت انتظر ما يكون من الافرنج واذا الشيخ جالس فى
طريقى على حجر والدم على ساقه وقدمه وقد جمد قلت يَهنئك
السلامةُ اىّ شىء عملت قال اخذت منهم حصانا وترسا ورمحا ولحقنى راجل
وانا خارج من عسكرهم طعننى نفّذ القنطاريّة فى فخذى وسبقتُ
بالحصان والترس والرمح وهو مستقلّ بالطعنة التى فيه كانها فى سواه
وهذا الرجل يقال له الزمركل من شياطين اللصوص، حدّثنى عنه
الامير معين الدين رحمه الله قال اغرتُ زمان مقامى بحمص على شيزر

1) Ms.: دوابا.

وعدت اخر النهار نزلت على ضيعة من بلد حماة وانا عدوّ لصاحب حماة قال فجاءنى قوم معهم شيخ قد انكروه فقبضوه وجاءونى به فقلت يا شيخ ايش انت قال يا مولاى انا رجل صعلوك شيخ زمن واخرج يده وهى زمنة قد اخذ لى العسكر عنزين جئت خلفهم لعلّ ان يتصدّقوا علىّ بهما 1) فقلت لقوم من الجنداريّة احفظوه الى غداء فاجلسوه بينهم وجلسوا على اكمام فروة عليه فاستغفلهم فى الليل وخرج من الفروة وتركها تحتهم وطار فغدوا فى اثره سبقهم ومضى قال وكنت قد نفّذت بعض اصحابى فى شغل فلمّا عادوا وفيهم جندار يقال له سومان قد كان يسكن بشيزر فحدّثته حديث الشيخ قال وا حسرتى عليه لو كنت لحقته كنت شربت دمه هذا الزمركل قلت فاىّ شىء بينك وبينه قال نزل عسكر الفرنج على شيزر فخرجت ادور به لعلّ اسرق حصانا منهم فلمّا اظلم الظلام مشيت الى طُوالة خيل بين يدىّ واذا هذا جالس بين يدىّ فقال لى الى اين قلت اخذ حصان من هذه الطوالة قال وانا من العشاء انظرها حتى تأخذ انت الحصان قلت لا تهدى قال لا تعبر والله ما ادعك تأخذ شيءا فما التفت الى قوله ويمّمت الى الطوالة فقام وصاح باعلى صوته واقفرنى واجبته نعتى وشهرتى وصبّح حتى خرج علىّ الافرنج فامّا هو فطار فطردونى حتى رميت نفسى فى النهر وما ظننت انى اسلم منهم ولو لحقته كنت شربت دمه وهو لصّ عظيم وما تبع العسكر الّا يسرق منه، فكان هذا الرجل يقول من يراه ما فى هذا يسرق رغيف خبز من بيته، ومن عجيب ما اتّفق فى السرقة ان رجلا كان يخدمنى يقال له علىّ بن الدُّودَوَيْه من اهل تنكير 2) نزل يوما الافرنج لعنهم الله على كفرطاب وهى اذذاك لصلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسيانى رحمه الله فخرج هذا علىّ بن الدودويه

1) Ms.: دبها.
2) Ms.: منكير or منكين.

دار بهم واخذ حصانا ركبه وخرج به من العسكر يركض وهو يسمع الحسّ خلفه ويعتقد ان بعضهم قد ركب فى طلبه وهو مجدّ فى الركض والحسّ خلفه حتى ركض قدر فرسخين والحسّ معه فالتفت يبصر ما خلفه فى الظلام واذا بغلة كانت تألف الحصان قد قطعت مقْوَدها وتبعته فوقف حتى شدّ فوطته فى رأسها واخذها واصبح عندى فى حماة بالحصان والبغلة وكان الحصان من اجود الخيل واحسنها واسبقها، كنت يوما عند اتابك وهو يحاصر رغنية وقد استدعانى فقال لى يا فلان اىّ شىء من حصانك الذى خبّيته وكان قد بلغه خبر الحصان قلت لا والله يا مولاى ما لى حصان مخبّى حصنى كلّها فى العسكر قال فالحصان الافرنجىّ قلت حاضر قال أنفذْ أحضرْه انفذت احضرته وقلت للغلام امض به الى الاصطبل قال اتابك اتركه الساعة عندك ثم اصبح سبق فسبق وردّه الى اصطبلى وعاد استدعاه من البلد وسبق به فسبق فحملته الى اصطبله، وشاهدتُ فى الحرب عند انتهاء المدّة كان عندنا رجل من الجند يقال له رافع الكلابىّ وهو فارس مشهور اقتتلنا نحن وبنو قراجا وقد جمعوا لنا من التركمان وغيرهم وحشدوا وباسطناهم على فساحة من البلد ثم تكاثروا علينا فرجعنا وبعضنا يحمى بعضا وهذا رافع فى من يحمى الاعقاب وهو لابس كُزاغند وعلى رأسه خوذة بلا لثام فالتفت لعلّه يرى فيهم فرصة فيُحرِق عليهم فضربه سهم كشما فى حلقه ذبحه ووقع مكانه ميّتا، وكذلك شاهدتُ شهاب الدين محمود ابن قراجا وقد انصلح ما بيننا وبينه وقد نفّذ الى عمّى يقول له تأمر أُسامة يلقانى هو وفارس واحد الى سرعة[1] لنمضى نبصر موضعا نكمّن فيه لأفامية ونقاتلها فأمرنى عمّى بذلك فركبت ولقيته وابصرنا المواضع ثم اجتمع عسكرنا وعسكره وانا على عسكر شيزر وهو فى عسكره

---

1) Mot douteux. Le ms. semble porter كرعة.

وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم فى الخراب الذى لها وهو مكان
لا يتصرّف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب فعجزنا
عن قلعهم من ذلك المكان فقال لى رجل من جندنا تريد تكسرهم
قلت نعم قال اقصدْ بنا باب الحصن قلت سيروا وندم القائل وعلم
انهم يدوسونا ويجوزون الى حصنهم فاراد ان يردّنى عن ذلك فابيتُ
وقصدت الباب فساعةَ ما رأُونا الفرنج قاصدين الباب عاد الينا فارسهم
وراجلهم فداسونا وجازوا ترجّل الفرسان داخل باب الحصن واطلعوا خيلهم
الى الحصن وصفّوا عوالى قنطاريّاتهم فى الباب وانا وصاحب لى من مولّدى
ابى رحمه الله اسمه رافع بن سوتكين 1) وقوف تحت السور مقابل الباب
وعلينا شىء كثير من الحجارة والنشّاب وشهاب الدين واقف فى موكب
بعيد منهم على خوف الاكراد فقد طُعن صاحب لنا يقال له حارثة
النُّمرىّ بسبب جمعه فى صدر فرسه طعنة معترضة ونزل القنطاريّة فى
الفرس فتخبّطت حتى 2) وقعت القنطاريّة منها ووقعت جلدة صدرها
جميعها فبقيت مسبلة على اعضادها وشهاب الدين بمعزل عن القتال
فجاءه سهم من الحصن فضربه فى جانب عظم زنده فما دخل فى جانب
عظم زنده مقدار طول شعيرة فجاءنى رسوله يقول لا تزول مكانك حتى
تجمع الناس الذين تفرّقوا فى البلد فانا قد جُرحتُ وكانى أُحِسُّ الجرح
فى قلبى وانا راجع فاحفظْ انت الناس ومضى ورجعت انا بالناس
نزلت على برج شغار حربنه 3) وكان الافرنج لهم عليه ديدبان يكشفنا
اذا اردنا الغارة على افامية ووصلت العصر الى شيزر وشهاب الدين فى
دار والدى يريد يحلّ جرحه ويداويه وعمّى قد منعه وقال والله ما
تحلّ جرحك الّا فى دارك قال انا فى دار والدى يعنى الوالد رحمه الله

1) Lecture incertaine.
2) حتى deux fois répété dans le ms.
3) Leçon douteuse, adoptée d'après la page ٣٩, ligne 6.

قال انا وصلت دارك وبرأ جرحك دار والدك بحكمك فركب المغرب وسار الى حماة فاقام الغد وبعد الغد ثم اسودّت يده وغاب عنه رشده ومات وما كان به الّا قراع الاجل، وشاهدت من الطعنات العظيمة طعنة طعنها فارس من الافرنج خذلهم الله فارسا من اجنادنا يقال له سادة 1) ابن قُنيب كلابىّ 2) قُطع له ثلاثة اضلاع من جانبه اليسار وثلاثة اضلاع من جانبه الايمن وضرب شفارُ الحربة مَرْفقه ففصله كما يفصل الجزّار المفصل ومات لساعته، وطعن رجل من اجنادنا كردىّ يقال له مَيّاح فارسا من الافرنج ادخل قطعة من السرد فى جوفه وقتله ثم ان الافرنج غاروا علينا بعد ايّام وميّاح قد تزوّج وخرج وهو لابس وفوق درعه ثوب احمر من ثياب العروس قد تشهّر به فطعنه فارس من الافرنج فقتله رحمه الله، يا قُرْبَ مأتمه من العرس فذكرتُ به الخبر عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وقد أُنشد قول قيس بن الخطيم [من الطويل]

أُجالدهم 3) يومَ الحفيظة حاسرًا كأنّ يدى بالسيف مِخْراقُ لاعبِ

فقال النبىّ صلّى الله عليه للحاضرين من الانصار رضى الله عنهم هل حضر احد منكم يوم الحديقة فقال رجل منهم انا حضرته يا رسول الله صلّى الله عليك وسلّم وحضره قيس بن الخطيم وهو قريب عهد بالعرس وعليه ملأة حمراء فوالّذى بعثك بالحقّ لقد عمل فى قتاله كما قال عن نفسه، ومن عجائب الطعن ان رجلا من الاكراد يقال له حمدات كان قديم الصحبة قد سافر مع والدى رحمه الله الى اصبهان الى دركاه السلطان ملكشاه فكبر وضعف بصره ونشأ له اولاد فقال له عمّى عز الدين رحمه الله يا حمدات قد كبرتَ وضعفت ولك علينا حقّ وخدمة

---

1) Telle est la leçon du ms.

2) *Sic.* Peut-être faut-il corriger en الكلابىّ.

3) Ms.: احادلهم avec la correction interlinéaire اجالدهم. Cf. *Agânî* II, p. ١٦٢.

فلو لزمتَ مسجدك وكان له مسجد على باب داره واثبتْنا اولادك فى الديوان ويكون لك انت كلّ شهر ديناران وحمل دقيق وانت فى مسجدك قال افعلْ يا امير فأُجرى له ذلك مُديدة ثمّ جاء الى عمّى وقال يا امير والله ما تطاوعنى نفسى على القعود فى البيت وقتلى على فرسى اشهى الىّ من موتى على فراشى قال الامر لك وامر بردّ ديوانه عليه كما كان فما مضى الّا الايّام القلائل حتى غار علينا السردانى صاحب طرابلس يفزع الناس اليهم وحمدات فى حَمَلة الروع فوقف على رفعة من الارض مستقبل القبلة فحمل عليه فارس من الافرنج من غربيّه فصاح اليه اصحابنا يا حمدات فالتفت رأى الفارس قاصده فردّ رأس فرسه شمالا 1) ومسك رمحه بيده وسدّده الى صدر الافرنجىّ فطعنه نفذ الرمح منه فرجع الافرنجىّ متعلّقا برقبة حصانه فى اخر رمقه فلمّا انقضى القتال قال حمدات لعمّى يا امير لو ان حمدات فى المسجد من كان طعن هذه الطعنة فاذكرنى قول الفِنْد الزِّمّانىّ [من الهزج]

أَيا طَعْنَةَ ما شَيْخٍ كَبيرٍ يَفَنٍ بالى
تَفتّيتُ بها اذ كَرِهَ الشِّكّةَ أَمْثالى

وكان الفند قد كبر وحضر القتال فطعن فارسين مقتربين فرماهما جميعا

وقد كان جرى لنا مثل ذلك وهو ان فلّاحا من العلاة جاء يركض الى ابى وعمّى رحمهما الله قال شاهدت سريّة افرنج تائهين قد جاءوا من البرّيّة لو خرجتم اليهم اخذتموهم فركب ابى وعمّاى وخرجوا بالعسكر الى السريّة التائهة واذا به السردانى صاحب طرابلس فى ثلاثمائة فارس ومائتى تُركبولى 2) وهم رماة الافرنج فلمّا رأوا اصحابنا ركبوا خيلهم واطلقوا على اصحابنا هزموهم وتمّوا يطردونهم فاحرف عليهم مملوك لوالدى يقال له

---

1) Ms.: شمال.

2) C'est ainsi que porte le manuscrit.

ياقوت الطويل وابى وعمّى رحمهما الله بريانه فطعن فارسا منهم الى جانبه فارس اخــر وهما يتبعان اصحابنا فــرمى الفارسين والفرسين وكان هــذا الغلام كثير التخليط والزلّات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها فكلّما همّ والدى به وبتأديبه يقــول عمّى يا اخــى بحياتــك هــب لى ذنبه ولا تنس 1) له تلك الطعنة فيصفح عنه لكلام اخيه، وكان حمدات الذى تقدّم ذكره ظريف الحديث، حدّثنى والدى رحمه الله قال قلتُ لحمدات ونحــن سائــرون فى طريــق اصبهان سحــرا امير حمدات اكلت اليوم شيئا قال نعم يا امير اكلت ثريدة قلت ركبنا فى الليل وما نزلنا ولا اوقدنا نارا من ايــن لــك الثريدة قال يا امير عملتها فى فمى اخلط فى فمى الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريــدة، وكان الــوالــد رحمه الله كثير المباشرة للحــرب وفى بــدنــه جراح هائلة ومات على فراشه وحضر يوما القتال وهو لابس وعليه خوذة اسلاميّة بانف فزرقه رجل بحربة وكان معظم قتالهم مع العرب ذلك الزمان فوقعت الحربة فى انف الخوذة فانطوى وادمى انفه ولم يؤذه ولو كان قــدر الله سبحانــه ان يميل المزراق عن انف الخوذة كان اهلكه، وضُرب مــرّة اخــرى بنشّابة فى ساقــه وفى خفّه دشنىّ فــوقع السهم فى الدشن فانكسر فيه ولم يجرحه هذا لحسن دفاع الله تعالى وشهد رحمــه الله الحرب يــوم الاحد تاسع وعشرين شوّال سنة سبع وتسعين واربعمائة مــع سيــف الــدولــة خلف بــن ملاعب الاشبهى 2) صاحــب افامية بارض كفرطــاب فلبس جوشنه وعجل الغلام عن طرح كلّاب الجوشن من الجانب فجاءه خشت فضربه فى ذلك الموضع الذى احلّ الغلام بستره فوق بزّة الايسر خرج الخشت من فوق بزّه الايمن فكانت اسباب السلامة لمّا جرت بها المشيئة من العجب والجرح لما قدره الله سبحانه من العجب فطعن رحمه الله فى ذلــك اليوم فارسا

1) Ms.: دمسى.

2) Le texte du ms. paraît plutôt provenir d'une leçon الاشهبى.

واحرف حصانه وثنى يده برمحه وجذبه من المطعون فحدّثنى قال حسستُ شيئا قد لذع زندى فظننته من حرارة صفائح الجوشن الّا أن رمحى سقط من يدى فرددتها فاذا قد طُعنت فى يدى وقد استرحت لقطع شىء من الاعصاب فحضرته رحمه الله وزيد الجرائحىّ يداوى جرحه وعلى رأسه غلام واقف فقال يا زيد أخرجْ هذه الحصاة من الجرح فما كلّمه الجرائحىّ فعاد فقال يا زيد ما تبصر هذه الحصاة ما تزيلها من الجرح فلمّا اضجره قال اين الحصاة هذا رأس عصب قد انقطع وكان بالحقيقة ابيض كانه حصاة من حصا الفرات واصابه ذلك اليوم طعنة اخرى وسلّم الله حتى مات على فراشه رحمه الله يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وخمس مائة وكان يكتب خطّا مليحا فما غيّرت تلك الطعنة من خطّه وكان لا ينسخ سوى القرآن فسألته يوما فقلت يا مولاى كم كتبت ختمة قال الساعة تعلمون فلمّا حضرته الوفاة قال فى ذلك الصندوق مساطر كتبت على كلّ مسطرة ختمة ضعوها يعنى المساطر تحت خدّى فى القبر فعددناها فكانت ثلاثا واربعين مسطرة فكان كتب بعدّتها ختمات منها ختمة كبيرة كتبها بالذهب وكتب فيها علوم القران قراءاته وغريبه وعربيّته وناسخه ومنسوخه وتفسيره وسبب نزوله وفقهه بالحبر والحمرة والزرقة وترجمه بالتفسير الكبير وكتب ختمة اخرى بالذهب مجرّدة من التفسير وباقى الختمات بالحبر ·مذهّبة الاعشار والاخماس والايات ورؤس السور ورؤس الاجزاء وما يقتضى الكتاب ذكر هذا وانما ذكرته لاستدعى له الرحمة ممّن وقف عليه؛ اعود الى ما تقدّم وفى ذلك اليوم اصاب غلاما كان لعمّى عزّ الدولة ابى· المرهف نصر رحمه الله يقال له موفّق الدولة شمعون طعنة عظيمة· التقاها دون عمّى عزّ الدين ابى العساكر سلطان رحمه الله واتّفق ان عمّى ارسله رسولا الى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش الى حلب فلمّا حضر بين يديه قال لغلمانه مثل هذا يكون

الغلمان واولاد الحلال فى حقّ مواليهم وقال لشمعون حدّثهم حديثك ايّام والدى وما فعلتَه مع مولاك فقال يا مولانا بالامس حضرت القتال مع مولاى فحمل عليه فارس يطعنه فدخلت بينه وبين مولاى لافديه بنفسى فطعنّى قطع من اضلاعى ضلعين وهى ونعمتك عندى فى قطرة فقال له الملك رضوان والله ما اعطيك الجواب حتى تنفذ تحضر القمطرة والاضلاع فاقام عنده وارسل من احضر القمطرة وفيها عظمان من اضلاعه فعجب رضوان من ذلك وقال لاصحابه كذا اعملوا فى خدمتى، فامّا الامر الذى سأله عنه ايّام والده تاج الدولة فان جدّى سديد الملك ابا الحسن على بن مقلّد بن نصر بن منقذ رحمه الله سيّر ولده عزّ الدولة نصر رحمه الله الى خدمة تاج الدولة وهو معسكر بظاهر حلب فقبض عليه واعتقله ووكّل به من يحفظه وكان لا يدخل اليه سوى مملوكه هذا شمعون والموكّلون حول الخيمة فكتب عمّى الى ابيه رحمهما الله يقول ينفذ لى فى الليلة الفلانيّة وعيّنها قوما من اصحابه ذكرهم وخيلا اركبها الى الموضع الفلانىّ فلمّا كانت تلك الليلة دخل شمعون خلع ثيابه فلبسها مولاه وخرج على الموكّلين فى الليل فما انكروه ومضى الى اصحابه وركب وسار ونام شمعون فى فراشه وجرت العادة ان يجيئه شمعون فى السحر بوضوئه فكان رحمه الله من الزهّاد القائمين ليلهم يتلون كتاب الله تعالى فلمّا اصبحوا ولم يروا شمعون دخل كعادته دخلوا الخيمة فوجدوا شمعون وعزّ الدولة قد راح فانهوا ذلك الى تاج الدولة فامر باحضاره فلمّا حضر بين يديه قال كيف عملت قال اعطيت مولاى ثيابى لبسها وراح ونمت انا فى فراشه قال وما خشيت ان اضرب رقبتك قال يا مولاى اذا ضربتَ رقبتى وسلم مولاى وصل الى بيته فانا السعيد بذلك ما اشترانى وربّانى الّا لافديه بنفسى فقال تاج الدولة رحمه الله لحاجبه سلّمْ الى هذا الغلام خيل مولاه ودوابّه وخيامه وجميع بركه وسيّره يتبع صاحبه وما انكر عليه وما احنقه ما فعل فى

خدمة مولاه فهذا الذى قال له رضوان حدّثْ اصحابى ما عملته ايّام والدى مع مولاك، اعود الى حديث الحرب المقدّم ذكرها مع ابن ملاعب وجُرح عمّى عزّ الدولة رحمه الله فى ذلك اليوم عدّة جراح منها طعنة طُعنها فى جفن عينه السفلانىّ من ناحية المأق ونشب الرمح فى المأق عند مؤخّر العين فسقط الجفن جميعه وبقى معلّقا بجلده من مؤخّر العين والعين تلغب لا تستقرّ وانما الجفون التى تمسك العين فخاطها الجرائحىّ وداواها فعادت كحالها الاوّلة لا يُعرَف العين المطعونة من الاخرى وكانا رحمهما الله من اشجع قومهما ولقد شهدتهما يوما وقد خرجا الى الصيد بالبزاة نحو تلّ ملح وهناك طير ماء كثير فما شعرنا الّا وعسكر طرابلس قد غار على البلد ووقفوا عليه فرجعنا وكان الوالد من اثر مرض فامّا عمّى فخفّ من معه من العسكر وسار حتى عبر من المخاض الى الافرنج وهم يرونه وامّا الوالد فسار والحصان يخبّ به وانا معه صبىّ وفى يده سفرجلة يمتصّ منها فلمّا دنونا من الافرنج قال لى امضِ انت ادخلْ من السّكر وعبر هو من ناحية الافرنج، ومرّة اخرى شاهدته وقد غارت علينا خيل محمود بن قراجا ونحن على فسحة من البلد وخيل محمود اقرب اليه منّا وانا قد حضرت القتال ومارست الحرب فلبست كزاغندى وركبت حصانى واخذت رمحى وهو رحمه الله على بغلة فقلت يا مولاى ما تركب حصانك قال بلى وسار كما هو غير منزعج ولا مستعجل وانا لخوفى عليه أُلِحّ عليه فى ركوبه حصانه الى ان وصلنا الى البلد وهو على بغلته فلمّا عاد اولئك وأمنّا قلت يا مولاى ترى العدوّ قد حال بيننا وبين البلد وانت لا تركب بعض جنائبك وانا اخاطبك فلا تسمع قال يا ولدى فى طالعى أننى لا ارتاع .وكان رحمه الله له اليد الطولى فى النجوم مع ورعه ودينه وصومه الدهر وتلاوة القرآن وكان يحرّضنى على معرفة علم النجوم فآبى وامتنع فيقول فاعرفْ اسماء النجوم ما يطلع منها ويغرب فكان يرينى النجوم

ويعرّفنى اسماءها، ورأيت من اقدام الرجال ونخواتهم فى الحرب أنّا اصبحنا
وقت صلاة الصبح رأينا سريّة من الافرنج نحوا من عشرة فوارس جاءوا
الى باب المدينة قبل يُفتح فقالوا للبوّاب اىّ شىء اسم هذا البلد
والباب خشب بينهما عوارض وهو داخل الباب قال شيزر فرموه بنشّاب
من خلل الباب ورجعوا وخيلهم تخبّ بهم فركبنا فكان عمّى رحمه الله
اوّل راكب وانا معه والافرنج رائحون غير منزعجين يلحقنا من الجند
نفر فقلت لعمّى على امرك آخذ اصحابنا واتبعهم اقلعهم وهم غير بعيدين
قال لا وكان اخبر منّى بالحرب فى الشأم افرنجىّ لا يعرف شيزر هذه
مكيدة ودعا فارسين من الجند على فرسين سوابق وقال امضيا اكشفا
تلّ ملح وكان مكمنا للافرنج فلمّا شارفاه خرج عليهما عسكر انطاكية
جميعه فاستقبلنا متسرّعيهم نريد الفرصة فيهم قبل ركود الحرب ومعنا
جمعة النُّميرىّ وابنه محمود وجمعة فارسنا وشيخنا فوقع ابنه محمود فى
وسطهم فصاح جمعة يا فرسانَ الخيل ولدى فرجعنا معه فى ستّة عشر
فارسا طعنّا ستّة عشر فارسا من الفرنج واخذنا صاحبنا من بينهم
واختلطنا نحن وهم حتى اخذ واحد رأس ابن 1) جمعة تحت ابطه
فخلّص ببعض تلك الطعنات، ومع هذا فلا يثق انسان بشجاعته ولا
يُعجب باقدامه فوالله لقد سرتُ مع عمّى رحمه الله غزنا على افامية
واتّفق ان رجالها خرجوا ليسيّروا قافلة فسيّروها وعادوا ونحن لقيناهم
فقتلنا منهم قدر عشرين رجلا ورأيت جمعة النُّميرىّ رحمه الله وفيه
نصف قنطاريّة قد طُعن بها فى لبد السرج وخرج الرمح من البداد
الى فخذه ونفذ الى خلفه فانكسرت القنطاريّة فيه فراعنى ذلك فقال لا
بأس انا سالم ومسك سنان القنطاريّة وجذبها منه وهو وفرسه سالمان
فقلت يا ابا محمود اشتهى انقرّب من الحصن ابصره قال سرْ فرحت انا

---

1) ابن ne se trouve pas dans le ms.

وهو نُخبّ فرسيْنا فلمّا اشرفنا على الحصن اذا من الافرنج ثمانية من الفرسان وقوف على الطريق وهى مشرفة على الميدان من ارتفاع لا يُنزَل منه الّا من تلك الطريق فقال لى جمعة قف حتى اريك ما اصنع فيهم قلت ما هذا انصاف بل نحمل عليهم انا وانت قال سر فحملنا عليهم فهزمناهم ورجعنا نحن نرى أنّا قد فعلنا شيئا ما يقدر يفعله غيرنا نحن اثنان قد هزمنا ثمانية فرسان من الافرنج فوقفنا على ذلك الشرف ننظر الحصن فما راعنا الّا رُوَيْجِلٌ قد طلع علينا من ذلك السند الصعب معه قوس ونشّاب فرمانا ولا سبيل لنا اليه فهُزمنا والله ما صدقنا نتخلّص منه وخيلنا سالمة ورجعنا دخلنا مرج افامية فسقنا منه غنيمة كثيرة من الجواميس والبقر والغنم وانصرفنا وفى قلبى من ذلك الراجل الذى هزمنا حسرة الذى ما كان لنا اليه سبيل وكيف هزمنا راجل واحد وقد هزمْنا ثمانية فرسان من الافرنج٬ وشهدتُّ يوما وقد غارت علينا خيل كفرطاب فى قلّة ففزعنا اليهم طامعين فيهم لقلّتهم وقد كمنوا لنا كمينا فى جماعة منهم وانهزم الذين غاروا فتبعناهم حتى ابعدنا عن البلد فخرج الينا الكمين ورجع الينا الذين كنّا نطردهم فرأينا اننا ان انهزمنا قلعونا كلّنا فالتقيناهم مستقبلين فنصر الله عليهم فقلعنا منهم ثمانية عشر فارسا منهم من طُعن فمات ومنهم من طُعن فوقع وهو سالم ومنهم من طُعن حصانه فهو راجل فجذب الذين فى الارض منهم سالمون سيوفهم ووقفوا كلّ من اجتاز بهم ضربوه فاجتاز جمعة النُّميرىّ رحمه الله بواحد منهم فخطا اليه وضربه على رأسه وعلى رأسه قلنسُوة فقطعها وسنّ جبهته وجرى منها الدم حتى نزح وبقيتْ مثل فم السمكة مفتوحة فلقيته ونحن فى ما نحن فيه من الافرنج فقلت له يا ابا محمود ما تعصب جرْحك فقال ما هذا وقت العصائب وشدّ الجراح وكان لا يزال على وجهه حرقة سوداء وهو رمد وفى عينيه عروق حمر فلمّا اصابه ذلك الجرح وخرج منه الدم الكثير زال ما كان يشكوه من عينيه

ولم يعد يناله منهما رمد ولا الم، فربما صحّت الاجسام بالعلل واما الافرنج فانهم اجتمعوا بعد ما قتلنا منهم من قتلنا ووقفوا مقابلنا فجاءنى ابن عمّى ذخيرة الدولة ابو القنا خطام 1) رحمه الله فقال يا ابن عمّى معك جنيبتان وانا على هذا الفرس لحطم قلت للغلام قدّمْ له الحصان الاحمر فقدّمه له فساعة ما استوى فى سرجه حمل على الافرنج وحده فاوحوا له حتى توسّطهم وطعنوه رموه وطعنوا الحصان واقلبوا قنطاريّاتهم وصاروا يُبركسونه 2) بها وعليه زرديّة حصينة ما يعمل رماحهم فيها فتصايحنا صاحبكم صاحبكم وحملنا عليهم فهزمناهم عنه واستخلصناه وهو سالم واما الحصان فمات فى يومه فسبحان المسلّم القادر، وتلك الوقعة انما كانت لسعادة جمعة وشفاء عينيه فسبحان القائل وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ 3)، وقد جرى لى مثل ذلك كنت بالجزيرة فى عسكر اتابك فدعانى صديق لى الى داره ومعى ركابىّ اسمه غُنيم قد استسقى ودقّت رقبته وكبر جوفه وقد تغرّب معى فانا ارعى له ذلك فدخل بالبغلة الى اصطبل ذلك الصديق هو وغلمان الحاضرين وعندنا شابّ تركىّ سكر وغلب عليه السكر فخرج الى الاصطبل جذب سكّينه وهجم على الغلمان فانهزموا وخرجوا وغُنيم لضعفه ومرضه قد طرح السرج تحت رأسه ونام فما قام حتى خرج كلّ من فى الاصطبل فضربه ذلك السكران بالسكّين تحت سُرّته فشقّ من جوفه قدر اربع اصابع فوقع فتوضّعه فحمله الذى دعانا وهو صاحب قلعة باسهرا 4) الى دارى وحمل الذى جرحه وهو مكتوف معه الى دارى فاطلقته وتردّد اليه الجرائحىّ فصلح ومشى وتصرّف الّا ان الجرح ما خُتم وما زال يخرج

---

1) Ms.: ابو القنا حطام.
2) Ms.: يركشونه.
3) *Coran*, II, 213.
4) Ms.: باسهرا.

منه مثل القشور وماء اصفر مدّة شهرين ثم خُتم وضمر جوفه وعاد الى الصحّة فكان ذلك الجرح سببا لعافيته، ورأيتُ يوما البازدار قد وقف بين يدى والدى رحمه الله وقال يا مولاى هذا الباز قد لحقه حصّ وهو يموت وعينه الواحدة قد تلفت فتصبّد به وهو باز شاطر وهو تالف فخرجنا الى الصيد وكان معه رحمه الله عدّة بزاة فرمى ذلك الباز على درّاجة وكان يهاجم فى السّنح فنجت الدرّاجة فى جمّة غلفاء ودخل الباز معها وقد صار على عينه كالنقطة الكبيرة فضربته شوكة من الغلفاء فى تلك النقطة ففقّتها فجاء به البازدار وعينه قد سالت وهى مطبوقة فقال يا مولاى تلفت عين الباز فقال كلّه تالف ثم من الغد فتح عينه وهى سالمة وسلم ذلك الباز عندنا حتى قرنص قرناصين فكان من اشطر البزاة، ذكرته بما جرى لجمعة وغُنيم وان لم يكن موضع ذكر البزاة، ورأيت من استسقى وفصدوا جوفه فمات وغُنيم شقّ ذلك السكران جوفه سلم وعوفى فسبحان القادر، وغار علينا عسكر انطاكية واصحابنا قد التقوا اوائلهم وجاءوا قدّامهم وانا واقف فى طريقهم انتظر وصولهم الى العلى انال منهم فرصة واصحابنا يعبرون علىّ منهزمين فعبر علىّ فى مرغة محمود بن جمعة فقلت قف يا محمود فوقف لحظة ثم دفع فرسه ومضى عنّى ووصلنى اوائل خيلهم فاندفعت بين ايديهم وانا رادّ رمحى اليهم ملتفت انظرهم لا ينسرّع الىّ منهم فارس يطعنّى وبين يدىّ جماعة من اصحابنا ونحن بين بساتين لها حيطان طول قعدة الرجل فندستُ فرسى يصدّرها رجلٌ من اصحابنا فردّتُ رأس فرسى على يسارى فضربتها بالمهاميز فقرب الحائط فضبطتُ حتى صرت انا والافرنج مصطفّين وبيننا الحائط فتسرّع منهم فارس عليه تشهير حرير احضر واصفر فظننت أن ما تحته درع فتركته حتى يجاوزنى وضربت الفرس بالمهاميز فقرب الحائط وطعنته فمال الى ان وصل رأسه ركابه ووقع ترسه والرمح من يده والخوذة عن رأسه ونحن قد وصلنا الى رجّالتنا

ثم عاد انتصب فى سرجه وكان عليه زردية تحت التشهير فما جرحته الطعنة وادركه اصحابه ثم عادوا واخذ الرجّالة الترس والرمح والخوذة فلمّا انقضى القتال ورجع الافرنج جاءنى جمعة رحمه الله يعتذر عن ابنه محمود وقال هذا الكلب انهزم عنك قلت واىّ شىء يكون قال ينهزم عنك ولا يكون شىء قلت وحياتك يا ابا محمود وانت تنهزم عنّى ايضا قال يا امير والله ان موتى اسهل علىّ من ان انهزم عنك ولم يمض الّا ايّام قلائل حتى غارت علينا خيل حماة فأخذوا لنا باقورة وحبسوها فى جزيرة تحت الطاحون الجلالىّ وطلع الرماة على الطاحون يحمون الباقورة فوصلتهم انا وجمعة وشجاع الدولة ماضى مولّد لنا وكان رجلا شجاعا فقلت لهما نعبر الماء ونأخذ الدوابّ فعبرنا فامّا ماضى فضربتْ فرسه نشّابةٌ فقتلتْها وبالجهد اوصلتْه الى اصحابه وامّا انا فضربتْ فرسى نشّابةٌ فى اصل رقبتها فجازت فيها قدر شبر فوالله ما رُمحتْ ولا قلقتْ ولا كانّها احسّت بالجرح وامّا جمعة فرجع خوفا على فرسه فلمّا عدنا قلت يا ابا محمود ما قلتُ لك انك تنهزم عنّى وانت تلوم ابنك محمودا قال والله ما خفتُ الّا على الفرس فانها تعزّ علىّ واعتذر، وقد كنّا ذلك اليوم التقينا نحن وخيل حماة وقد سبقهم بعضهم بالباقورة الى الجزيرة فاقتتلنا نحن وهم وفيهم فرسان عسكر حماة سرهنك وغازى التُّلّى ومحمود بن بلداجى وحصن الطوط واسباسلار خطلج وهم اكثر عددا منّا فحملنا عليهم فهزمناهم وقصدت فارسا منهم اريد اطعنه واذا هو حصن الطوط فقال الصنيعة يا فلان فعدلت عنه الى اخر فطعنته فوقع الرمح تحت ابطه فلو تركه ما كان وقع فشدّ عضده عليه يريد يأخذ الرمح والفرس مستديرة 1) بى فطار فى السرج على رقبة الحصان فوقع ثم قام وهو على شفير الوادى المنحدر الى الجلالىّ فضرب حصانه وساقه

1) Ms.: مسدرة.

بين يديه ونزل وحمدت الله سبحانه الذى ما ناله ضررٌ من تلك الطعنة لانه كان غازى التُّلّى وكان رحمه الله رجلا جيّدًا، ونزل علينا عسكر انطاكية فى بعض الايّام منزلا كان ينزله كلّما نزل علينا ونحن ركّاب مقابلهم وبيننا النهر فلم يقصدنا منهم احد وضربوا خيامهم ونزلوا فيها فرجعنا نحن نزلنا فى دورنا ونحن نراهم من الحصن فخرج من جندنا نحو من عشرين فارسا الى بندر قنين 1) قرية بالقرب من البلد يرعون خيلهم وقد تركوا رماحهم فى دورهم فخرج من الافرنج فارسان سارا الى قريب من اولئك الجند الذين يرعون خيلهم فصادفوا رجلا على الطريق يسوق بهيمة فأخذوه وبهيمته ونحن نراهم من الحصن وركب اولئك الجند ووقفوا ما معهم رماح فقال عمّى هاؤلاء عشرون لا يخلّصون اسيرا مع فارسين لو حصرهم جمعة رأيتم ما يعمل هو يقول ذلك وجمعة لابس يركض اليهم فقال عمّى ابصروا الساعة ما يعمل فلمّا دنا من الفارسين وهو يركض كفّ رأس فرسه وسار خلفهم سترة فلمّا رأى عمّى بوقفه عنهما وهو على روشن له فى الحصن يراه دخل من الروشن مغضبا وقال هذا خذلان وكان توقّف جمعة خوفا من جورة كانت بين يدى الفارسين لا يكون لهم فيها كمين فلمّا وصل تلك الجورة وما فيها احد حمل على الفارسين خلّص الرجل والبهيمة وطردهما الى الخيام وكان ابن ميمون صاحب انطاكية يرى ما جرى فلمّا وصل الفارسان انفذ اخذ ترسيهما جعلهما مَعالف 2) للدوابّ ورمى خيمتهما وطردهما وقال فارس واحد من المسلمين يطرد فارسين من الافرنج ما انتم رجال انتم نساء وامّا جمعة فوبّخه وجرّد عليه لوقوعه عنهما اوّل ما وصلهما فقال يا مولاى خفت لا يكون لهم فى جورة رابية القرامطة كمين يخرج علىّ فلمّا كشفتها وما رأيت فيها احدا استخلصت الرجل والبهيمة وطردتهما حتى دخلا

---

1) Ms.: قنس.

2) Ms.: معالفا.

عسكرهما فلا والله ما قبل عذره ولا رضى عنه، والافرنج خذلهم الله
ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة ولا عندهم تقدمة
ولا منزلة عالية الّا للفُرسان ولا عندهم ناس الّا الفرسان فهم اصحاب
الرأى وهم اصحاب القضاء والحكم وقد حاكمتُهم مرّة على قُطعان غنم
اخذها صاحب بانياس من الشَّعراء وبيننا وبينهم صلح وانا اذذاك
بدمشق فقلت للملك فلك بن فلك هذا تعدّى علينا وأخذ دوابّنا
وهو وقتُ ولاد الغنم فولدتْ وماتت اولادها وردّها علينا بعد ان
اتلفها فقال الملك لستّة سبعة من الفرسان قوموا اعملوا له حكما فخرجوا
من مجلسه واعتزلوا وتشاوروا حتى اتّفق رأيهم كلّهم على شيء واحد
وعادوا الى مجلس الملك فقالوا قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه
غرامة ما اتلف من غنمهم فامره الملك بالغرامة فتوسّل اليّ ونقل عليّ
وسألنى حتى أخذت منه اربع مائة دينار وهذا الحكم بعد ان تعقّده
الفرسان ما يقدر الملك ولا احد من مقدّمى الافرنج بغَيْره ولا ينقصه
فالفارس امر عظيم عندهم ولقد قال لى الملك يا فلان وجودتى لقد
فرحتُ البارحة فرحا عظيما قلت الله يفرّح الملك بما ذا فرحتَ قال
قالوا لى انك فارس عظيم وما كنت اعتقد انك فارس قلت يا مولاى
انا فارس من جنسى وقومى واذا كان الفارس دقيقا طويلا كان اعجب
لهم وكان نزل علينا دنكرى وهو اوّل اصحاب انطاكية بعد ميمون فقاتلنا
ثم اصطلحنا فنفذ يطلب حصانا لغلام لعمّى عزّ الدين رحمه الله
وكان فرسا جوادا فنفّذه له عمّى تحت رجل من اصحابنا كرديّ يقال
له حَسّنون وكان من الفرسان الشجعان وهو شابّ مقبول الصورة دقيق
ليسابق بالحصان بين يدى دنكرى فسابق به فسبق الخيل المجراة
كلّها وحضر بين يدى دنكرى فصار الفرسان يكشفون سواعده ويتعجّبون
من دقّته وشبابه وقد عرفوا انه فارس شجاع فخلع عليه دنكرى فقال
له حسنون يا مولاى اريدك تعطينى امانك أنك ان ظفرتَ بى فى

القتال تصطنعنى وتطلقنى فاعطاه امانه على ما توقّم حسنون فانهم لا يتكلّمون الّا بالافرنجىّ ما ندرى ما يقولون ومضى على هذا سنة او اكثر وانقضت مدّة الصلح وجاءنا دنكرى فى عسكر انطاكية فقاتلنا عند سور المدينة وكانت خيلنا لقيت اوائلهم فطعن فيهم رجل يقال له كامل المشطوب من اصحابنا كردىّ وهو وحسنون نظراء فى الشجاعة وحسنون واقف مع والدى رحمه الله على حجرة له ينتظر حصانه يأتيه به غلامه من عند البيطار ويأتيه كزاغنده فأبطأ عليه واقلقه طعنُ كامل المشطوب فقال لوالدى يا مولاى أُمُرْ لى بلباس خفيف فقال هذه البغال عليها السلاح واقفة مهما صلح لك البسْه وانا اذذاك واقف خلف والدى وانا صبىّ وهو اوّل يوم رأيت فيه القتال فنظر الكزاغندات فى عيبها على البغال فما وافقته وهو يغلى يريد يتقدّم يعمل كما عمل كامل المشطوب فتقدّم على حجرته وهو معرّى فاعترضه فارس منهم فطعن الفرس فى فطأتها فعصت على فأس اللجام وحملتْ به حتى رمتْه فى وسط موكب الافرنج فأخذوه اسيرا وعذّبوه انواع العذاب وارادوا قلع عينه اليسرى فقال لهم دنكرى لعنه الله اقلعوا عينه اليمين حتى اذا حمل الترس استترت عينه اليسار فلا يبقى يبصر شيئا فقلعوا عينه اليمين كما امرهم وطلبوا منه الف دينار وحصانا ادهم كان لوالدى من خيل خفاجة جوادا من احسن الخيل فاشتراه بالحصان رحمه الله،
وكان خرج من شيزر فى ذلك اليوم راجل كثير فحمل عليهم الفرنج فما زعزعوهم من مكانهم فحرّد دنكرى وقال انتم فرسانى وكلّ واحد منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم وهاولاء سرجند يعنى رجّالة ما تقدروا 1) تقلعونهم من موضعهم قالوا انما خوفنا على الخيل والّا دسناهم وطعنّاهم قال الخيل لى من قُتل حصانه أخلفتُه عليه فحملوا على الناس عدّة

1) Ms.: تعدروا; correctement تقدرون.

حملات فقُتل منهم سبعون حصانا وما قدروا يزحزحونهم من مواقفهم ، وكان بافامية فارس من كبار فرسانهم يقال له بدرهوا فكان ابدا يقول ترى ما التقى جمعة في القتال وجمعة يقول ترى ما التقى بدرهوا في القتال فنزل علينا عسكر انطاكية وضرب خيامه في الموضع الذى كان بنزله وبيننا وبينهم الماء ولنا موكب واقف على شرف مقابلهم فركب فارس من الخيام وسار حتى وقف تحت موكبنا والماء بينه وبينهم وصاح بهم فيكم جمعة قالوا لا والله ما كان حاضرا فيهم وكان ذلك الفارس بدرهوا فالتفت فرأى اربعة فوارس منّا من ناحيته يحيى بن صافى الاعسر وسهل بن ابى غانم الكردىّ وحارثة النُّميرىّ وفارس اخر فحمل عليهم فهزمهم ولحق واحدا منهم طعنه طعنةً فَشْلَةً ما لحقه حصانه ليمكن الطعن وعاد الى الخيام ودخل اولئك النفر الى البلد فافتضحوا واستخفهم الناس ولاموهم وازروْا بهم وقالوا اربعة فوارس يهزمهم فارس واحد كنتم افترقتم له فكان طعن واحدا منكم وكان الثلاثة قتلوه ولا قد افتضحتم وكان اشدّ الناس عليهم جمعة النُّميرىّ فكانّ تلك الهزيمة منحتهم قلوبا غير قلوبهم وشجاعة ما كانوا يطمعون فيها فانتخوا وقاتلوا واشتهروا في الحرب وصاروا من الفرسان المعدودين بعد تلك الهزيمة ، وامّا بدرهوا فانه سار بعد ذلك من افامية في بعض شغله يريد انطاكية فخرج عليه الاسد من غاب في الروج في طريقه فخطفه عن بغلته ودخل به الى الغاب اكله لا رحمه الله ، ومن اقدام الرجل الواحد على الجمع الكثير فمن ذلك ان اسباسلار مودود رحمه الله نزل بظاهر شيزر يوم الخميس تاسع ربيع الاوّل سنة خمس وخمس مائة وقد قصده دنكرى صاحب انطاكية في جمع كثير فخرج اليه عمّى ووالدى رحمهما الله وقالا الصواب ان ترحل وكان نازلا شرقىّ البلد على النهر وتنزل في البلد ويضرب العسكر خيامهم على السطوحات في المدينة ونلقى الافرنج بعد ان نحرز خيامنا واثقالنا فرحل ونزل كما قالا له واصبحا خرجا اليه وخرج

من شيزر خمسة الاف 1) راجل معدّين ففرح بهم اسباسلار وقويت نفسه وكان معه رحمه الله رجال جياد فصفّوا من قبلىّ الماء والافرنج نزول شماليّه فنعوهم من الشرب والورود نهارهم فلمّا كان الليل رحلوا راجعين الى بلادهم والناس حولهم فنزلوا على تلّ الترمسى فنعوهم الورود كما عملوا بالامس فرحلوا فى الليل ونزلوا على تلّ التلول 2) والعسكر قد ضايقهم ومنعهم من المسير فاحتاطوا بالماء ومنعوهم من الورود ورحلوا فى الليل متوجّهين الى افامية ففرغ اليهم العسكر واحتاطوا بهم وهم سائرون فخرج منهم فارس واحد فحمل على الناس حتى توسّطهم فقتلوا حصانه واثخنوه بالجراح فقاتل وهو راجل حتى وصل الى اصحابه ودخل الافرنج ارضهم وعاد المسلمون عنهم ومضى اسباسلار مودود رحمه الله الى دمشق فجاءنا بعد اشهر كتاب دنكرى صاحب انطاكية مع فارس معه غلمان واصحاب يقول هذا فارس محتشم من الافرنج وصل حجّ ويريد الرجوع الى بلاده وسألنى ان اسيّره اليكم يبصر فرسانكم وقد نفّذته فاستوصوا به وكان شابّا حسن الصورة حسن اللباس الّا ان فيه اثار جراح كثيرة وفى وجهه ضربة سيف قد قدّت من مفرقه الى حَكَمته فسألت عنه فقالوا هذا الذى حمل على عسكر اسباسلار مودود وقتلوا حصانه وقاتل حتى رجع الى اصحابه فتعالى الله القادر على ما يشاء كيف شاء لا يؤخّر الاجل الاحجام ولا يقدّمه الاقدام، ومن ذلك ما حكاه لى العُقاب الشاعر رجل من اجنادنا من المغرب قال خرج ابى من تدمر يريد سوق دمشق ومعه اربعة فوارس واربعة رجّالة وهم يسوقون ثمانية جمال ليبيعوها قال بينا نحن نسير اذا فارس مقبل من صدر البرّيّة فجاء يسير حتى صار بالقرب منّا فقال خلّوا عن الجمال فصحنا عليه وشتمناه فاطلق حصانه علينا فطعن منّا فارسا رماه عن فرسه وجرحه فطردناه

---

1) Ms.: الف.

2) Ms.: دل الىلول.

فسبق ثمّ عاد الينا وقال خلّوا عن الجمال فصحنا عليه وشتمناه فحمل علينا فطعن راجلا منّا اوثقه بالجرح وتبعناه فسبقنا ثمّ عاد وقد بطل منّا رجلان فاطلق علينا فاستقبله رجل منّا فطعنه صاحبنا فوقعت الطعنة فى قربوس سرجه فانكسر رمح صاحبنا وطعنه الفارس فجرحه ثمّ حمل علينا فطعن رجلا منّا فصرعه وقال خلّوا عن الجمال والّا افنيتكم قلنا تعالَ خذ نصفها قال لا احبسوا منها اربعة اتركوها وقوفا وخذوا اربعة وامضوا ففعلنا وما صدقنا نخلص بما سلم معنا وساق هو تلك الاربعة ونحن نراه ما لنا فيه حيلة ولا طمع وعاد بالغنيمة وهو وحده ونحن ثمانية رجال ، ومن ذلك ان دنكرى صاحب انطاكية اغار على شيزر فاستاق دوابّ 1) كثيرة وقتل وسبا ونزل على قرية يقال لها زلين 2) فيها مغار معلّقة لا يوصل اليها فى وسط الجبل ما اليها من فوق منزل ولا اليها من اسفل مطلع وانما ينزل اليها من يحتمى فيها بالحبال وذلك يوم الخميس العشرين من ربيع الاخر سنة اثنتين وخمس مائة فجاء شيطان من فرسانهم الى دنكرى فقال أعمل لى صندوقا من خشب وانا اقعد فيه ودلّونى من الجبل اليهم بسلاسل اوثقوها فى الصندوق حتى لا يقطعوها بالسيوف فاسقط فعملوا له صندوقا ودلّوه بالسلاسل الى المغار المعلّقات فأخذها وانزل كلّ من كان فيها الى دنكرى وذلك ان المغار بَهْوٌ ما فيه مكان يستتر الناس فيه وذلك يرميهم بالنشّاب فلا تقع نشّابة الّا فى انسان لضيق الموضع وكثرة الناس فيه وكان ممّن أُسر فى جملة من أُسر فى ذلك اليوم امرأة كانت من اصل جيّد من العرب وُصفت لعمّى ابى العساكر سلطان رحمه الله قبل ذلك وهى فى بيت ابيها فارسل عمّى عجوزا من اصحابه تبصرها فعادت تصفها وجمالها وعقلها امّا لرغبة بذلوها لها وامّا آثروها غيرها فخطبها عمّى وتزوّجها

1) Ms.: دوابا.

2) Ms.: رلس.

فلمّا دخلت عليه رأى غير ما وُصف له منها ثم هى خرساء فوفاها
مهرها وردّها الى قومها فأُسرت من بيوت قومها ذلك اليوم فقال عمّى
ما ادع امرأة تزوّجتُها وانكشفت علىّ فى اسر الفرنج فاشتراها رحمه الله
بخمس مائة دينار وسلّمها الى اهلها، ومن ذلك ما حدّثنى به
المؤيّد الشاعر البغدادى بالموصل سنة خمس وستّين وخمس مائة قال
أقطع الخليفة والدى ضيعة وهو يتردّد اليها وبها جماعة من العيّارين
يقطعون الطريق والدى يصانعهم لخوفه منهم ولانتفاعه بشىء ممّا
يأخذونه فنحن يوما جلوس بها اقبل غلام تركىّ على حصانه ومعه
بغل رحل عليه خرج وجارية راكبة فوق الخرج فنزل وانزل الجارية فقال
يا فتيان اسعدونى على حطّ الخرج فجئنا حطناه 1) معه واذا به كلّه
دنانير ذهب ومصاغ فجلس هو والجارية اكلوا شيئا ثم قال اسعدونى
على رفع الخرج فرفعناه معه فقال لنا كيف طريق الأنبار فقال له
والدى الطريق هاهنا واشار الى الطريق ولكن فى الطريق ستّون عيّارا
اخاف عليك منهم فضرط له وقال انا اخاف من العيّارين فتركه والدى
ومضى الى العيّارين اخبرهم خبره وما معه فخرجوا حتى عارضوه فى
الطريق فلمّا رآهم اخرج قوسه وترك فيه سهما واستوفاه يريد يرميهم
فانقطع الوتر فهاجم عليه العيّارون فانهزم واخذوا البغل والجارية والخرج
فقالت لهم الجارية يا شباب بالله لا تهتكونى وبيعونى نفسى والبغل ايضا
بعقد جوهر مع التركىّ قيمته خمس مائة دينار وخذوا الخرج وما فيه
قالوا قد فعلنا قالت 2) ابعثوا معى بعضكم حتى اتحدّث مع التركىّ
وآخذ العقد فبعثوا معها من يحفظها حتى دنت من التركىّ وقالت
له قد اشتريت نفسى والبغل بالعقد الذى فى ساق موزك خفّك
اليسار فادفعه لى قال نعم وانفسخ عنهم واخرج الساق موزا واذا فيه

1) Ms.: حطناه; correctement حططناه.
2) Ms.: قال.

وتر قوس فركبه على قوسه ورجع اليهم فما زالوا يقاتلونه وهو يقتل منهم واحدا واحدا حتى قتل منهم ثلاثة واربعين رجلا ونظر فاذا والدى فى الجماعة الباقين من العيّاريين فقال وانت فيهم فتشتهى اعطيك نصيبك من النشّاب قال لا قال خذ هاولاء السبعة عشر الباقين امض بهم الى شحنة البلد تسبقهم واولئك قد زنهروا ورموا سلاحهم وساق بغله بما عليه ومضى وقد ارسل الله تعالى على العيّاريين منه مصيبة وسخطة عظيمة، ومن ذلك ما حضرته فى سنة تسع وخمس مائة وقد خرج والدى رحمه الله بالعسكر الى اسباسلار برسق بن برسق رحمه الله وقد وصل بامر السلطان الى الغزاة وهو فى خلق عظيم وجماعة من الامراء منهم امير الجيوش اوزبه 1) صاحب الموصل وسنقر دراز صاحب الرحبة والامير كندغدى والحاجب الكبير بكتمر وزنكى بن برسق وكان من الابطال وتميرك واسمعيل البلخىّ وغيرهم من الامراء فنزلوا على كفرطاب وفيها اخوا منويل 2) والافرنج فقاتلوها ودخّلوا الخراسانيّة فى الخندق ينقبون والافرنج قد ايقنوا بالهلاك وطرحوا النار فى الحصن فاحرقوا السقوف ووقعت على الخيل والدوابّ والغنم والخنازير والأسارى فاحترق الجميع وبقى الفرنج معلّقين فى اعلاه على الحيطان فوقع لى ان ادخل فى النقب ابصره فنزلتُ فى الخندق والنشّاب والحجار مثل المطر علينا ودخلت النقب فرأيت حكمة عظيمة قد نقبوا من الخندق الى الباشورة واقاموا فى جوانب النقب قائمتين وعليهما عرضيّة تمنع من تهدّم ما فوقها ونظموا النقب بالاخشاب كذلك الى آساس الباشورة ثم نقبوا حيط الباشورة وعلّقوه وبلغوا آساس البرج والنقب ضيّق انما هو طريق الى البرج فلمّا وصلوه وسّعوا النقب فى حائط البرج وحمّلوه على الاخشاب ويخرجون نُقارة الاحجار اوّلا فاوّل وارض النقب من النقش 3) قد

1) Lecture douteuse; ms.: اوربه.
2) Ms.: دمويل. 3) Lecture douteuse; ms.: النعس.

صارت طينا فرأيته وخرجت ولم يعرفنى لخراسانيّة ولو عرفونى ما تركونى اخرج الّا بغرامة كثيرة لهم وشرعوا فى تقطيع الخشب اليابس وحشوا النقب بذلك الخشب واصبحوا طرحوا فيه النار وقد لبسنا وزحفنا الى الخندق لنهاجم الحصن اذا وقع البرج وعلينا من الحجارة والنشّاب بلاء عظيم فاوّل ما عملت النار صار يسقط ما بين الاحجار من تكحيل الكلس ثم انشقّ واتّسع الشقّ ووقع البرج ونحن نظنّ انه اذا وقع تمكّنّا من الدخول عليهم فوقع الوجه البرّانىّ وبقى الحيط الجوانىّ كما هو فوقفنا الى ان حميت الشمس علينا ورجعنا الى خيامنا وقد نالنا من الحجارة اذى كثير فكثنا الى الظهر واذا قد خرج من العسكر راجل واحد معه سيفه وترسه فمضى الى حيط البرج الذى قد وقع وقد صارت جوانبه كدرج السلّم فتوقّل فيه حتى صعد الى اعلاه فلمّا رآه رجال العسكر تبعه منهم قدر عشرة رجال تسرّعوا بعدّتهم فصعدوا واحدا وراء واحد حتى صاروا على البرج والافرنج لا يشعرون بهم ولبسنا نحن من الخيام وزحفنا فكثروا على البرج قبل ان يتكامل الناس عندهم ففرغ اليهم الافرنج فرموهم بالنشّاب فجرحوا الذى طلع فى الاوّل فنزل وتتابع الناس فى الطلوع وصاروا مع الافرنج على بدن من حيطان البرج وبين يديهم برج فى بابه فارس لابس ومعه ترسه وقنطاريّته يحمى من دخول البرج وعلى البرج جماعة من الافرنج يقاتلون الناس بالنشّاب والحجارة فصعد رجل من الاتراك ونحن نراه ومشى والبلاء يأخذه الى ان دنا من البرج وضرب الذى عليه بقارورة نفط فرأيته كالشهاب على تلك الحجارة اليهم وقد رموا نفوسهم الى الارض خوفا من الحريق ثم عاد وطلع اخر يمشى على البدن ومعه سيف وترس فخرج عليه من البرج الذىّ فى بابه الفارس رجل منهم عليه زرديّتان وبيده قنطاريّة وما معه ترس فلقيه التركىّ وفى يده سيفه فطعنه الافرنجىّ فدفع سنان القنطاريّة عنه بالترس ومشى الى الافرنجىّ وقد دخل على

الرمح اليه فولّى عنه وادار ظهره وامال ظهره كالراكع خوفا على رأسه فضربه التركىّ ضربات ما عملت فيه شيئا ومشى حتى دخل البرج وقوى عليهم الناس وتكاثروا فسلّموا الحصن ونزل الأسارى الى خيام برسق بن برسق فشاهدتُ ذلك الذى خرج بقنطاريّته على التركىّ وقد جمعوهم فى سرادق برسق بن برسق ليقطعوا على نفوسهم ثمنا يخلصون به فوقف وكان سرجندىّ وقال كم تأخذون منّى قالوا نريد ستّمائة دينار فضرط لهم وقال انا سرجندىّ ديوانى كلّ شهر دينارين 1) من اين لى ستّمائة دينار وعاد جلس بين اصحابه وكان حلقة عظيمة فقال الامير السيّد الشريف وكان من كبار الامراء لوالدى رحمهما الله يا اخى ترى هاؤلاء القوم نعوذ بالله منهم فقضى الله سبحانه ان العسكر رحل عن كفرطاب الى دانيث وصبّحهم عسكر انطاكية يوم الثلثاء الثالث والعشرين من ربيع الاخر وكان تسليم كفرطاب يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الاخر فقُتل الامير السيّد رحمه الله وخلق كثير من المسلمين وعاد الوالد رحمه الله وكنتُ فارقته من كفرطاب وقد كُسر العسكر ونحن فى كفرطاب نحرّزها نريد نعمرها وكان اسباسلار سلّمها الينا ونحن نُخرج الأسارى كلّ اثنين فى قيد من اهل شيزر وقد احترق نصف ذا وقد بُقيت فخذه وذا قد مات فى النار فرأيت منهم عبرة عظيمة فتركناها وعدنا الى شيزر مع الوالد رحمه الله وقد أُخذ كلّ ما كان معه من الخيام والجمال والبغال والبرك والتحمّل وتفرّق العسكر وكان ما جرى عليهم بمكيدة من لؤلؤ الخادم صاحب حلب ذلك الوقت قرّر مع صاحب انطاكية ان يحتال عليهم ويفرّقهم ويخرج ذلك من انطاكية بعسكره يكسرهم فارسل الى اسباسلار برسق رحمه الله يقول تنفذ لى بعض الامراء ومعه جماعة من العسكر اسلّم اليه حلب فانى اخاف من

1) *Sic*; correctement ديناران.

اهل البلد ان لا يطاوعونى على التسليم فاريد ان يكون مع
الامير جماعة اتقوى بهم على الحلبيّين فنفّذ اليه امير الجيوش
اوزبه 1) ومعه ثلاثة الاف 2) فارس وصبّحهم روجار لعنه الله كسرهم لنفاق
المشيئة وعاد الافرنج لعنهم الله الى كفرطاب عمروها وسكنوها وقدّر الله
تعالى ان خلص الأسرى من الفرنج الذين أُخذوا من كفرطاب فان
الامراء اقتسموهم وابقوهم معهم ليشتروا انفسهم الّا ما كان من امير الجيوش
فانه قدّم الذين طلعوا فى سهمه ضرب رقاب جميعهم قبل يتوجّه الى
حلب وافترق العسكر من سلم منهم من دانيث وتوجّهوا الى بلادهم
فذلك الرجل الذى طلع وحده الى برج كفرطاب كان سبب أخذها،
ومن ذلك كان فى خدمتى رجل يقال له نُمير العلاروزى راجل شجاع
ايد نهض هو وقوم من رجال شيزر الى الروج الى الافرنج فعبروا فى
البلد على قافلة من الافرنج فى مغارة فقال بعضهم لبعض من يدخل
عليهم قال نُمير انا فدفع اليهم سيفه وترسه وجذب سكّينه ودخل عليهم
فاستقبله رجل منهم فضربه بالسكّين رماه وبرك عليه يقتله وخلفه افرنجىّ
معه سيف فضربه وعلى ظهر نُمير مزود فيه خبز فهو يردّ عنه فلمّا
قُتل الرجل الذى تحته التفت الى صاحب السيف يريده فضربه
بالسيف فى جانب وجهه فقطع حاجبه وجفن عينه وخدّه وانفه
وشفته العليا فتدلّى جانب وجهه على صدره فخرج من المغارة الى
اصحابه فشدّوا جرحه ورجعوا به فى ليلة باردة ماطرة فوصل شيزر وهو
على تلك الحال فخيّط وجهه وداوى جراحه فبرأ وعاد الى ما كان عليه
الّا ان عينه تلفت وهو احد الثلاثة الذين رموهم الاسماعيليّة من
حصن شيزر وقد تقدّم ذكرهم، وحدّثنى الرئيس سهرى 3) وكان فى

1) Lecture douteuse; ms.: اوربه.
2) Ms.: الف.
3) Telle est la leçon du ms.

خدمة الامير شمس لخواصّ الويساس 1) صاحب رفنية وكان بينه وبين علم الدين علىّ كرد صاحب حماة عداوة وخلف قال امرنى شمس الخواصّ ان اخرج اقدّر بلد رفنية وابصر زرعه فخرجت ومعى قوم من الجند فقدّرت البلد ونزلت ليلة عند المساء بقرية من قرى رفنية لها برج صعدنا الى سطحه تعشّينا وجلسنا وخيلنا على باب البرج فما شعرنا الّا برجل قد اشرف علينا من بين شراريف البرج فصاح علينا ورمى نفسه الينا وفى يده سكّينة فانهزمنا ونزلنا فى السلّم الاوّل وهو خلفنا ونزلنا فى السلّم الثانى وهو خلفنا حتى وصلنا الباب فخرجنا واذا قد رتب لنا رجالا على الباب فقبضونا جميعنا واوثقونا رباطا ودخلوا بنا الى حماة الى علىّ كرد فما سلمنا من ضرب الرقبة الّا بفسحة الأجل فحبسنا وغرّمنا وكان الذى فعل بنا ذلك كلّه رجل واحد، ومثل ذلك جرى فى حصن الخربة 2) كانت لصلاح الدين محمّد بن ايّوب الغُسيانىّ رحمه الله وفيها الحاجب عيسى واليها وهو حصن منيع على صخرة مرتفعة من جميع جوانبها يُطلَع اليه بسلّم خشب ثم يرفع السلّم ولا يبقى اليها طريق وليس مع الوالى فى الحصن سوى ابنه وغلامه وبوّاب الحصن وله صاحب يقال له ابن المَرْجىّ 3) يطلع اليه فى الوقت بعد الوقت فى اشغاله فتحدّث مع الاسماعيليّة وقرّر له معهم قرارا ارضاه من مال واقطاع ويسلّم اليهم حصن الخربة ثم جاء الى الحصن فاستأذن وطلع فبدأ بالبوّاب قتله ولقيه الغلام فقتله ودخل على الوالى قتله وعاد الى ابن الوالى فقتله وسلّمه الى الاسماعيليّة وقاموا له بما كانوا قرّروه له والرجال اذا قوّوا نفوسهم على شىء فعلوه، ومن ذلك تفاضل الرجال

---

1) C'est ainsi qu'on lit dans le manuscrit, sans doute au lieu de البيروقتاش.

2) Ms.: الخربه.

3) Ms.: المرحى.

فى همّهم ونخواتهم وكان الوالد رحمه الله يقول لى كلّ جيّد من سائر الاجناس من الردئ من جنسه ما يكون بقيمته مثل حصان جيّد يسوى مائة دينار بقيمته خمس حصن ردئة تسوى مائة دينار وكذلك الجمال وكذلك انواع الملبوس الّا ابن آدم فان الف رجل ارديا لا يساوون رجلا واحدا جيّدا وصدق رحمه الله، كنت قد نفّذت مملوكا لى فى شغل مهمّ الى دمشق واتّفق ان اتابك زنكى رحمه الله اخذ حماة ونزل على حمص فاستدّت الطريق على صاحبى فتوجّه الى بعلبكّ ومنها الى طرابلس واكرى بغل رجل نصرانىّ يقال له يونان 1) فحمله الى حيث اكراه وودّعه ورجع وخرج صاحبى فى قافلة يريد يتوصّل الى شيزر من حصون الجبل فلقيهم انسان فقال لارباب الدوابّ لا تمضوا فان فى طريقكم فى الموضع الفلانىّ عقد حراميّة فى ستّين سبعين رجلا يأخذونكم قال فوقفنا لا ندرى ما نعمل ما نطيّب نفوسنا بالرجوع ولا نتجسر على المسير من الخوف فنحن كذلك اذا الريّس يونان قد اقبل مسرعا فقلنا ما لك يا ريّس قال سمعت ان فى طريقكم حراميّة جئت لاسيّركم سيروا فسرنا معه الى ذلك الموضع واذا قد نزل من الجبل خلقٌ عظيم من الحراميّة يريدون اخذنا فلقيهم يونان وقال يا فتيان موضعكم انا يونان وهاؤلاء فى خفارتى والله ما فيكم من يتقرّب منهم فردّهم والله جميعهم عنّا وما أكلوا من عندنا رغيف خبز ومشى معنا يونان حتى امنّا ثم ودّعنا وانصرف، وحكى لى صاحبى هذا عن ابن صاحب الطور وكان طلع معى الى مصر فى سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة قال حدّثنى ابن والى الطور وهى ولاية لمصر بعيدة كان الحافظ لدين الله رحمه الله اذا اراد ابعاد بعض الامراء ولّاه الطور وهو قريب من بلاد الافرنج قال وليها والدى وخرجت انا معه الى الولاية

---

1) Ms.: بوناں.

وكنت مُغْرًى بالصيد فخرجت اتصيّد فوقع بى قوم من الافرنج فأخذونى ومضوا بى الى بيت جبريل فحبسونى فيه فى جبّ وحدى وقطع علىّ صاحب بيت جبريل الفى دينار فبقيت فى الجبّ سنة لا يسئل عنّى احد فانا فى بعض الايّام فى الجبّ واذا قد رُفع عنه الغطاء ودُلّى الىّ رجل بدوىّ فقلت من اين أخذوك قال من الطريق فاقام عندى يُوَيْمات وقطعوا عليه خمسين دينارا فقال لى يوما من الايّام تريد تعلم ان ما يخلّصك من هذا الجبّ الّا انا فخلّصْنى حتى اخلّصك فقلت فى نفسى رجل قد وقع فى شدّة يريد لروحه الخلاص فما جاوبته ثم بعد ايّام اعاد علىّ ذلك القول فقلت فى نفسى والله لاسعىّ فى خلاصه لعلّ الله يخلّصنى بثوابه فصحتُ بالسجّان فقلت له قل للصاحب اشتهى اتحدّث معك فمضى وعاد اطلعنى من الجبّ واحضرنى عند الصاحب فقلت له لى فى حبسك سنة ما سأل احد عنّى ولا يدرى انا حىّ او ميّت وقد حبستَ عندى هذا البدوىّ وقطعت عليه خمسين دينارا اجعلْها زيادة على قطيعتى ودعنى اسيّرْه الى ابى حتى يفكّنى قال افعلْ فرجعتُ عرّفت البدوىّ وخرج ودّعنى ومضى فانتظرت ما يكون منه شهرين فما رأيت له اثرا ولا سمعت له خبرا فيَئِسْتُ منه فما راعنى ليلة من الليالى الّا وهو قد خرج علىّ من نقب فى جانب الجبّ وقال قم والله لى خمسة اشهر احفر هذا السرب من قرية خربة 1) حتى وصلت اليك فقمت معه وخرجنا من ذلك السرب وكسر قيدى واوصلنى الى بيتى فما ادرى ممّ اعجب من حسن وفائه او من هدايته حتى طلع نقبُه من جانب الجبّ، واذا قضى الله سبحانه بالفرج فما اسهل اسبابه، كنت اتردّد الى ملك الافرنج فى الصلح بينه وبين جمال الدين محمّد بن تاج الملوك رحمه الله لِيد

---

1) Ms.: خربه.

كانت للوالد رحمه الله على بغدوين الملك والد الملكة امرأة الملك فلك
ابن فلك فكان الافرنج يسوقون أسارام التى لاشتريهم فكنت اشترى
منهم من سهّل الله تعالى خلاصه فخرج شيطان منهم يقال له كليام جيبا 1)
فى مركب له يغزى فأخذ مركبا فيه حجّاج من المغاربة نحو اربع
مائة نفس رجال ونساء فكان يجيئنى اقوام مع مالكهم فاشترى منهم من
قدرت على شراه وفيهم رجل شابّ يسلّم ويقعد لا يتكلّم فسألت
عنه فقيل لى هو رجل زاهد صاحبه دبّاغ فقلت له بكم تبيعنى هذا
قال وحقّ دينى ما ابيعه الّا هو وهذا الشيخ جملة كما اشتريتهما
بثلاثة واربعين دينارا فاشتريتهما واشتريت لى منهم نفرا واشتريت للأمير
معين الدين رحمه الله منهم نفرا بمائة وعشرين دينارا ووزنت ما كان
معى وضمنت علىّ بالباقى وجئت الى دمشق فقلت للأمير معين
الدين رحمه الله قد اشتريت لك أسارى اختصّك بهم وما كان معى
ثمنهم والان قد وصلت الى بيتى ان اردتّهم وزنتَ ثمنهم والّا وزنته
انا قال لا بل انا ازن والله ثمنهم وانا ارغب الناس فى ثوابهم وكان رحمه
الله اسرع الناس الى فعل خير وكسب مثوبة ووزن ثمنهم وعدت بعد
أيام الى عكّا وقد بقى من الأسرى عند كليام جيبا 2) ثمانية وثلاثون
أسيرا وفيهم امرأة لبعض الذين خلّصهم الله تعالى على يدى فاشتريتها
منه وما وزنت ثمنها فركبت الى داره لعنه الله وقلت تبيعنى منهم
عشرة قال وحقّ دينى ما ابيع الّا الجميع قلت ما معى ثمن الجميع
وانا اشترى بعضهم والنوبة الاخرى اشترى الباقى قال ما ابيعك الّا الجميع
فانصرفت وقدّر الله سبحانه انهم هربوا فى تلك الليلة جميعهم وسكّان
ضياع عكّا كلّهم من المسلمين اذا وصل اليهم الأسير اخفوه واوصلوه الى
بلاد الاسلام وتطلّبهم ذلك الملعون فما ظفر منهم بأحد واحسن الله

---

1) Ms.: كلمام حسا.
2) C'est ainsi qu'on lit dans le ms.

سبحانه خلاصهم واصبح يطالبنى بثمن المرأة التى كنت اشتريتها وما وزنتُ ثمنها وقد هربتْ فى من هرب فقلتُ سلّمْها الىّ وخذ ثمنها قال ثمنُها لى من امس قبل ان تهرب والزمنى بوزن ثمنها فوزنتُه وهان ذلك علىّ لمسرّتى بخلاص اولئك المساكين، ومن عجائب السلامة اذا جرى بها القدر وسبقت بها المشيئة ان الأمير فخر الدين قرا ارسلان ابن سقمان بن ارتق رحمه الله عمل على مدينة آمد عدّة مرار وانا فى خدمته ولا يبلغ منها مقصوده وكان اخر ما عمل عليها ان اميرا من الاكراد كان مُدَيْونا بآمد راسله ومعه جماعة من اصحابه وقرّر الامر ان يصله العسكر فى ليلة تواعدوا اليها ويطلعهم بالحبال ويملك آمد فعوّل فخر الدين فى ذلك المهمّ على خادم له افرنجىّ يقال له ياروق 1) والعسكر كلّه يمقته ويكرهه لسوء اخلاقه فركب فى بعض العسكر وتقدّم وركب باقى الامراء فتبعوه وتوانى هو فى السير فسبقه الامراء الى آمد فاشرف عليهم ذلك الامير الكردىّ واصحابه من برج ودَلَّوْا اليهم الحبال وقالوا اطلعوا ما طلع منهم احد فنزلوا كسروا اقفال باب المدينة وقالوا ادخلوا ما دخلوا كلّ ذلك لاعتماد فخر الدين على صبىّ جاهل فى هذا المهمّ العظيم دون الامراء الكبار وعلم بذلك الامير كمال الدين علىّ بن نيسان 2) والبلديّة والجند ففرغوا اليهم فقتلوا بعضهم ورمى بعضهم نفسه وقبضوا بعضهم ومدّ بعض الذين رموا نفوسهم وهو نازل فى الهواء يده كانه يريد شيءا يتمسّك به فوقع فى يده حبل من تلك الحبال التى دَلَّوْها اوّل الليل وما طلعوا فيها فتعلّق به ونجا دون اصحابه الّا ان كفّيْه انسلخا من الحبل هذا وانا حاضر واصبح صاحب امد يتبع الذين عملوا عليه فقتلهم وسلم ذلك من دونهم فسبحان من اذا قدّر السلامة انقذ الانسان من لهاة الاسد فذلك حقّ لا مثل، كان فى

---

1) Ms.: باروق.
2) Ms.: سسان.

حصن الجسر رجل من اصحابنا من بنى كنانة يعرف بابن الاحمر ركب فرسه من حصن الجسر يريد كفرطاب لشغل له فاجتاز بكفرنبوذا وقافلة عابرة على الطريق فرأوا الاسد ومع ابن الاحمر حربة تلمع فصاح اليه اهل القافلة يا صاحب الخشب البرّاق دونك الاسد فحمله الحياء من صياحهم ان حمل على الاسد فخاضت به الفرس فوقع وجاءه فبرك عليه وكان لما يريد الله من سلامته الاسد شبعان فالتقم وجهه وجبهته فخرج وجهه وصار يلحس الدم وهو بارك عليه لا يؤذيه قال ففتحت عينى فابصرت لهاة الاسد ثم جذبت نفسى من تحته ورفعت فخذه عنّى وخرجت تعلّقت بشجرة بالقرب منه وصعدت فيها فرآنى وجاء خلفى فسبقت وطلعت فى الشجرة فنام الاسد تحت الشجرة وعلانى من الذرّ شىء عظيم على تلك الجراح والذرّ يطلب جريح الاسد كما يطلب الفأر جريح النمر قال فرأيت الاسد قد قعد وانصب آذانه كانه يتسمّع ثم قام يهرول فاذا قافلة قد اقبلت على الطريق كانه سمع حسّها فعرفوه وحملوه الى بيته وكان اثر انياب السبع فى جبهته وخدّيه كوسم النار فسبحان المسلّم، قلت تفاوضنا يوما فى ذكر القتال ومؤدّبى الشيخ العالم ابو عبد الله محمّد بن يوسف المعروف بابن المنيرة رحمه الله يسمع فقلت له يا استاذ لو ركبتَ حصانا ولبست كزاغندا وخوذة وتقلّدت سيفا وحملت رمحا وترسا ووقفت عند مشهد العاصى موضع ضيق كان الافرنج لعنهم الله يجتازون به ما كان يجوزك احد منهم قال بلى والله كلّهم قلت كانوا يهابونك ولا يعرفونك قال سبحان الله فانا ما اعرف نفسى ثم قال لى يا فلان ما يقاتل عاقل قلت يا استاذ تحكم على فلان وفلان وعددتُ له رجالا من اصحابنا من شجعان الفرسان انهم مجانين قال ما ذا قصدت انما قصدى ان العقل لا يحضر وقت القتال ولو حضر ما كان الانسان يلقى بوجهه السيوف وبصدره الرماح والسهام ما هذا شىء يقضى به العقل وكان رحمه الله بالعلم اخبر ممّا

هو بالحرب فان العقل هو الذى يحمل على الاقدام على السيوف والرماح والسهام انفة من موقف الجبان وسوء الاحدوثة ودليل ذلك ان الشجاع يلحقه الزمع والرعدة وتغيّر اللون قبل دخوله فى الحرب لمّا تفكّر فيه وتحدّث به نفسه مما يريد يعمله ويباشره من الخطر والنفس ترتاع لذلك وتكرهه فاذا دخل فى الحرب وخاض غمارها ذهب عنه ذلك الزمع والرعدة وتغيّر اللون وكلّ امر لا يحضره العقل يظهر فيه الخطأ والزلل، ومن ذلك ان الفرنج نزلوا مرّة على حماة فى ازوادها وفيها زرع مخصب فضربوا خيامهم فى ذلك الزرع وخرج من شيزر جماعة من الحراميّة يدورون بعسكر الافرنج يسرقون منه فرأوا الخيام فى الزرع فاصبح بعضهم حضر صاحب حماة وقال الليلة احرق عسكر الافرنج كلّه قال ان فعلتَ خلعتُ عليك فلمّا امسى خرج ومعه نفر على رايه طرحوا النار غربيّ الخيام فى الزرع ليسوقها الرياح الى خيامهم فصار الليل بضوء النار كالنهار فرآهم الافرنج فقصدوهم فقتلوا اكثرهم وما نجا منهم الّا من رمى نفسه فى الماء وسبح الى الجانب الاخر فهذه اثار الجهل وعواقبه، ورأيت مثل ذلك وان لم يكن فى الحرب وقد عسكرّ الافرنج على بانياس فى جمع كثير ومعه البطرك وقد ضرب خيمة كبيرة جعلها كنيسة يصلّون فيها يتولّى خدمتها شيخ شمّاس منهم وقد فرش ارضها بالحلفاء والحشيش فكثرت البراغيث فوقع لذلك الشمّاس ان يحرق الحلفاء والحشيش ليحترق البراغيث فطرح فيه النار وقد يبس فارتفعت السنتها وعلقت بالخيمة فتركها رمادا فهذا لم يحضره العقل، وضدّه اننا ركبنا فى بعض الايّام من شيزر الى الصيد وعمّى رحمه الله معنا وجماعة من العسكر فخرج علينا السبع من قصباء دخلناها لصيد الدرّاج فحمل عليه رجل من الجند كردىّ يقال له زهر الدولة بختيار القرصىّ سُمّى بذلك للطف خلقته وكان رحمه الله من فرسان المسلمين فاستقبله السبع فخاض به الحصان فرماه وجاءه السبع وهو ملقًى فرفع رجله فتلقّمها

السبع وبادرناه فقتلنا السبع واستخلصناه وهو سالم فقلنا له يا زهر الدولة لم رفعت رجلك الى فم السبع قال جسمى كما ترونه ضعيف نحيف وعلىّ ثوب وغلالة وما فىّ أكسى 1) من رجلى فيها الرانات والخفّ والساق موزا فقلت أشغله بها عن اضلاعى او يدى او رأسى الى ان يفرّج الله تعالى فهذا حضره العقل فى موضع تزول فيه العقول واولئك ما حضرهم العقل فالانسان احوج الى العقل من كلّ ما سواه وهو محمود عند العاقل والجاهل، ومن ذلك ان روجار صاحب انطاكية كتب الى عمّى يقول قد نفّذتُ فارسا من فرسانى فى شغل مهمّ الى القدس اسئل ان تنفذ خيلك تأخذه من افامية ويوصلونه الى رفنية فركب وارسل اليه من احضره فلمّا لقيه قال قد نفّذنى صاحبى فى شغل وسرٍّ له لكنّنى رأيتك رجلا عاقلا فانا احدّثك به فقال له عمّى من اين عرفت انى عاقل وما رأيتنى قبل الساعة قال لانى رأيت البلاد التى مشيتُ فيها خربة وبلدك عامر فعرفت انك ما عمرته الّا بعقلك وسياستك وحدّثه ما جاء فيه، وحدّثنى الامير فضل بن ابى الهيجاء صاحب اربل قال حدّثنى ابو الهيجاء قال بعثنى السلطان ملك شاه لمّا وصل الى الشأم الى الامير ابن مروان صاحب ديار بكر يقول اريد ثلاثين الف دينار فاجتمعتُ به واعدت عليه الرسالة فقال تستريح ونتحدّث واصبح امر ان يدخلونى الحمّام ونفّذ آلة للحمّام جميعها فضّة ونفّذ لى بدلة ثياب وقالوا لفرّاشى كلّ آلة الحمّام لكم فلمّا خرجت لبست ثيابى ورددت جميع الحوائج فتركنى ايّاما ثم امر لى بالحمّام وما انكر ردّ الحوائج وحملوا معى آلة للحمّام افضل من الآلة الاوّلة وبدلة ثياب افضل من البدلة الاوّلة وقال الفرّاش لفرّاشى كما قال اوّلا فلمّا خرجت لبست ثيابى ورددت الحوائج والثياب فتركنى ثلاثة اربعة

1) Ms.: اكسا.

ايّام ثم علا ادخلنى الى الحمّام وحملوا معى آلات فضّة افضل من الاوّلة وبدلة ثياب افضل من الاوّلة فلمّا خرجت لبست ثيابى ورددت الجميع فلمّا حضرت عند الامير قال لى يا ولدى نفّذتُ اليك ثيابا ما لبستها وآلة الحمّام ما قبلتها ورددتها أىّ شىء سبب هذا قلت يا مولاى جئتُ برسالة السلطان فى شغل ما انقضى اقبل ما تفضّلت به وارجع وما انقضى شغل للسلطان فكانى ما جئت الّا فى حاجتى قال يا ولدى ما رأيت عمارة بلادى وكثرة خيرها وبساتينها وكثرة فلّاحيها وعمارة ضياعها أَتُرانى كنت أُتلف هذا كلّه من اجل ثلاثين الف دينار والله ان الذهب قد كيّستُه من يوم وصولك وانما انتظرت ان يتجاوز السلطان بلادى وتلحقه بالمال خوفا من ان استقبله بالذى طلب فيطلب منّى اذا دنا من بلادى اضعافه فلا تشغل قلبك فشغلك قد انقضى ثم نفّذ لى الثلاث بدلات التى كان نفّذها لى ورددتها مع جميع حوائج الحمّام التى نفّذها لى فى الثلاث دخلات فقبلتها ولمّا تجاوز السلطان ديار بكر اعطانى المال فحملته ولحقتُ به السلطان،

وفى حسن السياسة ربح كثير من عمارة البلاد فمن ذلك انْ اتابك زنكى رحمه الله خطب بنت صاحب خلاط وقد مات ابوها وامّها مدبّرة البلد ونفذ حسام الدولة بن دلماج 1) خطبها لابنه وهو صاحب بدليس فسار اتابك بعسكر حسن الى خلاط على غير الطريق المسلوك لاجل درب 2) بدليس فسلك فيها الجبال فكنّا ننزل بغير خيام وكلّ واحد فى موضعه من الطريق حتى وصلنا خلاط فخيّم اتابك عليها ودخلنا قلعتها وكتبنا المهر فلمّا انقضى الشغل امر اتابك ان يأخذ صلاح الدين معظم العسكر ويسرى الى بدْليس يعاملها فركبنا اوّل

1) Ms.: دلماح.

2) Au dessus de درب, on lit, entre les deux lignes, l'équivalent persan دربند.

الليل وسرنا واصبحنا على بدليس فخرج الينا حسام الدولة صاحبها
فلقينا على فسحة من البلد وانزل صلاح الدين فى الميدان وحمل
اليه الضيافة الحسنة وخدمه وشرب عنده فى الميدان وقال يا مولاى
اىّ شى ترسم فقد تغيّبت وتعبت فى مجيئك قال اتابك احنقه
خطبتُك للبنت التى كان خطبها وانت بذلت لهم عشرة الف دينار
نريدها منك قال السمع والطاعة فعجّل له بعض المال واستمهله بباقيه
ايّاما عيّنها ورجعنا وبلده بحسن سياسته عامر ما دخل عليه خلل٬
وهذا قريب مما جرى لنجم الدولة مٰلك بن سالم رحمه الله وذلك ان
جوسلين غار على الرقّة والقلعة فأخذ كلّ ما عليها وسبى وساق غنائم[1]
كثيرة ونزل مقابل القلعة وبينهم الفرات فركب نجم الدولة مٰلك فى
زورق ومعه ثلاثة اربعة من غلمانه وعبر الفرات الى جوسلين وبينهما
معرفة قديمة وللملك عليه جميل وظنّ جوسلين ان فى الزورق رسولا
من مٰلك فجاءه واحد من الافرنج وقال هذا مٰلك فى الزورق قال ما
هو صحيح فاتاه اخر قال قد نزل مالك من الزورق وهو جاءنى يمشى فقام
جوسلين والتقاه واكرمه وردّ عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم
والسبى ولولا سياسة نجم الدولة كان خُرب بلده اذا انقضت المدّة لم
ينفع الشجاعة ولا الشدّة٬ شاهدت يوما وقد زحف الينا عسكر
الافرنج يقاتلنا ومضى بعضهم مع طغدكين اتابك الى حصن الجسر
يقاتله وكان اتابك اجتمع هو والغازى بن ارتق والافرنج فى افامية
لمحاربة عساكر السلطان وكان وصل بها الى الشأم اسباسلار برسق بن برسق
وقد نزل حماة يوم الاحد تاسع عشر محرّم سنة تسع وخمس مائة
فلمّا نحن فقاتلونا بالقرب من سور المدينة فاستظهرنا عليهم ودفعناهم
وانبسطنا معهم فشاهدت رجلا من اصحابنا يقال له محمّد بن سرايا[2]

1) Ms.: غنائما.
2) Ms.: سرانا.

وهو شابّ شديد ايد قد حمل عليه فارس من الافرنج لعنه الله فطعنه في فخذه فنفذ القنطاريّة فيها فسكها محمّد وهي في فخذه وجعل الافرنجيّ يجذبها ليأخذها ومحمّد يجذبها ليأخذها فترجع في فخذه حتى قُوّرتْ فخذه واستُلّت القنطاريّة بعد ان اتلف فخذه ومات بعد يومين رحمه الله، ورأيت في ذلك اليوم وانا في جانب الناس في القتال فارسا قد حمل على فارس منّا طعن حصانه قتله وصاحبنا راجل في الارض ولا ادرى من هو لبعد ما بيننا فدفعت حصاني اليه خوفا عليه من الافرنجيّ الذي طعنه وقد نقبت القنطاريّة في الحصان وهو ميّت قد خرجت مصارينه والافرنجيّ قد اعتزل عنه غير بعيد وجذب سيفه ووقف مستقبله فلمّا وصلته وجدته ابن عمّي ناصر الدولة كامل ابن مقلّد رحمه الله فوقفت عليه واخليت له ركابي وقلت اركبْ فلمّا ركب رددت رأس حصاني الى المغرب والمدينة من شرقيّنا قال لي الى اين تروح قلت الى هذا الذي طعن حصانك فهو فرصة فمدّ يده وقبض على عنان الحصان وقال ما بطاعنٍ وعلى حصانك لانسانٍ اذا اوصلتني ارجعْ طاعِنْه فمضيت اوصلته وعدت الى ذلك الكلب وقد دخل في اصحابه، وشاهدت من لطف الله تعالى وحسن دفاعه ان الافرنج لعنهم الله نزلوا علينا بالفارس والراجل وبيننا وبينهم العاصى وهو زائد زيادة عظيمة لا يمكنهم ان يجوزوا الينا ولا نقدر نحن نجوز اليهم فنزلوا على الجبل بخيامهم ونزل منهم قوم الى البساتين وهي من جانبهم حملوا خيلهم في القصيل وناموا فتجرّد شباب من رجّالة شيزر وخلعوا ثيابهم واخذوا سيوفهم وسبحوا الى اولئك النيام فقتلوا بعضهم وتكاثروا على اصحابنا فرموا نفوسهم الى الماء وجازوا وعسكر الفرنج قد ركب من الجبل مثل السيل ومن جانبهم مسجد يعرف بمسجد ابى المجدّ بن سُمَيّة 1)

1) Ms.: ابى المحد ىں سمىه.

فيه رجل يقال له حسن الزاهد وهو واقف على سطح ينوب فى
المسجد يصلّى وعليه ثياب سود صوف ونحن نراه وما لنا اليه سبيل
وقد جاء الافرنج فنزلوا على باب المسجد وصعدوا اليه ونحن نقول لا
حول ولا قوّة الّا بالله الساعة يقتلونه فلا والله 1) ما قطع صلاته ولا زال
من مكانه وعاد الافرنج نزلوا ركبوا خيلهم وانصرفوا وهو واقف مكانه
يصلّى ولا نشكّ ان الله سبحانه اعماهم عنه وستره عن ابصارهم فسبحان
القادر الرحيم، ومن ألطاف الله تعالى ان ملك الروم لمّا نزل على
شيزر فى سنة اثنتين وثلثين وخمس مائة خرج من شيزر جماعة من
الرجّالة للقتال فاقتطعوهم الروم فقتلوا بعضا واسروا بعضا فكان فى جملة
من اسروا زاهد من بنى كردوس من الصالحيّة من مولّدى محمود بن
صالح صاحب حلب فلمّا عاد الروم كان معهم مأسورا فوصل القسطنطينية
فهو فى بعض الايّام فيها اذ لقيه انسان فقال انت ابن كردوس قال
نعم قال سر معى اوقفْنى على صاحبك فسار معه حتى اراه صاحبه
فقاوله على ثمنه حتى تقرّر بينه وبين الرومىّ مبلغ ارضاه فوزن له
الثمن واعطى ابن كردوس نفقة وقال تبلغ بها الى اهلك وامضى فى
دعة الله تعالى فخرج من القسطنطينية وتوصّل الى ان عاد الى شيزر
وذلك من فرج الله تعالى وخفىّ لطفه ولا يدرى من الذى شراه
واطلقه، وقد جرى لى ما يشبه ذلك لمّا خرج علينا الافرنج فى
طريق مصر وقتلوا عبّاس بن ابى الفتوح وابنه نصر الكبير انهزمنا نحن
الى جبل قريب منّا فصعد الناس فيه رجّالة يمشون يجرّون خيلهم
وانا على اكديش ولا استطيع المشى فصعدت وانا راكب وسفوحُ ذلك
الجبل كلّها نقارة وحصى كلّما وطئه الفرس أُنهر تحت قوائمه فضربتُ
الاكديش ليطلع فما استطاع ونزل والحصى والنقارة تنزل به فترجّلتُ

1) Ms.: واله.

عنه واقته ووقفت لا اقدر على المشى فنزل الىّ رجل من الجبل فمسك بيدى وبرذونى فى يدى الاخرى حتى اطلعنى ولا والله ما ادرى من هو ولا عدتُّ رأيته وقد كان فى ذلك الوقت الصعب يهونْ فيه تيسير الاحسان ويُطلب المكافاةُ عنه ولقد شربتُ من بعض الاتراك شربة ما اعطيته عنها دينارين وما زال بعد وصولنا دمشق يقتضينى حوائجه ويتوصّل بى الى اغراضه لاجل تلك الشربة التى سقانيها وما كان ذلك الذى اعاننى الّا مَلَكًا رحمنى الله تعالى فاغاثنى 1) به، ومن لطف الله تعالى ما حدّثنى به عبد الله المشرف قال حُبست بحيزان وقُيّدت وضُيّق علىّ فانا فى الحبس والموكّلون على بابه فرأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى النوم فقال اقلع القيد واخرج فانتبهت جذبت القيد فخرج من رجلى وقمت الى الباب اريد افتحه فوجدته مفتوحا فتخطّيتُ الرجال الموكّلين الى منفس فى السور ما ظننت يدى تخرج منه فخرجتُ منه ووقعتُ على مزبلة فبقى فيها اثار وقوعى واثار رجلى ونزلت فى واد 2) حول السور ودخلت مغارة فى سفح الجبل من ذلك الجانب وانا اقول فى نفسى الساعة يخرجون يرون اثرى ويأخذونى فارسل الله سبحانه ثلجا غطا ذلك الاثر وخرجوا يطوفون علىّ وانا اراهم نهارهم ذلك فلمّا امسيتُ وامنتُ الطلب خرجت من تلك المغارة وسرت الى مأمنى، كان هذا الرجل مشرفا على مطبخ صلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسيانى رحمه الله، ومن الناس من يقاتل كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقاتلون للجنّة لا لرغبة ولا لسمعة، ومن ذلك ان ملك الامان الافرنجىّ لعنه الله لمّا وصل الشأم اجتمع اليه كلّ من بالشأم من الافرنج وقصد دمشق فخرج عسكر دمشق واهلها لقتالهم فى جملتهم

1) Texte: فاعاننى, corrigé à la marge en فاغاثنى.
2) Ms.: وادى.

الفقيه الفندلاوىّ والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحولىّ رحمهما الله وكانا من خيار المسلمين فلمّا قاربوهم قال الفقيه لعبد الرحمن ما هاؤلاء الروم قال بلى قال فالى متى نحن وقوف قال سر على اسم الله تعالى فتقدّما فقاتلا حتى قُتلا رحمهما الله فى مكان واحد ومن الناس من يقاتل للوفاء فمن ذلك ان رجلا من الاكراد يقال له فارس وكان كاسمه فارسا واىّ فارس فحضر ابى وعمّى رحمهما الله وقعة كانت بينهما وبين سيف الدولة خلف بن ملاعب عمل عليهم فيها وغدر بهم وقد حشد وجمع وهم غير متأهّبين لما جرى وسبب ذلك انه راسلهم وقال نمضى الى اسفونا وفيها الفرنج نأخذها فسبقه اصحابنا اليها وترجّلوا وزحفوا الى الحصن نقبوه وهم فى القتال وابن ملاعب وصل فأخذ خيل من كان ترجّل من اصحابنا ووقع القتال بينهم بعد ما كان للافرنج واشتدّ بينهم القتال فقاتل فارس الكردىّ قتالا عظيما وجُرح عدّة جراح وما زال يقاتل ويُجرَح حتى أُثخن بالجراح وانفصل القتال فاجتاز به ابى وعمّى رحمهما الله وهو محمول بين الرجال فوقفا عليه وهنّياه 1) بالسلامة فقال والله ما قاتلت اريد السلامة لكن لكم علىّ جميل وفضل كثير وما رأيتكم فى شدّة مثل هذا اليوم فقلت اقاتل بين ايديكم واجازيكم عن جميلكم وأُقتَل قدّامكم وقضى الله سبحانه انه عوفى من تلك الجراح ومضى الى جبلة وفيها فخر الملك بن عمّار وفى اللاذقية الافرنج فخرجت خيل من خيله تريد الغارة على اللاذقية وخرجت خيل من اللاذقية تريد الغارة على خيله فنزل الفريقان فى الطريق وبينهما رابية فطلع فارس من الافرنج من جانبهم يكشف الرابية وطلع فارس الكردىّ من الجانب الاخر يكشف لاصحابه فالتقى الفارسان على متن الرابية فحمل كلّ واحد منهما على صاحبه فاختلفا طعنتين فوقعا ميّتين

---

1) *Sic*; correctement il faudrait وهنّآه

وبقيت الحُصُن تتصاول على الرابية والفارسان قتيلان وكان لفارس هذا عندنا ولد اسمه علان من الجند له الخيل الملاح والعدّة الحسنة ولكن ما كان كابيه فنزل علينا دنكرى صاحب انطاكية يوما وقاتلنا قبل ضرب الخيام وهذا علان بن فارس على حصان ملبج باغز 1) من احسن الخيل وهو واقف على رفعة من الارض فحمل عليه فارس من الافرنج وهو كالغافل فطعن حصانه في رقبته نفذ القنطاريّة فشبّ الحصان رمى علان وعاد الافرنجيّ والحصان معارضه والقنطاريّة في رقبته كانه يجنّبه يتماختر2) بغنيمة حسنة، وعلى ذكر الخيل ففيها الصّبور كالرجال وفيها الخوّار فمن ذلك انه كان في جندنا رجل كردىّ يقال له كامل المشطوب فيه الشجاعة والدين والخير رحمه الله وله حصان ادهم اصمّ مثل الجمل فالتقى هو وفارس من الافرنج فطعن الافرنجيّ حصانه في موضع القلادة فمالت رقبته من شدّة الطعنة وخرجت القنطاريّة من اصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب الاخر وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة ولا فارسه فكنت ارى ذلك الجرح الذى في فخذه بعد ما اندمل وخُتم وهو كاكبر ما يكون من الجراح وسلم الحصان وعاد حضر عليه القتال فالتقى هو وفارس من الافرنج فطُعن الحصان في جبهته خسفها ولم يتزعزع وسلم من تلك الطعنة الثانية فكانت بعد ان أُختمت اذا اطبق الانسان كفّه وادخلها في جبهة الحصان في موضع الجرح وسعها وكان من طريف ما جرى في ذلك الحصان ان اخى عزّ الدولة ابا الحسن عليّا 3) رحمه الله اشتراه من كامل المشطوب وكان يقبل العدوّ فاخرجه في صمان قرية كانت بيننا وبين فارس من

1) Ms.: بياغز.

2) Ms.: بماحىر *sic*.

3) Ainsi à la marge; texte: على.

افرنجى كفرطاب فبقى عنده سنة ثم مات فارسل الينا يطلب ثمنه قلنا اشتريته وركبته ومات عندك كيف تطلب ثمنه قال انتم سقيتموه شيئا يموت منه بعد سنة فعجبنا من جهله وسخافة عقله، وجُرح تحتى حصان على حمص شقّت الطعنة قلبه واصابه عدّة سهام فاخرجنى من المعركة ومنخراه يدميان بالدم كالعزلتين وما انكرتُ منه شيئا وبعد وصولى الى اصحابى مات، وجُرح تحتى حصان فى بلد شيزر فى حرب محمود بن قراجا ثلاثة جراح وانا اقاتل عليه ولا اعلم والله انه قد جُرح لانى ما انكرت منه شيئا، واما خَوَرها وضعفها على الجراح فان عسكر دمشق نزل على حماة وهى لصلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسيانىّ ودمشق لشهاب الدين محمود بن بورى بن طغدكين وانا بها وزحفوا الينا فى جمع كثير ووالى حماة شهاب الدين احمد بن صلاح الدين وهو على تلّ مجاهد 1) فجاءه الحاجب غازى التلّى فقال قد انتشرت الرجّالة والخُوَذ تتلامع بين الخيام والساعة يحملون على الناس يُهلكونهم فقال امض ردّهم فقال والله ما يردّهم الّا انت او فلان يعيننى فقال لى تخرج تردّهم فقلعت زرديّة كانت على غلام لى لبستها وخرجت ردتُّ الناس بالدبّوس وتحتى حصان اشقر من اجود الخيل واتلعها فلمّا رددت الناس زحفوا الينا وما برأ من سور حماة فارس غيرى منهم من دخل المدينة وايقنوا انهم موخوذون 2) ومنهم من هو مترجّل فى ركابى فاذا حملوا علينا أُخّرتُ الحصان بعنانه وانا مستقبلهم واذا عادوا مشيت خلفهم سيرة لضيق المجال وازدحام الناس فضربت حصانى نشّابة فى ساقه خمشته فوقع بى وقام ووقع وانا اضربه حتى قال لى الرجال الذين فى ركابى ادخلْ الى الباشورة اركبْ غيره فقلت والله ما انزل عنه فرأيت من ضعف ذلك الحصان ما لم اره من غيره، ومن حسن صبر الخيل ان

1) Ms.: محاهد.
2) Ms.: موخودون.

طراد بن وهيب النميرى حضر القتال بين بنى نمير وقد قتلوا علىّ بن
شمس الدولة سالم بن مٰلك والى الرقّة وملكوها والحرب بينهم وبين اخيه
شهاب الدين مٰلك بن شمس الدولة وتحت طراد بن وهيب حصان
له من اجود الخيل له قيمة كبيرة فطُعن فى خاصرته فخرجت مصارينه
فسدّها طراد فى السموط لا يدوسها فيقطعها وقاتل حتى انقضى
القتال فدخل به الى الرقّة فمات، قلتُ اذكرنى ذكر الخيل بامر جرى لى
مع صلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسيانىّ رحمه الله وذلك ان ملك
الامراء اتابك زنكى رحمه الله نزل على دمشق فى سنة ثلثين وخمس
مائة بارض داريّا وقد راسله صاحب بعلبكّ جمال الدين محمّد بن
بورى بن طغدكين رحمه الله فى الوصول اليه وخرج من بعلبكّ متوجّها
الى خدمة اتابك فبلغه ان عسكر دمشق خرج يريد اخذه فامر صلاح
الدين ان نركب للغائه ودفع الدمشقيّين عنه فجاءنى رسوله فى الليل
يقول اركبْ وخيمتى الى جانب خيمته وهو قد ركب ووقف عند
خيمته فركبتُ فى الوقت فقال كنتَ قد علمت بركوبى قلتُ لا والله
قال الساعة نفذتُّ اليك فركبتَ فى الوقت قلتُ يا مولاى حصانى يأكل
شعيره ويُلجمه الركابىّ ويقعد وهو فى يده على باب الخيمة وانا البس
عدّتى واتقلّد سيفى وانام فلمّا جاءنى رسولك ما كان لى ما يعوقنى
فوقف الى ان اجتمع عنده جماعة من العسكر وقال البسوا سلاحكم
وقد لبس اكثر الحاضرين وانا الى جانبه ثم قال كم اقول لكم البسوا
سلاحكم قلت يا مولاى لا تكون تعبيّنى قال نعم قلت والله ما اقدر
البس نحن فى اول الليل وكزاغندى فيه زرديّتان مطبّقة اذا رأيت
العدوّ لبسته فسكت وسرنا فاصبحنا عند ضُمير فقال لى ما تنزل تأكل
شيئا فقد جُعْتَ من السهر قلت الامر لك فنزلنا فما استقرّ على
الارض حتى قال اين كزاغندك فامرت الغلام فاحضره واخرجته من
عيبته واخرجت السكّين فتقته عند صدره واظهرت جانب الزرديّتين

وكان فيه زرديّة افرنجيّة الى ذيله وفوقها اخرى الى وسطه على كلّ زرديّة البطائن واللبد واللاسين 1) ووبر الارنب فالتفت الى غلام له كلّمه بالتركيّ ولا ادرى ما يقول فأحضر بين يديه حصانا كُميتا كان اعطاه ايّاه اتابك فى تلك الايّام كالصخرة الصمّاء قُدّت من قُنّة الجبل فقال هذا الحصان يصلح لهذا الكزاغند سلّمه الى غلام فلان فسلّمه الى غلامى، قلتُ كان عمّى عزّ الدين رحمه الله يتفقّد منى حضور فكرى فى القتال ويمتحنّى بالمسئلة فنحن يوما فى بعض الحرب التى كانت بيننا وبين صاحب حماة وقد حشد وجمع ووقف على ضيعة من ضياع شيزر يُحرّق وينهب فجرّد عمّى من العسكر نحوا من ستّين سبعين فارسا وقال لى خذهم وسر اليهم فصبينا نتراكض والتقينا بوادرَ خيلهم فكسرناهم وطعنّاهم وقلعناهم من موضعهم الذى كانوا عليه ونفّذتُ فارسا من اصحابى الى عمّى وابى رحمهما الله وهما واقفان ومعهما باقى العسكر وراجل كثيرا قُلْ لهما سيرا بالرجّالة فقد كسرناهم فسارا الىّ 2) فلمّا قربا حملنا عليهم كسرناهم ورموا خيلهم فى الشاروف 3) وعبروه سباحة وهو زائد ومضوا وعدنا بالنصر فقال لى عمّى اىّ شىء نفّذتَ تقول لى قلت نفّذتُ اقول لك تقدّمْ بالرجّالة فقد كسرناهم فقال مع من نفّذتَ الىّ قلت مع رجب 4) العبد قال صدقتَ ما اراك كنت الّا حاضر القلب ما ادهشك القتال، ومرّة أخرى اقتتلنا نحن وعسكر حماة وكان محمود ابن قراجا قد استعان على قتالنا بعسكر اخيه خيرخان بن قراجا صاحب حمص وكان قد ظهر لهم فى ذلك الزمان حمل الرماح المؤلّفة بوصل الرمح الى بعض رمح اخر بحيث يصير طوله عشرين ذراعا او ثمنية

---

1) Ms.: واللاسى. Lecture incertaine.
2) Ms.: فسار الى.
3) Ms.: الساروب.
4) Ms.: رحب.

عشر ذراعا فوقف مقابلى موكب منهم وانا فى سرية نحو من خمسة عشر
فارسا فحمل علينا منهم علوان العراقىّ وهو من فرسانهم وشجعانهم فلمّا
دنا منّا وما تزعزعنا رجع وردّ رمحه الى خلفه فرأيته كالحبل مطروحا
على الارض لا يقدر يرفعه فاطلقت حصانى عليه فطعنته وقد وصل الى
اصحابه وعدت وراياتهم على رأسى فلقيهم اصحابى وفيهم اخى بهاء
الدولة منقذ رحمه الله فردّهم وقد انقطع نصف بيرق فى كزاغند علوان
ونحن بالقرب من عمّى وهو يرانى فلمّا انفصل القتال قال لى عمّى اين
طعنتَ علوان العراقىّ قلتُ اردت ظهره فمال الهواء بالبيرق فوقع الرمح فى
جانبه قال صدقتَ ما كنت الّا حاضر القلب ذلك الوقت، وما رأيت
الوالد رحمه الله نهانى عن قتال ولا ركوب خطر معما كان يرى فىّ
وارى من اشفاقه وايثاره لى ولقد رأيته يوما وكان عندنا بشيزر رهائن
عن بغدوين ملك الافرنج على قطيعة قطعها لحسام الدين تمرتاش بن
الغازى رحمه الله فرسان افرنج وارمن فلمّا وفوا ما عليهم وارادوا الرجوع
الى بلادهم نفّذ خيرخان صاحب حمص خيلا كمنوا لهم فى ظاهر
شيزر فلمّا توجّه الرهائن خرجوا عليهم اخذوهم ووقع الصائح فركب
عمّى وابى رحمهما الله ووقفا وكلّ من يصل اليهما قد سيّراه من خلفهم
وجئت انا فقال لى ابى اتبعْهم بمن معك وارموا انفسكم عليهم واستخلصوا
رهائنكم فتبعتهم وادركتهم بعد ركض اكثر النهار واستخلصت من كان
معهم واخذت بعض خيل حمص وتعجبت من قوله ارموا نفوسكم عليهم،
ومرّة كنت معه رحمه الله وهو واقف فى قاعة داره واذا حيّة عظيمة
قد أخرجت رأسها على افريز رواق القناطر التى فى الدار فوقف يبصرها
فحملتُ سُلّما كان فى جانب الدار اسندته تحت الحيّة وصعدت اليها
وهو يرانى فلا ينهانى واخرجتُ سكّينا صغيرة من وسطى وطرحتها
على رقبة الحيّة وهى نائمة وبين وجهى وبينها دون الذراع وجعلتُ
احزّ رأسها وخرجتْ التفّتْ على يدى الى ان قطعتُ رأسها والقيتها

الى الدار وهى ميّتة، بل رأيته رحمه الله وقد خرجنا يوما لقتال اسد ظهر على الجسر فلمّا وصلناه حمل علينا من اجمة كان فيها فحمل على الخيل ثم وقف وانا واخى بهاء الدولة منقذ رحمه الله بين الاسد وبين موكب فيه ابى وعمّى رحمهما الله ومعهما جماعة من الجند والاسد قد ربض على حرف النهر يتضرّب بصدره على الارض ويهدر فحملتُ عليه فصاح علىّ ابى رحمه الله لا تستقبله يا مجنون فيأخذك فطعنته فلا والله ما تحرّك من مكانه ومات موضعه فما رأيته نهانى عن قتال غير ذلك اليوم، خلق الله عزّ وجلّ خلقه اطوارا مختلفى الخلق والطبائع الابيض والاسود والجميل والقبيح والطويل والقصير والقوىّ والضعيف والشجاع والجبان بمقتضى حكمته وعموم قدرته، رأيت بعض اولاد الامراء التركمان الذين كانوا فى خدمة ملك الامراء اتابك زنكى رحمه الله وقد اصابته نشّابة ما دخلت فى جلده مقدارَ شعيرة فاسترخى1) وانحلّت اعضاؤه وانقطع كلامه وغاب ذهنه وهو رجل مثل الاسد اجسم ما يكون من الرجال فاحضروا له الطبيب والجرائحىّ فقال الطبيب ما به بأس بل متى ما جُرح ثانية مات فهدأ وركب وتصرّف كما كان ثم اصابته نشّابة اخرى بعد مُدّة أحقر من الاولة واقلّ نكايةً فمات، ورأيتُ ما يقارب ذلك ايضا كان عندنا بشيزر اخوانِ يقال لهما بنو مجاجو2) الواحد اسمه ابو المجدّ3) والاخر محاسن وهما ضمّانُ رحاة الجسر بثمان مائة دينار وعند الرحا مذبح للغنم يَذبح فيه جزارىّ4) البلد ويجتمع الزنابير على اثار الدم فاجتاز محاسن بن مجاجو5) يوما الى الرحا فلسعه زنبور فانفلج وانقطع

1) Ms.: فاسترخا.
2) Ms.: بحاجو; plus bas مجاجو, cf. note 5.
3) Ms.: المجد.
4) Lu par conjecture.
5) Ms.: *Sic*, cf. note 2.

كلامه واشرف على الموت وبقى كذلك مدّة ثم افاق وانقطع عن الرحا مدّة فعاتبه اخوه ابو المجد 1) وقال له يا اخى معنا هذه الرحا بثمان مائة دينار ولا تشرف عليها ولا تبصرها وغدًا ينكسر علينا ضمانُها ونموت فى الحبس فقال له محاسن انت مقصودك ان يلسعنى زنبور اخر فيقتلنى واصبح جاء الى الرحا 2) فلسعه زنبور فمات فايسرُ الاشياء تُقْل اذا فرغ الاجل والفأل موكّل بالمنطق، فمن ذلك انه ظهر عندنا بارض شيزر سَبُع فركبنا اليه فوجدنا غلاما للامير سابق بن وثاب 3) بن محمود بن صالح فى ذلك المكان يرعى فرسه اسمه شمّاس 4) فقال له عمّى اين الاسد قال فى تلك الغلفاء قال سر قدّامى اليها قال انت مقصودك ان يخرج الاسد يأخذنى ومشى قدّامه فخرج الاسد كانه مرسَل الى شمّاس فأخذه فقتله دون الناس وقُتل الاسد، وشهدتُّ من الاسد ما لم اكن لاظنّه ولا اعتقدت ان الأُسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان وذلك ان جوبان الخيل 5) جاءنا يوما يركض وقال فى اجمة تلّ التلول ثلاثة سباع فركبنا فخرجنا اليها واذا لبوّة خلفها اسدان فدرنا فى تلك الاجمة فخرجتْ علينا اللبوّة فحملت على الناس ووقفتُ فحمل عليها اخى بهاء الدولة ابو المغيث منقذ رحمه الله طعنها قتلها وتكسّر رمحه فيها ورجعنا الى الاجمة فخرج علينا احد السبعين فطرد الخيل ووقفت انا واخى بهاء الدولة فى طريقه عند عودته من طرد الخيل فانّ الاسد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه بلا شبهة وجعلنا انجاز خيلنا اليه وردنا رماحنا نحوه ونحن نعتقد انه يقصدنا فننشب الرماح فيه فنقتله فما راعنا الّا وهو

1) Ms.: المجد.
2) Ms.: الرحى.
3) Ms.: وثاب.
4) Ms.: سماس.
5) Ms.: حوبان الحمل.

عابر علينا كالريح الى رجل من اصحابنا يقال له سعد الله الشيبانيّ فضرب فرسه رماها فطعنته وسطت القنطاريّة فيه فمات مكانه ورجعنا الى الاسد الآخر ومعنا نحو من عشرين راجلا من الارمن الاجناد رماة 1) فخرج السبع الاخر وهو اعظمها خلقة يمشى وعارضه الارمن بالنشّاب وانا معارض الارمن انتظره يحمل عليهم يأخذ واحدا منهم فاطعنه وهو يمشى وكلّما وقعت فيه نشّابة قد هدر ولوّح بذنبه فاقول الساعة يحمل ثم يعود يمشى فما زال كذلك حتى وقع ميّتا فرأيت من ذلك الاسد شيئا ما ظننته، ثم شاهدت من الاسد اعجب من ذلك كان بمدينة دمشق جرو اسد قد ربّاه سبّاع معه حتى كبر وصار يطلب الخيل ويأذى الناس به فقيل للامير معين الدين رحمه الله وانا عنده هذا السبع قد آذى الناس والخيل تنفر منه وهو فى الطريق وكان على مصطبة 2) بالقرب من دار معين الدين فى النهار والليل فقال قولوا للسبّاع يجىء به فقال للخوان سلار أخرج من ذبائح المطبخ خروفا اتركه فى قاعة الدار حتى نبصر كيف يكسره السبع فاخرج خروفا الى قاعة الدار ودخل السبّاع ومعه السبع فساعة رآه الخروف وقد ارسله السبّاع من السلسلة التى فى رقبته حمل عليه فنطحه فانهزم السبع وجعل يدور حول البركة والخروف خلفه يطرده وينطحه ونحن قد غلبنا الضحك عليه فقال الامير معين الدين رحمه الله ذا سبع منحوس اخرجوه اذبحوه واسلخوه وهاتوا جلده فذبحوه وسلخوه واعتق ذلك الخروف من الذبح، ومن عجيب امور السباع ان اسدا ظهر عندنا فى ارض شيزر فخرجنا اليه ومعنا رجّالة من اهل شيزر فيهم

---

1) Ms.: الاحداد رماه; peut-être convient-il de lire الاخيار رماة.

2) Je crois lire ainsi; la leçon du manuscrit n'est pas très claire.

غلام للمقيّد 1) الذى كان يطيعه اهل الجبل ويكاد ان يُعْبَدَ 2) ومع ذلك الغلام كلب له فخرج الاسد على الخيل فجلت قدّامه جافلةً 3) ودخل فى الرجّالة فاخذ ذلك الغلام ونزل عليه فوثب الكلب على ظهر الاسد فنفر عن الرجل وعاد الى الاجمة وخرج الرجل الى بين يدى والدى رحمه الله يضحك وقال يا مولاى وحياتك ما جرحنى ولا آذانى وقتلوا الاسد ودخل الرجل فمات فى تلك الليلة من غير جرح اصابه الّا انقطع قلبه فكنت اعجب من اقدام ذلك الكلب على الاسد وكلّ الحيوان ينفر من الاسد ويتجنّبه ولقد رأيت رأس الاسد يُحمَل الى بعض دورنا فُرِىَ السنانير تهرب من تلك الدار وترمى نفوسها من السطوحات وما رأت الاسد قط وكنّا نسلخ الاسد ونرميه من الحصن الى سفح الباشورة فلا يقربه الكلاب ولا شىء من الطير واذا رأت العقبان 4) اللحم نزلت اليه ثم اذا دنت منه صاحت وطارت وما اشبه هيبة الاسد على الحيوان بهيبة العقاب على الطير فان العقاب يبصره الفرّوج الذى ما رأى العقاب قط فيصيح وينهزم هيبةً القاها الله تعالى فى قلوب الحيوان لهذين الحيوانين، وعلى ذكر السباع كان عندنا اخوان من اصحابنا يقال لهما بنو الرعام رجّالة يتردّدان من شيزر الى اللاذقية واللاذقية لعمّى عزّ الدولة ابى المرهف نصر وفيها اخوه عزّ الدين ابو العساكر سلطان رحمهما الله بالكتب بينهما قالا خرجنا من اللاذقية فاشرفنا من عقبة المندة 5) وهى عقبة عالية تُشرف على ما تحتها من الوطاء فرأينا السبع وهو رابض على نهر تحت العقبة فوقفنا مكاننا ما نجسر على النزول من خوف الاسد فرأينا رجلا قد اقبل فصحنا

1) Mot douteux.
2) Ms.: بعبد.
3) Ms.: حافله.
4) Ms.: لعقبان.
5) Ms.: المده.

اليه ولوّحنا بثيابنا اليه نحذّره من الاسد فما سمعنا واوتر قوسه وطرح
فيه نشّابة ومشى فرآه الاسد فوثب اليه فضربه ما اخطأ قلبه فقتله
ومشى اليه فتمّم قتله واخذ نشّابته وجاء الى ذلك النهر فنزع زربوله
وقلع ثيابه ونزل اغتسل فى الماء ثم طلع لبس ثيابه ونحن نراه وجعل
ينفض شعره لينشّفه من الماء ثم لبس فردة زربوله واتّكى على جنبه
وطوّل فى الاتّكاء فقلنا والله ما قصر ولكن على من يتنيه ونزلنا اليه
وهو على حاله فوجدناه ميّتا ما ندرى ما اصابه فنزعنا فردة الزربول
من رجله واذا فيه عقرب صغيرة قد لسعته فى ابهامه فمات لوقته
فعجبنا من ذلك الجبّار الذى قتل الاسد وقتلته عقرب مثل الاصبع
فسبحان الله القادر النافذ المشيئة فى الخلق، قلت قاتلت السباع
فى عدّة مواقف لا احصيها وقتلت عدّة منها ما شركنى فى قتلها
احد سوى ما شاركنى فيه غيرى حتى خبرت منها وعرفت من قتالها
ما لم يعرفه غيرى، فمن ذلك ان الاسد مثل سواه من البهائم يخاف
ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبلّة ما لم يجرح فاذا جرح فحينئذ
هو الاسد وذلك الوقت يخاف منه واذا خرج من غاب او اجمة وحمل
على الخيل فلا بدّ له من الرجوع الى الاجمة التى خرج منها ولو ان
النيران1) فى طريقه وكنت انا قد عرفت هذا بالتجربة فمتى حمل على
الخيل وقفت فى طريق رجوعه قبل ان يجرح فاذا رجع تركته الى ان
يتجاوزنى وطعنته قتلته، فامّا النمور فقتالها اصعب من قتال الأسد
لخفّتها وبعد وثبتها وهى تدخل فى الغارات والمحاجر كما تدخل
الضباع والأسد ما تكون الّا فى الغابات والاجام وقد كان ظهر عندنا نمر
فى قرية يقال لها مَعْرزف2) من اعمال شيزر فركب اليه عمّى عزّ الدين
رحمة الله وارسل الىّ فارسا وانا راكب فى شغل لى يقول الحقْنى الى معرزف

1) Ms.: السران.
2) *Sic.*

فلحقته وجئنا الى الموضع الذى زعموا ان النمر فيه فما رأيناه وكان هناك جُبّ فنزلت عن حصانى ومعى قنطاريّة وجلست على فم الجُبّ وهو قصير نحو القامة وفى جانبه خرق كالمجحر فحرّكتُ القنطاريّة فى ذلك الخرق الذى فى الجبّ فخرج النمر برأسه من ذلك الخرق ليأخذ القنطاريّة فلمّا علمنا انه فى ذلك الموضع نزل معى بعض اصحابنا وصار بعضنا يحرّك ذلك الموضع بالرمح فاذا خرج طعنه الاخر وكلّما اراد الصعود من الجبّ اوبقناه بالرماح حتى قتلناه وكان خلقة عظيمة الّا انه كان قدْ اكل من دوابّ القرية حتى عجز عن نفسه وهو دون سائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعا وقد كان فى كنيسة هناك طاقة فى ارتفاع اربعين ذراعا فكان يأتيها نمر فى الهاجرة يثب اليها ينام فيها الى اخر النهار ويثب منها ينزل ويمضى ويقطع هناك ذلك الوقت فارس افرنجىّ يقال له سير ادم من شياطين الافرنج فاخبروه خبر النمر فقال اذا رأيتموه اعلمونى فجاء النمر كعادته وثب الى تلك الطاقة فجاء بعض الفلّاحين اخبر سير ادم فلبس درعه وركب حصانه واخذ ترسه ورمحه وجاء الى الكنيسة وهى خراب انما فيها حائط قائم فيه تلك الطاقة فلمّا رآه النمر وثب من الطاقة عليه وهو على حصانه فكسر ظهره وقتله ومضى فكان فلّاحو هناك يسمّونه النمر المجاهد، ومن خواصّ النمر انه اذا جَرح الانسانَ وبالت عليه فأرةٌ مات ولا ترتدّ الفأرة عن جريح النمر حتى انه يعمل له سرير يجلس فى الماء ويربط حوله السنانير خوفا عليه من الفأر والنمر لا يكاد يألف بالناس ولا يستأنس بهم وقد كنت مرّة مجتازا بمدينة حيفة 1) من الساحل وهى للافرنج فقال لى افرنجىّ منهم تشترى منّى فهدا جيّدا قلت نعم فجاءنى بنمر قد ربّاه حتى صار فى قدّ الكلب قلت لا ما يصلح لى هذا نمر ما هو فهد

---

1) Ms.: حمعه; orthographe habituelle حَيْفاء.

فعجبت من انسه وتصرّفه مع الافرنجىّ والفرق بين النمر والفهد
ان وجه النمر طويل مثل وجه الكلب وعيناه زرق والفهد وجهه مدوّر
وعيناه سود وقد كان بعض الحلبيّين اخذ نمرا وجاء به فى عدل الى
صاحب القدموس وهو لبعض بنى محرّر وهو يشرب ففتح العدل فخرج
النمر على من فى المجلس فامّا الامير فكان عند طاقة فى البرج دخل
منها وغلق عليه الباب وجال النمر فى البيت قتل بعضهم وجرح بعضهم
الى ان قتلوه، وسمعت وما رأيت ان فى السباع الببر وما كنت اصدّق
ذلك فحدّثنى الشيخ الامام حجّة الدين ابو هاشم محمّد بن محمّد
ابن ظفر رحمه الله قال سافرت الى المغرب ومعى غلام شيخ كان لوالدى
قد سافر وجرّب الامور ففرغ الماء الذى معنا وعطشنا وليس معنا
ثالث انما نحن انا وهو على نجيبين فقصدنا ماء فى طريقنا فوجدنا عليه
الببر وهو نائم فاعتزلنا عنه ونزل صاحبى عن جمله واعطانى زمامه
واخذ سيفه وترسه وقربة معنا وقال لى احتفظ برأس النجيب ومشى
الى الماء فلمّا رآه الببر قام ووثب مستقبله حتى يجاوزه ثم صاح فثارت
اليه مُجْرِياتٌ له عدوا لحقوه 1) وما عارضنا ولا آذانا فشربنا واسقينا ثم
مضينا هكذا حدّثنى رحمه الله وكان من خيار المسلمين فى دينه وعلمه،
ومن عجيب الآجال لمّا نزل الروم الى شيزر سنة اثنتين وثلثين وخمس
مائة نصبوا عليها مجانيقًا 2) هائلة جاءت معهم من بلادهم ترمى الثقل
وتبلغ حجرُها ما لا تبلغه النشّابة وترمى الحجر خمسة وعشرين 3) رطلا
ولقد رموا مرّة دار صاحب لى يقال له يوسف بن ابى الغريب رحمه الله
ثُقّلت فوق 4) فهدمت علوها وسفلها بحجر واحد وكان على برج فى دار

---

1) Ms.: فسارت اليه مجريات له عدوا لحقوه.
2) *Sic*, avec le *tanwîn*; correctement مجانيق.
3) Variante interlinéaire: عشرين وخمسة.
4) Ms.: نعلت فوق; lecture douteuse.

الامير1) قنطاريّة فيها راية منصوبة وطريق الناس فى لحصن من تحتها فضربت القنطاريّة حجر المنجنيق كسرها من نصفها وانقلب كسرها الذى فيه السنان تنكّس ووقع الى الطريق ورجل من اصحابنا عابر فوقع السنان من ذلك العلوّ وفيه نصف القنطاريّة فى تراقيه2) خرج الى الارض وقتله، وحدّثنى خطلخ مملوك لوالدى رحمه الله قال كنّا فى حصار الروم جلوس3) فى دهليز لحصن بعددنا وسيوفنا فاذا شيخ قد جاءنا يعدو وقال يا مسلمين4) لحريم دخل الروم معنا فاخذنا سيوفنا وخرجنا وجدناهم قد طلعوا من ثغرة فى السور ثغرتها المجانيق فضربناهم بالسيوف حتى اخرجناهم وخرجنا خلفهم حتى اوصلناهم الى اصحابهم وعدنا فتفرّقنا وبقيت انا وذلك الشيخ الذى استفزعنا فوقف وادار وجهه الى لحائط يريق الماء فاعرضت عنه فسمعت وحبّة فالتفتّ واذا الشيخ قد ضربت رأسه حجر المنجنيق كسرته والصقته بالحائط ومخّه قد سال على لحائط فحملته وصلّينا عليه ودفنّاه فى مكانه رحمه الله وضربت حجر المنجنيق رجلا من اصحابنا كسرت رجله فحملوه الى بين يدى عمّى وهو جالس فى دهليز لحصن فقال هاتوا المجبّر وكان بشيزر رجل صانع يقال له يحيى صانع فى التجبير فحضر وجلس يجبّر رجله وهو فى سترة خارج باب الحصن فضربت الرجل المكسور حجر فى رأسه طيّرته فدخل المجبّر الى الدهليز فقال عمّى ما اسرع ما جبّرته قال يا مولاى جاءته حجر ثانية اغنته عن التجبير، ومن نفاذ المشيئة فى الآجال والأعمار ان الافرنج خذلهم الله اجمع رأيهم على ان يقصدوا دمشق ويأخذوها فاجتمع منهم خلق كثير وسار اليهم صاحب

---

1) Ms.: الامر.
2) Ms.: نرفانه.
3) *Sic*; correctement جلوسا.
4) *Sic*; correctement مسلمون.

الرها وتلّ باشر وصاحب انطاكية فنزل صاحب انطاكية على شيزر فى طريقه الى دمشق وقد تبايعوا بينهم دور دمشق وحمّاماتها وقياسيرها واشتروها المرجاسيّة ووزنوا لهم اثمانها وما عندهم شكّ فى فتحها وملكها وكفرطاب انذاك لصاحب انطاكية فجرّد من عسكره مائة فارس انتخبهم وامرهم بالمقام بكفرطاب مقابلنا ومقابل حماة فلمّا سار الى دمشق اجتمع من بالشأم من المسلمين لقصد كفرطاب وانفذوا رجلا من اصحابنا يقال له قُنيب بن مُلك فجسّ لهم كفرطاب فى الليل فوصلها دارها وعاد وقال أبشروا بالغنيمة والسلامة فسار المسلمون اليهم فالتقوا على متكمّن 1) فنصر الله سبحانه الاسلام وقتلوا الافرنج جميعهم وكان قُنيب الذى جسّ لهم كفرطاب قد رأى فى خندقها دوابّا 2) كثيرة فلمّا ظفروا بالافرنج وقتلوهم طمع فى اخذ تلك الدوابّ التى فى الخندق ورجا ان يفوز بالغنيمة وحده فمضى يركض الى الخندق فرمى عليه رجل من الافرنج من الحصن حجرا فقتله وكانت له عندنا والدة عجوز كبيرة تندب فى مأتمنا ثمّ تندب ولدها فكانت اذا ندبت على ابنها قُنيب تتدفّق ثدياها باللبن حتى تغرق ثيابها فاذا فرغت من ندبها عليه وسكنت لوعتُها عادت ثدياها كالجلدتين ما فيها قطرة لبن فسبحان من اشرب القلوب الحنّة على الاولاد، ولمّا قيل لصاحب انطاكية وهو على دمشق قد قتل المسلمون اصحابك قال ما هو صحيح قد تركتُ بكفرطاب مائة فارس تلتقى المسلمين كلّهم وقضى الله سبحانه ان المسلمين بدمشق نصروا على الافرنج وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا جميع دوابّهم فرحلوا عن دمشق أسوأ رحيل واذلّه والحمد لله ربّ العالمين، ومن عجيب ما جرى فى تلك الوقعة بالافرنج انه كان فى عسكر حماة اخوان اكراد اسم الواحد بدر واسم الاخر عناز وكان هذا

1) Mot douteux.

2) *Sic*; correctement دوابّ.

عناز ضعيف النظر فلمّا كُسر الافرنج وقُتلوا قطعوا رؤوسهم وشدّوها فى سموط خيلهم وقطع عناز رأسا فى سموطه فرآه قوم من عسكر حماة فقالوا له يا عناز اىّ شىء هذا الرأس معك قال سبحان الله لما جرى بينى وبينه حتى قتلته قالوا له يا رجل هذا رأس اخيك بدر فنظره وتأمّله فاذا هو رأس اخيه فاستحيى من الناس وخرج من حماة فما ندرى اين قصد ولا عدنا سمعنا له خبرا وكان اخوه بدر قُتل فى تلك الوقعة قتله الافرنج خذلهم الله تعالى، اذكرنى ضرب حجر المنجنيق رأس ذلك الشيخ رحمه الله ضرب السيوف الماضية فمن ذلك ان رجلا من اصحابنا يقال له همام الحاجّ التقى هو ورجل من الاسماعيليّة لمّا عملوا على حصن شيزر فى رواق فى دار عمّى رحمه الله وفى يد الاسماعيلىّ سكّين والحاجّ فى يده سيف فهاجم عليه الباطنىّ بالسكّين فضربه همام بالسيف فوق عينيه فقطع قاحف رأسه ووقع مخّه على الارض فانبسط عليها وتطاير فوضع همام السيف من يده وتقيّأ ما فى بطنه لما لحقه من نظر ذلك المخّ من الغشيان، ولقينى فى ذلك اليوم واحد منهم فى يده سيخ وفى يدى سيف لى فهاجم علىّ بالسيخ فضربته فى وسط ساعده والسيخ فى يده قبضته ونصله لاصق بساعده فقطع قدّ اربع اصابع من نصل السيخ وقطع الساعد من نصفه فابانه وبقى اثر فم السيخ فى حدّ السيف فرآه صانع عندنا فقال انا أُخرج هذا الثلم منه قلت دعه كما هو فهو احسن ما فيه وهو الى الآن اذا رآه الانسان علم انه اثر سكّين، ولهذا السيف خبر انا ذاكره كان للوالد رحمه الله ركابىّ يقال له جامع فغار الفرنج علينا فلبس الوالد كزاغنده وخرج من داره ليركب فما وجد حصانه فوقف ساعة ينتظره فوصل جامع الركابىّ بالحصان وقد ابطأ فضربه الوالد بهذا السيف وهو فى غمده متقلّد به فقطع الجهاز والنعل الفضّة وبشتنا كان على الركابىّ وصوفيّة وعظم مرفقه فرُميت يده فكان رحمه الله يقوم به وباولاده

بعده لتلك الضربة وكان السيف يسمّى الجامعىّ باسم ذلك الركابىّ،
ومن ضربات السيوف المذكورة ان اربعة اخوة من اسباب الامير افتخار
الدولة ابى الفتوح بن عمرون صاحب حصن بوقبيس صعدوا اليه الى
الحصن وهو نائم اوبقوه بالجراح وما معه فى الحصن غير ابنه ثم خرجوا
وهم يظنّون انهم قد قتلوه يريدون ابنه وكان هذا افتخار الدولة قد
آتاه 1) الله من القوّة امرا عظيما فقام من فراشه عريان وسيفه معلّق
فى البيت معه فأخذه وخرج اليهم فلقيه واحد منهم وهو مقدّمهم
وشجاعهم فضربه افتخار الدولة بالسيف وقفز من مقابله خوفا من ان
يصل اليه بسكّين كانت فى يده ثم التفت اليه فوجده ملقًى قد
قتله بتلك الضربة وصار الى الاخر ضربه قتله وانهزم الاثنان الباقيان
فرميا انفسهما من الحصن فمات احدهما ونجا الاخر واتانا الخبر الى شيزر
فنفّذنا من هنّأه بالسلامة وطلعنا بعد ثلاثة ايّام الى حصن بوقبيس
لعيادته فان اخته كانت عند عمّى عزّ الدين وله منها اولاد فحدّثنا
حديثه وكيف كان امره ثم قال متنى كتفى يحكّنى وما اصل اليه ودعا
غلاما له ليبصر ذلك الموضع اىّ شىء قرصه فيه فنظر فاذا هو جرحٌ
وفيه رأس دشن قد انكسر فى ظهره وما معه منه علم ولا احسّ به
فلمّا قاح حكّه وكان من قوّة هذا الرجل انه كان يمسك رُسْغَ رِجل
البغل ويضرب البغل فلا يقدر يخلّص رِجله من يده ويأخذ المسمار
البيطارىّ بين اصابعه وينفذه فى دقّ خشب البلّوط وكان اكله مثل
قوّته لا بل اعظم، قد ذكرت شيئا من افعال الرجال وساذكر شيئا
من افعال النساء بعد بساط اقدّمه، وذلك ان انطاكية كانت لشيطان
من الافرنج يقال له روجار فمضى يحجّ الى البيت المقدّس وصاحب
البيت المقدّس بغدوين البرونس وهو رجل شيخ وروجار شابّ فقال

1) Correction marginale, tandis que le texte porte اعطاه.

لبغدوين اجعلْ بينى وبينك شرطا ان متّ قبلك كانت انطاكية لك
وان متّ قبلى كان البيت المقدّس لى فتعاقدا وتواثقا على ذلك وقدّر
الله تعالى ان نجم الدين الغازى ابن 1) ارتق رحمه الله لقى روجار
بدانيث يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وخمس مائة
فقتله وقتل جميع عسكره ولم يدخل انطاكية منهم الّا دون العشرين
رجلا وسار بغدوين الى انطاكية فتسلّمها وضرب مع نجم الدين مصافّا
بعد اربعين يوما وكان الغازى اذا شرب النبيذ يخم عشرين يوما
فشرب بعد كسر الفرنج وقتلهم ودخل فى الخمار فما افاق حتى وصل
الملك بغدوين البرونس الى انطاكية بعسكره فكان المصافّ الثانى بينهما
على السواء كسر بعض الفرنج بعض المسلمين وكسر بعض المسلمين بعض
الفرنج وقُتل من هاؤلاء وهاؤلاء جماعة وأسر المسلمون روبرت صاحب
صهيون وبلاطنس وتلك الناحية وكان صديقا لاتابك طغدكين صاحب
دمشق ذلك الوقت وكان مع نجم الدين الغازى لمّا اجتمع بالافرنج
فى افامية حين وصل عساكر الشرق مع برسق بن برسق فقال هذا
روبرت الابرص لاتابك طغدكين ما ادرى بايّ شىء اضيفك ولكن قد
ابحتك بلادى أنفذْ خيلك تعبر عليها وتأخذ كلّما وجدوه بلى لا
تسبوا ولا تقتلوا الدوابّ والمالُ والغلّة لهم يأخذون ذلك مباحًا لهم
فلمّا أُسر روبرت واتابك طغدكين حاضر المصافّ فى معونة الغازى قطع
روبرت على نفسه عشرة الف 2) دينار فقال الغازى امضوا به الى اتابك
لعلّه يفزّعه فيزيدنا فى القطيعة فمضوا به واتابك فى خيمته يشرب فلمّا
رآه مقبلا قام شمّر اذيال قباءه فى البند واخذ سيفه وخرج اليه ضرب
رقبته فنفذ اليه الغازى يعتب عليه وقال نحن محتاجون الى دينار
واحد للتركمان وهذا كان قد قطع على نفسه عشرة الف 2) دينار

1) *Sic*; correctement بن.
2) *Sic*; correctement آلاف.

نقذته اليك تفزعه لعلّه يريدنا فى القطيعة فتلتنه قال انا ما أُحسن افزّع الّا كذا، ثمّ ملك بغدوين البرونس انطاكية وكان لابى وعمّى رحمهما الله عليه جميل كثير حيث كان اسره نور الدولة بلك رحمه الله وصار بعد قتل بلك الى حسام الدين تمرتاش بن الغازى فحمله الينا الى شيزر ليتوسّط ابى وعمّى رحمهما الله بيعه فاحسنا اليه فلمّا ملك كانت لصاحب انطاكية علينا قطيعة سامحنا بها وصار امرنا فى انطاكية نافذا فهو فيما هو فيه وعنده رسول من اصحابنا اذ وصل مركب الى السويديّة فيه صبىّ عليه اخلاق فحضر عنده وعرّفه انه ابن ميمون فسلّم انطاكية اليه وخرج منها ضرب خيمة فى ظاهرها فحلف لنا رسولنا الذى كان عنده انه يعنى الملك بغدوين اشترى عليق خيله بتلك الليلة من السوق وأُهراء انطاكية ملأ من الغلّة ورجع بغدوين الى القدس وخرج على الناس من ذلك الشيطان ابن ميمون بليّة عظيمة فنزل علينا يوما من الايّام بعسكره فضرب خيامه ونحن قد ركبنا مقابلهم فما خرج الينا منهم احد ونزلوا فى خيامهم ونحن ركاب على شرف نبصرهم وبيننا وبينهم العاصى فنزل من بيننا ابن عمّى ليث الدولة يحيى بن مالك بن حُميد رحمه الله يسير الى العاصى فظننّاه يسقى فرسه فخاض الماء وعبر وسار نحو موكب للافرنج واقف بالقرب من خيامهم فلمّا دنا منهم نزل اليه فارس واحد فحمل كلّ واحد منهما على صاحبه وراغ كلّ واحد منهما عن طعنة الاخر فتسرّعت انا وامثالى من الشباب ذلك الوقت اليهما ونزل ذلك الموكب وركب ابن ميمون وعسكره وجاءوا كالسيل وصاحبنا قد طُعنتْ فرسُه فالتقت اوائل خيلنا واوائل خيلهم وفى اجنادنا رجل كردىّ يقال له ميكائيل 1) قد جاء فى اوائل خيلهم منهزما وخلفه فارس افرنجىّ

1) Ms.: ميكايل.

قد لزّه وللكرديّ بين يديه ضجيج وصياح عال فلقيته قال عن ذلك
الفارس الكرديّ وزلّ عن طريقى وقصد خيلا لنا فى جماعة على الماء
واقفين مما يلينا وانا خلفه اجهد ان يلحقه حصانى فاطعنه فلا يلحقه
ولا الافرنجيّ يلتفت اليّ الّا يريد تلك الخيل المجتمعة الى ان وصل الى
خيلنا وانا تابعه فطعن اصحابى حصانه طعنةً اوبقتْه واصحابه فى اثره
فى جمع ما لنا بهم قوّة فرجع الفارس وحصانه فى اخر رمقه التقاهم
فردّهم جميعهم وعاد وهم معه وكان الفارس ابن ميمون صاحب انطاكية
وهو صبىّ قد امتلأ قلبه من الرعب ولو ترك اصحابه هزمونا الى ان
يُدخلونا المدينة كلّ ذلك وامة عجوز يقال لها بُريكة 1) مملوكة لرجل
كرديّ من اصحابنا يقال له علىّ بن محبوب 2) واقفة بين الخيل على
شطّ النهر فى يدها شربة فتسقى بها وتسقى الناس واكثر اصحابنا
الذين كانوا على الشرف لمّا رأوا الافرنج مقبلين فى ذلك الجمع اندفعوا
نحو المدينة وتلك الشيطانة واقفة لا يروعها ذلك الامر العظيم، وانا
ذاكر شيئا من امر هذه بُريكة وان لم يكن موضعه لكن الحديث
شُجونٌ كان مولاها علىّ بنديّن ولا يشرب الخمر فقال لوالدى يوما والله
يا امير ما استُحلّ اكل من الديوان ولا اكل الّا من كسب بُريكة وهو
الجاهل يظنّ ان ذلك السحت الحرام أحلّ من الديوان الذى هو
مستأجر به وكانت هذه الأمة لها ولد اسمه نصر رجل كبير وكيلا فى
ضيعة للوالد رحمه الله هو ورجل يقال له بقيّة 3) بن الأُصيفر، حدّثنى
قال دخلتُ فى الليل الى البلد اريد الدخول الى دارى فى شغل لى
فلمّا دنوت من البلد رأيت بين المقابر فى ضوء القمر شخصا ما هو
آدمىّ ولا هو وحش فوقفت عنه وتهيّبته ثم قلت فى نفسى ما انا

---

1) Ms.: بريكه.
2) Ms.: محبوب; peut-être مجنوب.
3) Ms.: بعيه.

بقيّة ما هذا الخوف من واحد فوضعت سيفى ودرقتى والحربة التى
معى ومشيت قليلا قليلا وانا اسمع لذلك الشخص زجلا وصوتا فلمّا قربت
منه وثبت عليه وفى يدى دشنى فقبضته واذا بها بُريكة مكشوفة
الرأس قد نقشت شعرها وهى راكبة قصبة تصهل بين المقابر وتجول
قلت ويحك اىّ شىء تعملى 1) فى هذا الوقت هاهنا قالت اسحر قلت
قبّحك الله وقبّح سحرك وصنعتك من بين الصنائع، اذكرنى قوّة نفس
هذه الكلبة بامور جرت للنساء فى الوقعة التى كانت بيننا وبين
الاسماعيليّة وان لم يكونوا سواء لقى فى ذلك اليوم مقدّم القوم علوان
ابن حرار2) ابن عمّى سنان الدولة شبيب 3) بن حامد بن حميد
رحمه الله فى الحصن وهو تِربى ولدتى وُلدتُّ انا وهو فى يوم واحد يوم
الاحد السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة ثمان وثمانين واربع
مائة الّا انه ما باشر الحرب ذلك اليوم وانا كنت قطبها 4) فاراد علوان
اصطناعه فقال له ارجعْ الى بيتك احمل منه ما تقدر عليه وروح لا تُقتَل
فالحصن قد ملكناه فرجع الى الدار وقال من كان له شىء يعطينى
ايّاه يقول ذلك لعمّته ونساء عمّه فكلّ منهم اعطاه شيئا فهو فى ذاك
واذا انسان قد دخل الدار عليه زرديّة وخوذة ومعه سيف وترس
فلمّا رآه ايقن بالموت فوضع الخوذة واذا هى امّ ابن عمّه لبيث الدولة
يحيى رحمه الله فقالت اىّ شىء تريد تعمل قال آخذ ما قدرت عليه
وانزل من الحصن بحبل واعيش فى الدنيا قالت بئس ما تفعل تُخلّى
بنات عمّك واهلك للحلّاجين وتروح اىّ عيش يكون عيشك اذا
افتضحت فى اهلك وانهزمت عنهم اخرجْ قاتلْ عن اهلك حتى تُقتَل

1) *Sic*; correctement تعملين.
2) *Sic*; lecture incertaine.
3) Ms.: سسب.
4) Lecture incertaine.

بينهم فعل الله بك وفعل ومنعتْه رحمها الله من الهرب وكان من الفرسان المعدودين بعد ذلك وفى ذلك اليوم فرقت والدتى رحمها الله سيوفى وكزاغنداتى وجاءت الى اخت لى كبيرة السنّ وقالت البسى خفّك وازارك فلبست واخذتها الى روشن فى دارى يشرف على الوادى من الشرق اجلستْها عليه وجلست الى باب الروشن ونصرنا الله سبحانه عليهم وجئت الى دارى اطلب شيئا من سلاحى ما وجدت الّا جهازات السيوف وعيب الكزاغندات قلت يا امّى اين سلاحى قالت يا بُنىّ اعطيت السلاح لمن يقاتل عنّا وما ظننتك سالما قلت فأختى اىّ شىء تعمل هاهنا قالت يا بُنىّ اجلستُها على الروشن وجلست برًّا منها اذا رأيت الباطنيّة قد وصلوا الينا دفعتها رميتها الى الوادى فأراها قد ماتت ولا أراها مع الفلّاحين والحلّاجين مأسورة فشكرتُها على ذلك وشكرتْها الاخت وجزتها خيرا فهذه النخوة اشدّ من نخوات الرجال وتلثّمتْ فى ذلك اليوم عجوز من جوارى1) جدّى الامير ابى الحسن علىّ رحمه الله يقال لها فنون فاخذت سيفا وخرجت الى القتال وما زالت كذلك حتى صعدنا وتكاثرنا عليهم وما ينكر للنساء الكرام الانفة والنخوة والاصابة فى الرأى ولقد خرجت يوما من الايّام مع الوالد رحمه الله الى الصيد وكان مشغوفا بالصيد عنده من البزاة والشواهين والصقور والفهود والكلاب الزغاريّة ما لا يكاد يجتمع عند غيره ويركب فى اربعين فارسا من اولاده ومماليكه كلّ منهم خبير بالصيد عارف بالقنص وله بشيزر متصيّدان يوما يركب الى غربىّ البلد الى ازوار وانهار فيتصيّد الدرّاج وطير الماء والارانب والغزلان ويقتل الخنازير ويوما2) يركب الى الجبل قبلىّ البلد يتصيّد الحجل والارانب فنحن فى الجبل يوما وقد حانت صلاة العصر فنزل ونزلنا نصلّى فرادى واذا غلام قد

1) Ms.: حوار.
2) Ms.: ويوم.

جاء فركض قال هذا الاسد فسلّمت قبل الوالد رحمه الله تكيلا يمنعنى من قتال الاسد وركبت ومعى رمحى فحملت عليه فاستقبلنى وهدر فخاص فى الحصان ووقع الرمح من يدى لثقله وطردنى شوطا جيّدا ثم رجع الى سفح الجبل وقف عليه وهو من اعظم السباع كانه قنطرة1) جائع وكلّما دنونا منه نزل من الجبل طرد الخيل وعاد الى مكانه وما ينزل نزلة الّا يوثّر فى اصحابنا ولقد رأيته ركب مع رجل من غلمان عمّى يقال له بشتكين غرزة2) على وركىْ حصانه وخرق بمخالبه ثيابه ورايانه وعاد الى الجبل فما كان لى فيه حيلة الّا ان صعدت فوقه فى سفح الجبل ثم حدّرت حصانى عليه فطعنته نفّذت الرمح فيه وتركته فى جانبه فتقلّب الى اسفل الجبل والرمح فيه فمات الاسد وانكسر الرمح والوالد رحمه الله واقف يرانا ومعه اولاد اخيه عزّ الدين يبصرون ما يجرى وهم صبيان وحملنا الاسد ودخلنا البلد العشاء واذا جدّتى لابى رحمهما الله قد جاءتنى فى الليل وبين يديها شمعة وهى عجوز كبيرة قد قاربت من العمر مائة سنة فما شككت انها قد جاءت تهنّئنى بالسلامة وتعرّفنى مسرّتها بما فعلت فلقيتُها وقبّلت يدها فقالت لى بغيظ وغضب يا بنىّ ايش يحملك على هذه المصائب التى تخاطر فيها بنفسك وحصانك وتكسر سلاحك ويزداد قلب عمّك منك وحشة ونفورا قلت يا ستّى انما أُخاطر بنفسى فى هذا ومثله لاتقرّب الى قلب عمّى قالت لا والله ما يقرّبك هذا منه وانه يزيدك منه بُعْدا ويزيده منك وحشة ونفورا فعلمت انها رحمها الله نصحتنى فى قولها وصدقتنى ولعمرى انهن امّهات الرجال ولقد كانت هذه العجوز رحمها الله من صالحى المسلمين من الدين والصدقة والصوم والصلاة على اجمل طريقة ولقد حضرتها ليلة النصف من شعبان وهى تصلّى عند والدى وكان رحمه الله

1) Ms.: قنطرة; lecture douteuse.

2) Ms.: بستكى عررة.

من احسن من يتلو كتاب الله تعالى ووالدته تصلّى بصلاته فاشفق عليها فقال يا أمّى لو جلستِ صلّيتِ من قعود قالت يا بُنىّ بقى لى من العمر ما اعيش الى ليلة مثل هذه الليلة لا والله ما اجلس وكان الوالد قد بلغ السبعين سنة وهى قد شارفت المائة سنة رحمها الله، وشاهدت من نخوات النساء عجبا وهو ان رجلا من اصحاب خلف بن ملاعب يقال له علىّ عبد ابن ابى الريداء 1) كان قد رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة فكان ينهض مع ابن ملاعب يبصر القوافل على مسيرة يوم كامل، ولقد حدّثنى رجل من رفاقه يقال له سالم العجازىّ انتقل الى خدمة والدى بعد ما قُتل خلف بن ملاعب قال نهضنا يوما وارسلنا علىّ عبد ابن ابى الريداء بكرة يدبدب لنا فجاءنا وقال ابشروا بالغنيمة هذه قافلة كثيرة مقبلة فنظرنا ما رأينا شيها فقلنا ما نرى قافلة ولا غيرها قال والله انى لأرى القافلة وقدّامها فرسانِ معيّنان ينفضان معارفهما فاتنا فى الكمين الى العصر فوصلتنا القافلة والفرسان المعيّنان قدّامها فخرجنا اخذنا القافلة، وحدّثنى سالم العجازىّ قال نهضنا يوما وصعد علىّ عبد ابن ابى الريداء يدبدب لنا فنام وما درى الّا وقد اخذه تركىّ من سرية اتراك ناهضة وقالوا اىّ شىء انت قال انا رجل صعلوك قد اكريت جملى لرجل من التجار فى القافلة اعطنى 2) بيدك انك تعطينى جملى حتى ادلّكم على القافلة فاعطاه مقدّمهم يده فمشى بين ايديهم الى ان اوصلهم الينا الى الكمين فخرجنا عليهم اخذناهم وتعلّق هو بالذى كان بين يديه اخذ فرسه وعدّته وغنمنا منهم غنيمة حسنة فلمّا قُتل ابن ملاعب انتقل علىّ عبد 3) ابن ابى الريداء الى خدمة توفيل 4) الافرنجىّ صاحب كفرطاب

1) Ms. partout الريدا.
2) Ms.: اعطىى.
3) Ms. sans عبد.
4) Ms.: دويل.

فكان ينهض بالافرنج الى المسلمين يغنمهم ويبالغ فى اذى المسلمين واخذ مالهم وسفك دمهم حتى قطع سبل المسافرين وله امرأة معه بكفرطاب تحت يدى الافرنج تنكر عليه فعله وتنهاه فلا ينتهى فنفذت احضرت نسيبا لها من بعض الصنّاع واظنّه اخاها واخفته فى البيت الى الليل واجتمعت هى وهو على زوجها علىّ عبد ابن ابى الريداء فقتلاه واحتملا بجميع مالها واصبحت عندنا بشيزر وقالت غضبتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر فاراحت الناس من هذا الشيطان ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا فى الكرامة والاحترام، وكان فى امراء مصر رجل يقال له ندىّ 1) الصليحىّ فى وجهه ضربتان الواحدة من حاجبه الايمن الى حدّ شعر رأسه والاخرى من حاجبه الايسر الى حدّ شعر رأسه فسألتُه عنهما فقال كنت انهض وانا شابّ من عسقلان وانا راجل فنهضت يوما الى طريق بيت المقدس اريد حجّاج الافرنج فصادفنا قوما منهم فلقيت رجلا معه قنطاريّة وخلفه امرأته معها كوز خشب فيه ماء فطعنّى الرجل هذه الطعنة الواحدة وضربته فقتلته فشيت الى امرأته وضربتْنى بالكوز الخشب فى وجهى جرحتنى هذا الجرح الاخر فوسما وجهى ومن اقدام النساء ان جماعة من الافرنج الحجّاج حجّوا وعادوا الى رفنية وكانت ذلك الوقت لهم وخرجوا منها يريدون افامية فتاهوا فى الليل وجاءوا الى شيزر وهى اذذاك بغير سور فدخلوا المدينة وهم فى نحو من سبع مائة ثمان مائة رجال ونساء وصبيان وكان عسكر شيزر قد خرج مع عمّاى عزّ الدين ابى العساكر سلطان وفخر الدين ابى كامل شافع رحمهما الله ليلقيا عروسين قد تزوّجاهما من بنى الصوفىّ الحلبيّين اخوات ووالدى رحمه الله فى الحصن فخرج رجل من المدينة فى شغل له فى الليل فرأى افرنجيّا فعاد اخذ سيفه وخرج

---

1) Ms.: بدى.

قتله ووقع الصياح فى البلد وخرج الناس فقتلوهم وغنموا ما كان معهم
من النساء والصبيان والفضّة والبهائم وفى شيزر امرأة من نساء اصحابنا
يقال لها نضرة 1) بنت بوزرماط خرجت مع الناس اخذت افرنجيّا
ادخلته بيتها وخرجت اخذت اخر ادخلته بيتها وعادت خرجت
اخذت اخر فاجتمع عندها ثلاثة من الافرنج فاخذت ما كان معهم
وما صلح لها من سلبهم وخرجت دعت قوما من جيرانها قتلوهم ووصل
عمّى والعسكر فى الليل وقد كان انهزم من الافرنج ناس وتبعهم رجال
من شيزر فقتلوهم فى ظاهر البلد فصارت الخيل تعبر فى الليل فى القتلى
ولا يدرون بما ذا تعبر حتى ترجّل احدهم وابصر القتلى فى الظلام
فهالهم ذلك واعتقدوا ان البلد قد كُبس وكانت غنيمة ساقها الله
عزّ وجلّ الى الناس فصار الى دار والدى رحمه الله عدّة من الجوارى 2)
من سبيهم وهم لعنهم الله جنس ملعون لا يألفون لغير جنسهم فرأى
منهم جارية مليحة شابّة فقال لقهرمانة داره ادخلى هذه الحمّام واصلحى
كسوتها واعملى شغلها للسفر ففعلت وسلّمها الى بعض خدّامه وسيّرها
الى الامير شهاب الدين مالك بن سالم بن مُلك صاحب قلعة جعبر
وكان صديقه وكتب اليه يقول غنمنا من الافرنج غنيمة قد نفّذتُ
لك سهما منها فوافقته واعجبته واتّخذها لنفسه فولدت له ولدا سمّاه
بدران فجعله ابوه ولىّ عهده وكبر ومات والده وتولّى بدران البلد
والرعيّة وامّه الآمرة الناهية فواعدت قوما وتدلّت من القلعة بحبل
ومضى بها اولئك الى سروج وهى اذذاك للافرنج فتزوّجت بافرنجىّ اسكاف
وابنها صاحب قلعة جعبر 3)، وكان فى ذلك 4) الذين صاروا الى دار
والدى امرأة عجوز ومعها بنت لها امرأة شابّة حسنة الخلقة وابن

1) Ms.: نضره.
2) Ms.: الجوار.
3) Ms.: قلعه حعبر.
4) *Sic*; correctement اولئك.

مشتدّ فاسلم الابن وحسن اسلامه فيما يُرى من صلاته وصومه وتعلّم
لترخيم من مرخّم كان يرخّم دار والدى فلمّا طال مقامه زوّجه الوالد
بامرأة من قوم صالحين وقام له بكلّ ما احتاجه لعُرسه وبيته فرزق منها
ولدين وكبرا وصار لكلّ واحد منهما خمس ستّ سنين والغلام راوول[1]
ابوهما مسرور بهما فاخذهما وامّهما وما فى بيته واصبح بافامية عند
الافرنج وتنصّر هو واولاده بعد الاسلام والصلاة والدين فالله تعالى يطهّر
الدنيا منهم، سبحان الخالق البارئ اذا خبّر الانسان امور الافرنج
سبّح الله تعالى وقدّسه ورأى بهائما[2] فيهم فضيلة الشجاعة والقتال
لا غير كما فى البهائم فضيلة القوّة والحمل وسأذكر شيئا من امورهم
وعجائب عقولهم كان فى عسكر الملك فلك بن فلك فارس محتشم افرنجىّ
قد وصل من بلادهم يحجّ ويعود فانس بى وصار ملازمى يدعونى اخى
وبيننا المودّة والمعاشرة فلمّا عزم على التوجّه فى البحر الى بلاده قال لى
يا اخى انا سائر الى بلادى واريدك تُنفذ معى ابنك وكان ابنى معى
وهو ابن اربع عشرة سنة الى بلادى يبصر الفرسان ويتعلّم العقل
والفروسيّة واذا رجع كان مثل رجل عاقل فطرق سمعى كلام ما يخرج
من رأس عاقل فان ابنى لو أُسر ما بلّغ به الاسرُ اكثر من رواحه الى
بلاد الافرنج فقلت وحياتك هذا الذى كان فى نفسى لكن منعنى من
ذلك ان جدّته امّى تحبّه وما تركتْه يخرج معى حتى استحلفتْنى انى
اردّه اليها قال وامّك تعيش قلت نعم قال لا تخالفْها، ومن عجيب طبّهم
ان صاحب المنيطرة كتب الى عمّى يطلب منه انفاذ طبيب يداوى
مرضى من اصحابه فارسل اليه طبيبا نصرانيّا يقال له ثابت[3] فما غاب
عشرة ايّام حتى عاد فقلنا له ما اسرع ما داويتَ المرضى قال احضروا

1) Ms.: والعلام راوول.
2) *Sic*; correctement بهائم.
3) Ms.: ىابب.

عندى فارسا قد طلعت فى رجله دمّلة وامرأة قد لحقتْها نُشاف فعملتُ للفارس لُبيخة ففُتحت الدمّلة وصلحت وحميتُ المرأة ورطبت مزاجها فجاءهم طبيب افرنجىّ فقال هذا ما يعرف شى 1) يداويهم وقال للفارس ايّما احبّ اليك تعيش برجل واحدة او تموت برجلين قال اعيش برجل واحدة قال احضروا لى فارسا قويّا وفأسا قاطعا فحضر الفارس والفأس وانا حاضر فحطّ ساقه على قرمة خشب وقال للفارس اضربْ رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعْها فضربه وانا اراه ضربة واحدة ما انقطعتْ ضربه ضربة ثانية فسال مخّ الساق ومات من ساعته وابصر المرأة فقال هذه امرأة فى رأسها شيطان قد عشقها احلقوا شعرها فحلقوه وعادت تأكل من مواكيلهم 2) الثوم والخردل فزاد بها النشاف فقال الشيطان قد دخل فى رأسها فأخذ الموسى وشقّ رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكّه بالملح فماتت فى وقتها، فقلت لهم بقى لكم الىّ حاجة قالوا لا فجئت وقد تعلّمت من طبّهم ما لم اكن اعرفه، وقد شاهدت من طبّهم خلاف ذلك كان للملك خازن من فرسانهم يقال له برناد 3) لعنه الله من العن الفرنج وارجسهم فرمحه حصان فى ساقه فعُملت علّة رجله وفُتحت فى اربع عشرة موضعا والجراح كلّما خُتم موضعا فُتح موضعا وانا ادعو بهلاكه فجاءه طبيب افرنجىّ فازال عنه تلك المراهم وجعل يغسلها بالخلّ الحاذق فختمت تلك الجراح وبرأ وقام مثل الشيطان، ومن عجيب طبّهم انه كان عندنا بشيزر صانع يقال له ابو الفتح له ولد قد طلع فى رقبته خنازير وكلّما خُتم موضع فُتح موضع فدخل انطاكية فى شغل له وابنه معه فرآه رجل افرنجىّ فسأله عنه فقال هو ولدى قال تحلف لى بدينك ان وصفتُ لك دواء يُبرئه لا تأخذ من

1) Ms.: بعرف سى.
2) *Sic*; correctement مآكيلهم.
3) Ms.: برناد.

احد تداويه به اجرة حتى اصف لك دواء يبرئه فحلف فقال له تأخذ له اسنان 1) غيـر مطحون تحرّقه وتربّبه بالزيت والخلّ الحاذق وتداويه بـه حتى يأكل الموضع ثم خذ الرصاص المحرّق وربّبه بالسمن ثم داوِه 2) بـه فهو يبرئه فداواه بذلك فبرأ وخُتمت تلك الجراح وعاد الى ما كان عليه من الصحّة وقد داويتُ بهذا الدواء من طلع فيه هذا الداء فنفعـه وازال ما كان يشكوه فكـلّ مـن هـو قريب العهد بالبلاد الافرنجيّة اجفى أخلاقا مـن الذين قـد تبلّدوا وعاشروا المسلمين فـن جفاء اخلاقهم قبّحهم الله انـى كـنـت اذا زرت البيت المقدّس دخلـت الى المسجد الاقصى وفى جـانبه مـسـجـد صغير قـد جـعـلـه الافـرنـج كـنيسة فكنت اذا دخلـت المسجد الاقـصـى وفـيـه الـداويّة وهم اصـدقائى يُخلّون لى ذلـك المـسـجـد الـصغير أُصلّى فـيـه فدخلته يوما فكبّرت ووقفت فى الصلاة فهجم علىّ واحد من الافرنج مسكنى وردّ وجهى الى الشرق وقال كذا صُلّى فتبادر اليه قـوم مـن الداويّة اخذوه اخرجوه عنّى وعدت انا الى الصلاة فاغتفلهم وعاد هاجم علىّ ذلك نفسه وردّ وجهى الى الشرق وقال كذا صُلّى فعاد الداويّة دخلوا اليه واخرجوه واعتذروا الـىّ وقالـوا هـذا غريـب وصل مـن بـلاد الافرنج فى هـذه الايّام وما رأى مـن يصلّى الى غيـر الشرق فقلت حسبى من الصلاة فخرجت فكنت اتعجب من ذلـك الشيطان وتغيير وجهه ورعدته وما لحقه من نظر الصلاة الى القبلة، ورأيت واحدا منهم جاء الى الامير معين الدين رحمه الله وهو فى الصخرة فقال تريد تبصر الله صغيرة 3) قال نعم فمشى بين ايدينا حتى اورانا صورة مريم والمسيح عليه السلم صغير فى حجرها فقال هذا الله صغير تعالى الله عما

---

1) Ms.: اسان; correctement اسنانًا.
2) Ms.: داوِه.
3) *Sic*; correctement صغيرا.

يقول الكافرون علوّا كبيرا   وليس عندهم شىء من النخوة والغيرة يكون الرجل منهم يمشى هو وامرأته يلقاه رجل اخر يأخذ يد المرأة ويعتزل بها ويتحدّث معها والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فاذا طوّلتْ عليه خلّاها مع المتحدّث ومضى، ومما شاهدت من ذلك انى كنت اذا جئت الى نابلس انزل فى دار رجل يقال له معزّ داره عمارة المسلمين لها طاقات تُفتح الى الطريق ويقابلها من جانب الطريق الاخر دار لرجل افرنجىّ يبيع الخمر للتجار يأخذ فى قنّينة من النبيذ وينادى عليه ويقول فلان التاجر قد فتح بتّيّة من هذا الخمر من اراد منها شيئا فهو فى موضع كذا وكذا واجرته عن بداية النبيذ الذى فى تلك القنّينة   فجاء يوما ووجد رجلا مع امرأته فى الفراش فقال له اىُّ شىء ادخلك الى عند امرأتى قال كنت تعبان دخلت استريح قال فكيف دخلتَ الى فراشى قال وجدتُ فراشا مفروشا نمت فيه قال والمرأة نائمة معك قال الفراش لها كنتُ اقدر امنعها من فراشها قال وحقّ دينى ان عدتَّ فعلت كذا تخاصمت انا وانت فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته، ومن ذلك انه كان عندنا رجل حمّامىّ يقال له سالم من اهل المعرّة فى حمّام لوالدى رحمه الله قال فتحتُ حمّاما فى المعرّة اتعيّش فيها فدخل اليها فارس1) منهم وهم ينكرون على من يشدّ فى وسطه المئزر فى الحمّام فمدّ يده فجذب مئزرى من وسطى رماه فرآنى وانا قريب عهد بحلق عانتى فقال سالم فتقرّبتُ منه فمدّ يده على عانتى وقال سالم جيّد وحقّ دينى اعملْ لى كذا واستلقى على ظهره وله مثل لحيته فى ذلك الموضع فحلقتُه فمرّ يده عليه فاستوطأه فقال سالم بحقّ دينك اعملْ للداما والداما بلسانهم الستّ يعنى امرأته وقال لغلام له قل للداما تجىء فمضى الغلام احضرها وادخلها فاستلقت

1) Ms.: فارسا.

على ظهرها وقال اعملْ كما عملتَ لى فحلقتُ ذلك الشعر وزوجها قاعد ينظرنى فشكرنى ووهبنى حقّ خدمتى، فانظروا الى هذا الاختلاف العظيم ما فيهم غيرة ولا نخوة وفيهم الشجاعة العظيمة وما تكون الشجاعة الّا من النخوة والانفة من سوء الاحدوثة، وممّا يقارب هذا انّنى دخلت الحمّام بمدينة صور فجلست فى خلوة فيها فقال لى بعض غلمانى فى الحمّام معنا امرأة فلمّا خرجتُ جلستُ على المصاطب واذا التى كانت فى الحمّام قد خرجت وهى مقابلى قد لبست ثيابها وهى واقفة مع ابيها ولم أتحقّق انها امرأة فقلت لواحد من اصحابى تالله ابصرْ هذه امرأة هى وانا اقصد ان تسأل عنها فمضى وانا اراه رفع ذيلها وطلع فيها فالتفت الىّ ابوها وقال هذه ابنتى ماتت امّها وما لها من يغسل رأسها فادخلتها معى الحمّام غسلتُ رأسها قلت جيّد عملتَ هذا لك فيه ثواب، ومن عجيب طبّهم ما حدّثنا به كليام دبور صاحب طبريّة وكان مقدّما فيهم واتّفق انه رافق الامير معين الدين رحمه الله من عكّا الى طبريّة وانا معه فحدّثنا فى الطريق قال كان عندنا فى بلادنا فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت فجئنا الى قسّ كبير من قسوسنا قلنا تجىء معنا حتى تبصر الفارس فلان قال نعم ومشى معنا ونحن نتحقّق انه اذا حطّ يده عليه عوفى فلمّا رآه قال اعطونى شمعا1) فاحضرنا له قليل شمع فليّنه وعمله مثل عُقد الاصبع وعمل كلّ واحدة فى جانب انفه فمات الفارس فقلنا له قد مات قال نعم كان يتعذّب سددتُ انفه حتى يموت ويستريح [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِمٍ 2)

نرجع من حديث مجاريهم الى سواها، حضرت بطبريّة فى عيد من

---

1) Ms.: سمع.
2) Ahlwardt, *The divans of the six ancient arabic poets*, p. ٨١.

اعيادهم وقد خرج الفرسان يلعبون بالرماح وقد خرج معهم عجوزان فانيتان 1) اوقفوهما فى رأس الميدان وتركوا فى رأسه الاخر خنزيرا قد سمطوه وطرحوه على صخرة وسابقوا بين العجوزين ومع كلّ واحدة منهن سريّة من الخيّالة يسدّون منها والعجائز يقمن ويقعن على كلّ خطوة وهم يضحكون حتى سبقت واحدة منهن فاخذت ذلك الخنزير فى سبقها، وشهدت يوما بنابلس وقد احضروا اثنين للمبارزة وكان سبب ذلك ان حراميّة من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس فاتّهموا بها رجلا من الفلّاحين وقالوا هو دلّ الحراميّة على الضيعة فهرب فنفّذ الملك فقبض اولاده فعاد اليه وقال أنصفْنى انا ابارز الذى قال عنّى انى دلّيت الحراميّة على القرية فقال الملك لصاحب القرية المُقْطَع احضرْ من يبارزه فمضى الى قريته وفيها رجل حدّاد فاخذه وقال له تبارز أسفًا فلمَن المُقْطَع على فلّاحيه لا يُقْتَلْ منهم واحد فتُخرَبَ فلاحتُه، فشاهدتُ هذا الحدّاد وهو شابّ قوىّ الّا انه قد انقطع يمشى ويجلس يطلب ما يشربه وذلك الاخر الذى طلب البراز شيخ الّا انه قوىّ النفس يرتجز وهو غير محتفل بالمبارزة فجاء البسكند وهو شحنة البلد فاعطى كلّ واحد منهما العصا والترس وجعل الناس حولهم حلقة والتقوا فكان الشيخ يلزّ ذلك الحدّاد وهو يتأخّر حتى يُلجئه الى الحلقة ثم يعود الى الوسط وقد تضاربا حتى بقيا كعمود الدم فطال الامر بينهما والبسكند يستعجلهما وهو يقول بالعجلة ونفع الحدّادَ إدمانُه بضرب المطرقة واعيى ذلك الشيخ فضربه الحدّاد فوقع ووقعت عصاه تحت ظهره فبرك عليه الحدّاد يداخل اصابعه فى عينيه ولا يتمكّن من كثرة الدم من عينيه ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله فطرحوا فى رقبته فى الوقت حبلا وجرّوه شنقوه وجاء صاحب الحدّاد اعطاه عقاريّة

---

1) Ms.: فانيات.

واركبه خلفه واخذه وانصرف وهذا من جملة فقههم وحكمهم لعنهم الله، ومضيت مرّة مع الامير معين الدين رحمه الله الى القدس فنزلنا نابلس فخرج الى عنده رجل اعمى وهو شابّ عليه ملبوس جيّد مسلم وحمل له فاكهة وسأله فى ان يأذن له فى الوصول الى خدمته الى دمشق ففعل وسألتُ عنه فخُبّرتُ ان امّه كانت متزوّجة لرجل افرنجىّ فقتلتْه وكان ابنها يحتال على حجّاجهم ويتعاون هو وامّه على قتلهم فاتّهموه بذلك وعملوا له حكم الافرنج جلّسوا بتّية عظيمة وملّوها ماء وعرضوا عليها دفّ خشب وكتفوا ذلك المتّهم وربطوا فى كتافه حبلا ورموه فى البتّية فان كان بريًّا غاص فى الماء فرفعوه بذلك الحبل لا يموت فى الماء وان كان له الذنب ما يغوص فى الماء فحرص ذلك لمّا رموه فى الماء ان يغوص فما قدر فوجب عليه حكمهم لعنهم الله فكحلوه ثم ان الرجل وصل الى دمشق فاجرى له الامير معين الدين رحمه الله ما يحتاجه وقال لبعض غلمانه تمضى به الى برهان الدين البلخىّ رحمه الله تقول له تأمر من يُقرىُّ هذا القرآن وشيئا من الفقه فقال له ذلك الاعمى النصر والغلب ما كان هذا ظنّى قال وما ظننتَ بى قال تعطينى الحصان والبغلة والسلاح وتجعلنى فارسا قال ما اعتقدتُّ ان اعمى يصير من الفرسان، ومن الافرنج قوم قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين فهم اصلح من القريبى العهد ببلادهم ولكنهم شاذّ لا يقاس عليه، فمن ذلك اننى نفّذت صاحبا الى انطاكية فى شغل وكان بها الرئيس تادرس بن الصفى[1] وبينى وبينه صداقة وهو نافذ الحكم فى انطاكية فقال لصاحبى يوما قد دعانى صديق لى من الافرنج تجىء معى حتى ترى زيّهم قال فمضيت معه فجئنا الى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا فى اوّل خروج الافرنج وقد اعتفى من الديوان والخدمة وله بانطاكية ملك يعيش

---

1) Ms.: سادرس بن الصعى.

منه فاحضر مائدة حسنة وطعاما فى غاية النظافة والجودة ورآنى متوقّفا عن الاكل فقال كُلْ طيّب النفس فانا ما آكل من طعام الافرنج ولى طبّاخات مصريّات ما آكل الّا من طبيخهن ولا يدخل دارى لحم خنزير فاكلتُ وانا محترز وانصرفنا فانا بعد مجتازا فى السوق وامرأة افرنجيّة تعلّقت بى وهى تبربر بلسانهم وما ادرى ما تقول فاجتمع علىّ خلق من الافرنج فايقنتُ بالهلاك واذا ذلك الفارس قد اقبل فرآنى فجاء فقال لتلك المرأة ما لك ولهذا المسلم قالت هذا قتل اخى عرس وكان هذا عرس فارسا بافامية قتله بعض جند حماة فصاح عليها وقال هذا رجل برجاسى 1) اى تاجر لا يقاتل ولا يحضر القتال وصاح على اولئك المجتمعين فتفرّقوا واخذ بيدى ومضى فكان تأثير تلك المؤاكلة خلاصى من القتل ومن عجائب القلوب ان الانسان يخوض الغمرات ويركب الاخطار ولا يرتاع قلبه من ذلك ويخاف ما لا يخاف منه الصبيان ولا النسوان ولقد رأيت عمّى عزّ الدين ابى 2) العساكر سلطان رحمه الله وهو من اشجع اهله له المواقف المشهورة والطعنات المذكورة وهو اذا رأى الفأرة تغيّرت صورة وجهه ولحقه كالزمع من نظرها وقام من الموضع الذى يراها فيه وكان فى غلمانه رجل شجاع معروف بالشجاعة والاقدام اسمه صندوق يفزع من الحيّة حتى يخرج من عقله فقال له والدى رحمه الله وهو واقف بين يدى عمّى يا صندوق انت رجل جيّد معروف بالشجاعة ما تستحيى تفزع من الحيّة قال يا مولاى واىّ شىء فى هذا من العجب فى حمص رجل شجاع بطل من الابطال يفزع من الفأرة ويموت يعنى مولاه فقال له عمّى رحمه الله قبّحك الله يا كذا كذا 3)، ورأيت مملوكا لوالدى رحمه

1) Lecture douteuse; peut-être مرجاسى, cf. p. ٨٥, l. 2.
2) *Sic*; correctement ابا.
3) *Sic*; habituellement كذا وكذا.

الله يقال له لؤلؤ وكان رجلا جيّدا مِقداما وقد خرجتُ ليلة من شيزر ومعى بغال كثيرة وبهائم اريد احمل عليها من الجبل خشبا قد قطعتُه هناك لناعورة لى فسرنا من ظاهر شيزر ونحن نظنّ ان الصبح قد دنا فوصلنا الى قرية يقال لها دُبيسا 1) وما تنصّف الليل فقلت انزلوا ما ندخل الجبل فى الليل فلمّا نزلنا واستقرنا 2) سمعنا صهيل حصان فقلنا الافرنج فركبنا فى الظلام وانا احدّثُ نفسى أنى اطعن واحدا منهم وآخذ حصانه ويأخذون دوابّنا والرجال الذين مع الدوابّ فقلت للؤلؤ وثلاثة من الغلمان تقدّموا اكشفوا هذا الصهيل فتقدّموا تركّضوا 3) فلقوا اولئك وهم فى جمع وسواد كثير فسبق اليهم لؤلؤ وقال تكلّموا والّا اقتلكم كلّكم وهو رام جيّد فعرفوا صوته وقالوا حاجب لؤلؤ 4) قال نعم واذا هم عسكر حماة مع الامير سيف الدين سوار رحمه الله قد غاروا على بلاد الافرنج وعادوا فكان هذا اقدامه على ذلك الجمع واذا رأى فى بيته حيّة خرج منهزما وقال لامرأته دونكِ والحيّة فتقوم اليها تقتلها والمُحارب ولو انه الاسد اتلفه واعجزه اليسير من العوائق كما اصابنى على حمص خرجتُ وقُتل حصانى وضُربتُ خمسين سيفا كلّ ذلك لنفاق المشيئة ثم لتوانى الركابىّ فى تركيب عنان اللجام فانه عقده فى الباشات ولم يشقّه فلمّا جذبتُه اريد الخروج من بينهم انحلّ العنان من عقدته فى الباشات فنالنى ما نالنى وقد كان صاح الصائح يوما بشيزر من القبلة فلبسنا وفرغنا فكان الصائح كذّابا فرحل عمّى وابى رحمهما الله ووقفت بعدهما فوقع الصائح من الشمال من جانب الافرنج فركضت حصانى الى الصائح فرأيت الناس فى المخاض يركب بعضهم بعضا وقالوا الفرنج فعبرت المخاض

1) Ms.: دىىسا; correctement دُبَيْس.
2) *Sic*; correctement واستقررنا.
3) Ms.: ىركضوا; peut-être فركضوا, ou يركضوا pour يركضون.
4) *Sic*; correctement لؤلؤ الحاجب.

وقلت للناس لا بأس عليكم انا دونكم ثمّ طلعت اركض الى رابية القرافطة 1) واذا الخيل مقبلة فى جمع كثير وقد تقدّم منهم فارسا لابسا 2) زرديّة وخوذة وقد دنا منّى فقصدته استفرض بعده من اصحابه واستقبلنى فحين حرّكتُ حصانى اليه انقطع ركابى وما بقى لى مندوحة عن لقائه فقمتُ 3) اليه بلا ركاب فلمّا تدانينا ولم يبق غير الطعن سلّم علىّ وخدمنى واذا هو السلار عمر خال السلار زين الدين اسمعيل بن عمر بن بختيار وكان نهض مع عسكر حماة الى بلد كفرطاب فخرج عليهم الافرنج فعادوا الى شيزر منهزمين وتقدّمهم الامير سوار رحمه الله فسبيل الرجل المُحارب يتفقّد عدّة حصانه فان ايسر الاشياء واقلّها يؤذى ويُهلك كلّ ذلك مقرون بما يجرى به الأقدار والاقضية وقد شهدت قتال الاسد فى مواقف لا احصيها وقتلت عدّة منها لم يشركنى احد فى قتلها فما نالنى من شىء منها اذى وخرجت يوما مع والدى رحمه الله الى الصيد فى جبل قريب من البلد نصيد منه الحجل بالبزاة ويكون الوالد ونحن معه والبازياريّة على الجبل وبعض الغلمان والبازياريّة اسفل من الجبل للتخليص من البزاة والوقوف على السنح فقامت لنا ضبعة فدخلت مغارة وفى تلك المغارة مجحر دخلت فيه فصحت بغلام لى ركابىّ اسمه يوسف خلع ثيابه وأخذ سكّينة ودخل فى ذلك المجحر وانا فى يدى قنطاريّة مستقبل الموضع اذا خرجتْ طعنتها فصاح الغلام اليكم قد خرجت فطعنتها اخطأتُها لان الضبعة رقيقة الجسم وصاح الغلام عندى ضبعة اخرى فخرجت فى اثرها فقمت وقفت فى باب المغارة وهى ضيّقة الباب متعلّية قدر قامتين انظر ما يعمل اصحابنا الذين فى الوطاء بالضباع التى نزلت اليهم

---

1) *Sic*; lisez peut-être القرامطة; cf. p. ٣٧, l. 22.
2) *Sic*; correctement فارس لابس.
3) Ms.: فتمت.

فخرجت ضبعة ثالثة وانا مشغول بالنظر الى الاوائل فندستنى رمتنى من باب المغارة الى القرارة التى تحته فكادت تكسرنى فتأذّيت بضبعة وما تأذّيت بالسباع فسبحان مقدّر الأقدار ومسبّب الأسباب، وشاهدت من ضعف نفوس بعض الرجال وخورهم ما لا كنت اظنّه بالنساء، فمن ذلك اننى كنت يوما على باب دار والدى رحمه الله وانا صبىّ عمرى دون العشر سنين فلطم غلام لوالدى اسمه محمّد العجمىّ صبيّا من خدّام الدار فانهزم منه وجاء تعلّق بثوبى فلحقه وهو ماسك بثوبى فلطمه فضربته بقضيب كان فى يدى فدفعنى فجذبت من وسطى سكّينا ضربته بها فوقعتْ فى بزّه الايسر فوقع وجاءنا غلام كبير لوالدى يقال له القائد اسد فوقف عليه ونظر الجرح واذا تنفّس طلع منه الدم مثل قواقع الماء فاصفرّ وارتعد ووقع مغشيّا عليه فحُمل الى داره وكان يسكن معنا فى الحصن على تلك الحال فما افاق من غشيته الى اخر النهار وقد مات المجروح وقُبر، ومما يقارب ذلك، كان يزورنا الى شيزر رجل من اهل حلب فيه فضل وأدب يلعب بالشطرنج طبقة ويلعب بها غائبا يقال له ابو المرجا 1) سالم بن قانت رحمه الله فكان يقيم عندنا السنة والاكثر والاقلّ فربّما مرض فيَصف له الطبيب الفصاد فاذا حضر الفاصد تغيّر لونه وارتعد فاذا فصده غُشى عليه فلا يزال فى غشية حتى يشدّ فصاده ثم يفيق، ومما يضادّ ذلك انه كان فى اصحابنا من بنى كنانة رجل اسود يقال له علىّ بن فرج 2) طلعت فى رجله حيّة فتخبّثت وتناثرت اصابعه وأنتنتْ رجله فقال له الجرائحىّ ما لرجلك الّا القطع والّا تلفتَ فحصّل عنده منشارا وجعل ينشر ساقه حتى يَغلبه فَيْضُ الدم ويُغْشَى عليه فاذا هو افاق عاد الى نشرها حتى قطعها من نصف ساقه وداواها فبرأت وكان رحمه الله من اجلد

1) Ms.: المرحا.
2) Ms.: فرح.

الرجال واقوامهم فكان يركب فى سرجه 1) بركاب واحد وفى الجانب الاخر سير تكون فيه ركبته ويحضر القتال ويطاعن الفرنج وهو على تلك الحال وكنت اراه رحمه الله لا يستطيع رجل يشابكه ولا يقابضه 2) وكان خفيف الروح مع قوّته وشجاعته فاصبح يوما من الايّام وهو وبنو كنانة يسكنون حصننا حصن الجسر ارسل الى رجال من وجوه بنى كنانة فقال اليوم يوم مُطَيْر وعندى فضلة نبيذ ومأكول تتفضّلوا 3) علىّ بالحضور لنشرب فاجتمعوا عنده فجلس فى باب البيت وقال هل فيكم من يقدر يخرج من الباب ان لم اشأ يشير الى قوّته قالوا لا والله قال هذا يوم مُطَيْر وما اصبح فى دارى دقيق ولا خبز ولا نبيذ وما فيكم الّا من فى داره ما يحتاجه ليومه انفذوا الى دوركم احضروا طعامكم ونبيذكم والبيت من عندى ونجتمع اليوم نشرب ونتحدّث قالوا كلّهم نعمّ ما رأيتَ يا ابا الحسن وانفذوا احضروا ما فى دورهم من طعام وشراب وقضوا نهارهم عنده وكان رجلا محترما فتعالى من خلق الخلق اطوارا اين جلد هذا وقوّة نفسه من خور اولئك وضعف نفوسهم وقريب من هذا ان رجلا من بنى كنانة حدّثنى بحصن الجسر ان رجلا فى الحصن استسقى فشقّ بطنه 4) فبرِئ وعاد صحيحا كما كان فقلت اريد ابصره واستخبره وكان الذى حدّثنى رجل من بنى كنانة يقال له احمد بن معبد بن احمد فاحضر ذلك الرجل عندى فاستخبرته عن حاله وكيف فعل بنفسه فقال انا رجل صعلوك وحيد استسقى جوفى وكبرت حتى عجزت عن التصرّف وتبرّمتُ بالحياة فاخذت موسى وضربت به فُوَيْق 5) سُرّتى فى عرض جوفى شقّيته

1) Ms.: سرحه.
2) Lecture douteuse; ms.: يُشابكه ولا يُقابضُه.
3) Ms.: تعصلوا; correctement تتفضّلون.
4) Variante interlinéaire: جوفه.
5) Ms.: فوق.

فخرج منه قدر طباختين ماء يعنى قدرين وما زال الماء يَنِزُّ منه حتى ضمر جوفى فخيّطته وداويت الجرح فبرأ فزال ما كان بى وارانى موضع الشقّ فى جوفه اطول من شبر ولا شبهة ان هذا الرجل كان له فى الارض رزق يستوفيه والّا فقد رأيت من استسقى وفصد الطبيب جوفه فخرج منه من الماء كما خرج من الذى بزل نفسه الّا انه مات من ذلك الفصد لكن الاجل حصن حصين٬ النصر فى الحرب من الله تبارك وتعالى لا بترتيب وتدبير ولا بكثرة نفير ولا نصير وقد كنتُ اذا بعثنى عمّى رحمه الله لقتال أتراك او افرنج اقول له يا مولاى امرْنى بما اتدبّر به اذا لقيتُ العدوّ فيقول لى يا بنىّ الحربُ تدبّر نفسها وصدق وكان امرنى ان آخذ امرأته واولاده خاتون بنت تاج الدولة تتش والعسكر وامضى اوصلهم الى حصن مصيات وهو اذ ذاك له وكان يُشفق عليهم من حرّ شيزر فركبتُ وركب ابى وعمّى رحمهما الله معنا الى بعض الطريق وعادا وليس معهما الّا المماليك الصغار لجرّ الجنائب وحمل السلاح والعسكرُ كلّه معى فلمّا قربا من المدينة سمعا طبل 1) الجسر يُضرَب فقالا شىءٌ قد جرى فى الجسر فرفعا خيلهما ينافلا وتجبّا الى الجسر2) وكان بيننا وبين الافرنج لعنهم الله هدنة فنفّذوا من كشف لهم مخاضة يعبرون منها الى مدينة الجسر وهى فى جزيرة لا يُعبَر اليها الّا من جسرٍ معقودٍ3) بالحجر والكلس لا يصل الافرنج اليه فدلّهم ذلك الجاسوس على مخاضة فركبوا جميعهم من افامية فاصبحوا الى ذلك الموضع الذى دلّهم عليه عبروا الماء وملكوا المدينة ونهبوا وسبوا وقتلوا ونفّذوا بعض السبى والنهب الى افامية وملكوا الدور وعلّم كلّ واحد منهم صليبه على دار وركز عليها رايته فلمّا اشرف ابى وعمّى

---

1) Lecture douteuse; ms.: طبل; peut-être faut-il lire طبل.
2) Ms.: يناقلا وتحمالى الجسر; correctement يناقلان وتجبّان.
3) Ms.: جسرٍ مَعقودٌ.

رحمهما الله على الحصن كبّر اهل الحصن وصاحوا فالقى الله سبحانه على الافرنج الرعب والخذلان فذهلوا عن الموضع الذى عبروا منه ورموا خيلهم وهم بدروعهم عليها فى غير مخاض فغرق منهم جماعة كثيرة كان الفارس يغوص فى الماء فيسقط عن سرجه ويرسب فى الماء ويطلع الحصان ومضى من سلم منهم منهزمين لا يلوى بعضهم على بعض وهم فى جمع كثير وابى وعمّى معهما عشرة مماليك صبيان فاقام عمّى بالجسر ورجع ابى الى شيزر واوصلتُ انا اولاد عمّى الى مصيات وعدتُّ من يومى وصلت العشاء فأُخبرت بما جرى فحضرت عند والدى رحمه الله وشاورته فى ان امضى الى عمّى الى حصن الجسر قال تصل فى الليل وهم نيام ولكن سر اليهم من بكرة فاصبحت سرت وحضرت عنده وركبنا وقفنا على ذلك الموضع الذى غرق فيه الافرنج ونزل اليه جماعة من السباح فاخرجوا جماعة من فرسانهم موتى فقلت لعمّى يا مولاى ما نقطع روسهم ونُنفذها الى شيزر قال افعلْ فقطعنا منهم نحو1) من العشرين رأسا فكان الدم يسيل منهم كانّهم قد قُتلوا تلك الساعة ولهم يوم وليلة واظنّ الماء حفظ فيهم دمهم وغنم الناس منهم سلاحا كثيرا من الزرديّات والسيوف والقنطاريّات والخُوَذ والكلسات الزرد ورأيت رجلا من فلّاحى الجسر قد حضر عند عمّى ويده تحت ثيابه فقال له عمّى يمزح معه ایّ شیء اعزلتَ لى من الغنيمة قال اعزلتُ لك حصانا بعدّته وزرديّة وترسا وسيفا ومضى أَحضر الجميع فاخذ عمّى العدّة واعطاه الحصان وقال ایّ شیء بیدك قال يا مولاى تقابضتُ انا والافرنجىّ وما معى عدّة ولا سيف فرميته ولكمت وجهه وعليه اللثام الزرد حتى اسكرته واخذت سيفه فقتلته به وتهرّأ الجلد الذى على عقد اصابعى وورمتْ يدى فما تنفعنى واظهر لنا يده وهى كما قال قد انكشفت

1) *Sic*; correctement نحوا.

عظام اصابعه وكان فى جند الجسر رجل كردىّ يقال له ابو الجبش له بنت اسمها رفول 1) قد سباها الافرنج وهو قد يوسوس عليها يقول لكلّ من لقيه يوما سُبيتْ رفول فخرجنا من الغد نسير على النهر فرأينا فى جانب الماء سوادا فقلنا لبعض الغلمان اسبح ابصر ما هذا السواد فمضى اليه فاذا ذلك السواد رفول عليها ثوب ازرق وقد رمت نفسها من على فرس الافرنجىّ الذى اخذها فغرقت وعلق ثوبها فى شجرة صفصاف فسكنت لوعةُ ابيها ابى الجبش فكانت الصيحة التى وقعت فى الافرنج وهزيمتهم وهلاكهم من لطف الله عزّ وجلّ لا بقوّة ولا بعسكر فتبارك الله القادر على ما يشاء وقد يكون الترهيب فى بعض الاوقات نافعا فى الحرب من ذلك ان اتابك وصل الشأم وانا معه فى سنة تسع وعشرين وخمس مائة وسار قاصدا دمشق فلمّا نزلنا القُطَيّفة قال لى صلاح الدين رحمه الله اركبْ وتقدّمْنا الى الفستقة اقمْ على الطريق لا يهربْ احد من العسكر الى دمشق فتقدّمتُ وقفت ساعة واذا صلاح الدين قد اتى فى قلّة من اصحابه فرأينا فى عذراء دخانا فارسل خيلا تُبصر ما هو الدخان فاذا هم قوم من عسكر دمشق يحرقون التبن الذى فى عذراء فانهزموا فتبعهم صلاح الدين ونحن معه لعلّ فى ثلثين اربعين فارسا فوصلنا القُصير واذا عسكر دمشق جميعه فى القُصير قاطع الجسر ونحن عند الخان فوقفنا مستترين بالخان ويخرج منّا خمس ستّ فوارس حتى يبصرهم عسكر دمشق ويعودون الى خلف الخان نوهمهم ان لنا كمينا ونفّذ صلاح الدين فارسا الى اتابك يعرّفه بما نحن فيه فرأينا نحوا من عشرة فوارس مقبلين الينا مسرعين والعسكر خلفهم متتابعٌ فوصلونا واذا هو اتابك قد تقدّم والعسكر فى اثره فانكر على صلاح الدين فعله وقال تسرّعتَ الى باب دمشق بثلثين فارسا لتُكسَر

1) Ms.: رفول.

يا موسى ولامه وهم يتكلّمون بالتركىّ ولا ادرى ما يقولون فلمّا وصلنا اوائل العسكر قلت لصلاح الدين عن امرك آخذ هاولاء الذين قد وصلوا او اعبر الى خيل دمشق الواقفة مقابلنا اقلعهم قال لا كذا وكذا ممن ينصح 1) فى خدمة هذا ما تسمع اىّ شىء قد عمل بى ولولا لطف الله تعالى ثم ذلك الترهيب والتخبيل كانوا قلعونا   وجرى لى مثل ذلك وقد سرت مع عمّى رحمه الله من شيزر يريد كفرطاب ومعنا خلق من الفلّاحين والصعاليك لنهب ما على كفرطاب من غلّة وقطن فانتشر الناس فى النهب وخيل كفرطاب قد ركبت ووقفت عند البلد ونحن بينهم وبين الناس المنتشرين فى الزرع والقطن واذا فارس من اصحابنا يركض من الطلائع قال جاءت خيل افامية فقال عمّى تقف انت مقابل خيل كفرطاب واسير انا بالعسكر القى خيل افامية فوقفت فى عشرة فوارس فى شاجر الزيتون متواريين ويخرج منّا ثلثة اربعة يجلوا 2) للفرنج ويعودوا 3) الى شاجر الزيتون والافرنج يعتقدون اننا فى جماعة فهم يجتمعون ويصيحون ويدفعون خيلهم الى ان يقربوا منّا ونحن لا نزعزع فرجعوا فما زلنا كذلك حتى عاد عمّى وانهزم الافرنج الذين جاءوا من افامية فقال له بعض غلمانه يا مولاى ترى ما فعل يعنينى تخلّف عنك وما سار معك للقاء خيل افامية فقال له عمّى لولا وقوفه فى عشرة فوارس مقابل خيل كفرطاب وراجلها كانوا اخذوا هذا العالم كلّه فكان الترهيب والتخبيل للافرنج فى ذلك الوقت انفع من قتالهم لاننا كنّا فى قلّة وهم فى جمع كثير   وجرى لى مثل ذلك بدمشق كنت يوما مع الامير معين الدين رحمه الله فاتاه فارس

---

1) Lecture douteuse; ms.: ىىصح.
2) Ms.: ىحلوا; correctement يجلون.
3) Ms.: ونعودوا; correctement ويعودون.

فقال قد اخذ الحرامية قافلة فى العقبة حاملة خام فقال لى تركب اليهم قلت الامر لك أُمِر الشاويشية تستركب العسكر معك قال اىّ شىء حاجتنا الى العسكر قلت وما نصرنا من ركوبهم قال ما نحتاجهم وكان رحمه الله من اشجع الفرسان ولكن قوّة النفس فى بعض المواضع تفريط ومضرّة فركبنا فى نحو من عشرين فارسا فلمّا ان ضحوْنا نقّذ فارسين كذا وفارسيْن كذا وفارسين كذا وفارس1) كذا يكشفون الطرقات وسرنا نحن فى قلّة فحانت صلاة العصر فقال لغلام لى يا سونج اشرف تعرّف 2) الى ما نصلّى فما سلّمنا الّا والغلام تركّض قال هذه الرجّالة وعلى رؤوسهم شقاق الخام فى الوادى فقال معين الدين رحمه الله اركبوا قلت امهلْ علينا نلبس كزاغنداتنا فاذا رأينا رمينام برؤوس الخيل وطعنّاهم فما يدرون كثير نحن او قليل قال اذا وصلنا اليهم لبسنا وركب وسرنا اليهم فلحقناهم فى وادى حلبون وهو واد ضيّق لعلّ ما بين الجبلين خمسة اذرع والجبال من جانبيه وعرة رفيعة وطريقه ضيّقة انما يمشى فيها فارس خلف فارس وهم فى سبعين رجلا بالقسىّ والنشّاب فلمّا وصلناهم كانوا غلماننا خلفنا بسلاحنا لا يصلون الينا واولئك قوم منهم فى الوادى ومنهم قوم فى سفح الجبل فظننت ان الذين فى الوادى من اصحابنا فلّاحى الضياع قد فزعوا خلفهم والذين فى سفح الجبل هم الحرامية فجذبت سيفى وحملت على الذين فى السفح فلما طلع الحصان فى ذلك الوعر الّا باخر روحه فلمّا صرتُ اليهم وحصانى قد وقف ما بقى يندفع استوفى واحد منهم نشّابته فى قُوله 3) ليضربنى فصحت عليه وتهدّدتّه فسك يده عنّى وعدت انزلت الحصان وما اصدّق أخلص منهم وطلع الامير معين الدين الى اعلى الجبل نظر ان هناك

---

1) *Sic*; correctement وفارسا, ou وفارسين.

2) Lecture incertaine; peut-être تغرّبْ ou مغرب.

3) Le ms. porte قوله.

من الفلّاحين من يستنفرهم وصاح الىّ من اعلى الجبل لا تفارقهم حتى اعود وتوارى عنّا فرجعت الى الذين فى الوادى وقد علمت انهم من الحراميّة فحملت عليهم وحدى لضيق المكان فانهزموا ورموا ما كان معهم من الخام وخلّصت منهم بهيمتين كانتا معهم عليهما خام ايضا وطلعوا الى مغارة فى سفح الجبل ونحن نراهم وما لنا اليهم سبيل وعاد الامير معين الدين رحمه الله اخر النهار وما وجد من يستنفره ولو كان معنا العسكر كنّا ضربنا رقابهم واستخلصنا كلّ ما معهم، وقد جرى لى مرّة اخرى مثل هذا والسبب فيه نفاذ المشيئة ثم قلّة المخبرة بالحرب وذلك أنّنا سرنا مع الامير قطب الدين خسرو بن تليل من حماة نريد دمشق الى خدمة الملك العادل نور الدين رحمه الله فوصلنا الى حمص فلمّا عزم على الرحيل على طريق بعلبكّ قلت له انا اتقدّم ابصر كنيسة بعلبكّ 1) الى حين تصل قال افعلْ فركبت ومضيت فانا فى الكنيسة جاءنى فارس من عنده يقول قد خرجت رجّالة حراميّة على قافلة اخذوها فاركبْ والقانى الى الجبل فركبت ولقيته فصعدنا فى الجبل فرأينا الحراميّة فى واد تحتنا فالجبل الذى نحن عليه محيط بذلك الوادى فقال له بعض اصحابه تنزل اليهم قلت لا تفعلْ ندور على الجبل ونصير فوق رؤوسهم نُحيل بينهم وبين طريقهم الى المغرب ونأخذهم وكانوا من بلاد الافرنج فقال اخر الى ما ندور على الجبل قد وصلنا اليهم واخذناهم فنزلنا فلمّا رأونا الحراميّة صعدوا فى الجبل فقال لى اصعدْ اليهم فحرصتُ على الطلوع فما قدرتُ وكان على الجبل منّا خيّالة ستّة سبعة فترجّلوا اليهم وجاءوا يقودون خيلهم معهم واولئك فى جماعة فحملوا على اصحابنا فقتلوا منهم فارسين واخذوا حصانيهما وحصانا اخر وسلم صاحبه ونزلوا من جانب الجبل الاخر

---

1) Ms.: بعلبك.

بالغنيمة وعدنا نحن وقد قُتل منّا فارسان وأُخذ منّا ثلثة حصن والقافلة فهذا تغرير لقلّة المخبرة بالحرب فامّا التغرير فى الاقدام فما هو للزهد فى الحياة وانما سببه ان الرجل اذا عُرف بالاقدام ووُسم باسم الشجاعة وحضر القتال طالبتْه همّتُه بفعل ما يُذكَر به ويَعجز عنه سواه وخافت نفسه الموت وركوب الخطر فتكاد تغلبه وتصدّه عمّا يريده يفعله حتى يضطرّها ويحملها على مكروهها فيعتريه الزمَعُ وتغيُّر اللون لذلك فاذا دخل فى الحرب بطل روعه وسكن جأْشُهُ، ولقد حضرت حصار حصن الصَّوْر مع ملك الامراء اتابك زنكى رحمه الله وقد تقدّم شىء من ذكره وكان للامير فخر الدين قرا ارسلان 1) بن داود ابن سقمان بن ارتق رحمه الله وكان مشحونا بالرجال الجرخيّة 2) وذلك بعد كسرته على آمد فاول ما ضُربت الخيام نفّذ رجلا من اصحابه صاح تحت الحصن يا جماعة الجرخيّة يقول لكم اتابك ونعمة السلطان لئن قُتل من اصحابى رجل واحد بنشّابكم لاقطعنّ ايديكم ونصب على الحصن المجانيق فهدمت جانبًا منه وما بلغ الهدم منه بحيث نُطلع اليه الرجال فجاء رجل من جنداريّة اتابك من اهل حلب يقال له ابن العُرَيْق طلع فى تلك الثغرة وضاربهم بسيفه فجرحوه عدّة جراح ورموه من البرج الى الخندق وتكاثر الناس عليهم فى تلك الثغرة فملكوا الحصن وطلع نوّاب اتابك اليه فاخذ مفاتيحه نفّذها الى حسام الدين تمرتاش ابن الغازى بن ارتق واعطاه الحصن واتّفق ان نشّابة جرخ ضربت رجلا من الخراسانيّة فى ركبته قطعت الفلكة التى على مفصل الركبة فمات فاول ما ملك اتابك الحصن استدعى الجرخيّة وهم تسعة نفر فجاءوا وقسيُّهم موتورة على اكتافهم فامر بحزّ بهاماتهم 3) من زنودهم فاسترخت

---

1) Ms.: قرارسلان.
2) Ms.: الحرحىه.
3) Ms.: بهامانهم; correctement ابهاماتهم.

ايديهم وتلفت واما ابن العُريق فداوى جراحه وبرأ بعد ان شارف الموت وكان رجلا شجاعا يحمل نفسه على الاخطار، ورأيت مثل ذلك وقد نزل اتابك على حصن البارعة وحوله صفا صخر لا تنضرب عليه الخيام فنزل اتابك فى الوطاء ووكّل به الامراء بالنوبة فركب اليه اتابك يوما والنوبة للامير ابى بكر الدُّبيسىّ وما معه اهبة القتال فوقف اتابك وقال لابى بكر تقدّمْ قاتلْهم فزحف باصحابه وهم اعراء وخرج اليهم الرجال من الحصن فتقدّم رجل من اصحابه يقال له مزيد 1) لم يكن قبل ذلك من المشهورين بالقتال والشجاعة فقاتل قتالا عظيما وضرب فيهم بسيفه وفرّق جمعهم وجُرح عدّة جراح فرأيته قد حملوه الى العسكر وهو فى اخر رمقه ثم عوفى وقدّمه ابو بكر الدُّبيسىّ وخلع عليه وجعله من جملة جنداريّته، كان اتابك يقول لى ثلاثة غلمان احدهم يخاف الله تعالى وما يخافنى يعنى زين الدين علىّ كوجك رحمه الله والاخر يخافنى وما يخاف الله تعالى يعنى نصير الدين سنقر رحمه الله والاخر ما يخاف الله ولا يخافنى يعنى صلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسيانىّ رحمه الله، وشهدت منه تجاوز الله عنه ما يحقّق قول اتابك وذلك أنّا زحفنا يوما الى حمص وقد اصاب الارض فى الليل مطر عظيم حتى ما بقيت الخيل تتصرّف من ثِقَل 2) الارض بالوحل والرجّالة يتناوشون وصلاح الدين واقف وانا معه ونحن نرى الرجّالة بين ايدينا فغدا واحد من الرجّالة الى رجّالة حمص اختلط بهم وصلاح الدين يراه فقال لواحد من اصحابه هات ذاك الرجل الذى كان الى جانبه فمضى احضره فقال له من هذا الذى كان انهزم من جانبك ودخل الى حمص قال والله يا مولاى ما اعرفه قال وسِّطوه قلت يا مولاى تعتقله

---

1) Ms.: مريد; peut-être faut-il lire مرثد.
2) Ms.: بعل.

وتكشف عن ذلك الرجل فان كان يعرفه او متّه بسبب ضربت رقبته والا ترى فيه رأيك فكانه جنح الى قولى فقال غلام له من خلفه يهرب واحد يؤخذ الذى كان الى جانبه يُضرَب رقبته او يوسَّط فأحنقه كلامه وقال وسّطوه فرفسوه كالجارى العادة ووسّطوه وما له ذنب الّا اللجاج وقلّة مراقبة الله تعالى، وحضرتُه مرّة اخرى بعد ما وصلنا من مصافّ بغداذ واتابك يشتهى يُظهِر تجلّدا وقوّة وقد امر صلاح الدين بالمسير الى الامير قفجاق بكتيبته فسرنا من الموصل ستّة ايّام ونحن فى غاية الضعف فوصلنا موضعه وجدناه قد تعلّق فى جبال كوهستان فنزلنا على حصن يقال له ماسُرّ ونزلنا عليه طلوع الشمس وامرأة طلعت من الحصن قالت معكم خام قلنا اىّ وقت هذا للبيع والشراء قالت نريد الخام نكفنكم به فانى خمسة ايّام تموتون كلّكم تريد ان ذلك الموضع وَخِمٌ فنزل ورتّب الزحف الى الحصن من بكرة وامر النقّابين يدخلون تحت برج من تلك البراج والحصن كلّه معمور بالطين والرجال الذين فيه من الفلّاحين فزحفنا اليه وطلعنا الى تلّة[1] ونقب الخراسانيّة برجا فوقع وعليه اثنان امّا الواحد فمات وامّا الاخر فاخذه اصحابنا وجاءوا به الى صلاح الدين قال وسّطوه قلت يا مولاى هذا شهر رمضان وهذا رجل مسلم لا نتقلّد اثمه قال وسّطوه حتى يسلّموا الحصن قلت يا مولاى الحصن الساعة تملكه قال وسّطوه ولجّ فيه فوسّطوه واخذنا الحصن فى ساعتنا تلك فجاء الى الباب يريد النزول من الحصن فكان معه جماعة وغلبة فوكّل به قوما من اصحابه ومضى .نزل فى خيمته لحظة بقدر ما تفرّق العسكر الذى كان معه ثم ركب وقال لى اركبْ فركبنا وطلعنا الى الحصن فجلس واحضر ناطور الحصن يعرّفه بما فيه واحضر بين يديه نساء وصبيان نصارى ويهود فحضرتْ عجوز

---

1) Lecture douteuse.

كرديّة فقالت لذلك الناطور رأيتَ ابنى فلان1) قال قُتل ضربته نشّابة قالت فابنى فلان قال وسّطه الامير فصاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطنة المندوفة فقال لها الناطور اسكتى لاجل الامير قالت وايّ شيء بقى الامير يعمل بى كان لى ولدان قتلهما فدفعوها ومضى الناطور فاحضر شيخا كبيرا مليح الشيبة يمشى على عصاتين سلّم على صلاح الدين قال ايّ شيء هو هذا الشيخ قال امام الحصن قال تقدّمْ يا شيخ تقدّمْ تقدّمْ حتى جلس بين يديه فمدّ يده قبض لحيته واخرج سكّينة مشدودة فى بند قبائه2) وقطع لحيته من حَكمته فبقيت فى يده مثل البرجم فقال له ذلك الشيخ يا مولاى بايّ شيء استوجبتَ ان تفعل بى هذا الفعل قال بعصيانك على السلطان قال والله ما علمتُ بوصولكم حتى جاء الناطور الساعة اعلمنى واستدعانى ثم رحلنا نزلنا على حصن اخر للامير قفجاق يقال له الكرخينىّ اخذناه فوجدوا فيه خزانة ملأ بثياب خام مخيّطة صدقة لفقراء مكّة وسبى من كان فى الحصن من النصارى واليهود المعاهدين ونهب ما فيهما نهب الروم فالله سبحانه يتجاوز عنه اقف من هذا الفصل عند هذا الحدّ متمثّلا بقولى [من الكامل]

دَعْ ذكر من قَتَلَ الهوى فحديثُهمْ فينا يشيّب ذكرُه المولودا

واعود الى ذكر شيء مما جرى لنا والاسماعيليّة فى حصن شيزر، اجتاز فى ذلك اليوم ابن عمّ لى يقال له ابو عبد الله بن هاشم رحمه الله فرأى رجلا من الباطنيّة فى برج من دار عمّى معه سيفه وترسه والباب مفتوح وبرًّا منه خلق كثير من اصحابنا وما يجسر احد يدخل اليه فقال ابن عمّى لواحد من اولئك الوقوف ادخلْ اليه فدخل اليه فما امهله الباطنىّ أن ضربه فجرحه فخرج وهو مجروح فقال لاخر ادخلْ

1) Ms.: فلان; correctement فلانا.
2) Ms.: قباه.

اليه فدخل اليه فضربه الباطنىّ فجرحه وخرج كما خرج صاحبه فقال ابن عمّى يا رئيس جواد1) ادخل اليه فقال له الباطنىّ يا مُراجِعُ2) انت ليش ما تدخل تُداخِل الىّ الناسَ وانت واقف ادخلْ يا مُراجِعُ3) حتى تبصر فدخل اليه الرئيس جواد فقتله وهذا جواد حكم فى الثقاف رجل شجاع ثقف وما مرّ عليه الّا اعوام قليلة حتى رأيته بدمشق سنة اربع وثلاثين وخمس مائة وهو علّاف يبيع الشعير والتبن وقد كبر حتى صار كالشنّ4) البالى يعجز عن دفع الفأر عن علفه فما بال الرجال فكنت اتعجّب من اوّل امره، عند ما صار اليه اخر امره، وما احال من حاله طولُ عمره، ولم ادر ان داء الكِبَر عامّ، يعدى كلّ من اغفله الحِمام، فلمّا توقّلت ذروة التسعين، وابلانى مرُّ الايّام والسنين، صرت كجواد العلّاف، لا الجواد المتلاف، ولصقت من الضعف بالارض، ودخل من الكبر بعضى فى بعض، حتى انكرتُ نفسى، وتحسّرت على امسى، وقلت فى وصف حالى [من الكامل]

لمّا بلغتُ من الحياة الى مَدًى ... قد كنتُ أَهْواه تمنّيتُ الرَّدَا
لم يُبْقِ طولُ العمر منّى مُنّةً ... أَلْقَى بها صرفَ الزمان اذا اعْتَدَا
ضَعُفَتْ قُوايَ وخاننى الثِّقتانِ من ... بَصَرى وسَمْعى حين شارفتُ المَدَا
فاذا نهضتُ حَسِبْتُ أنّى حاملٌ ... جَبَلًا وأَمْشى إن مَشَيْتُ مُقَيَّدَا
وأَدِبُّ فى كفّى العَصا وعَهِدتُّها ... فى الحرب تحمل أَسْمَرًا ومُهَنَّدَا
وأَبيتُ فى لِينِ المهادِ مسهَّدًا ... قَلِقًا كانّنى افترشتُ الجَلْمَدَا
والمرء يُنْكَسُ فى الحياة وبينما ... بلغ الكمالَ وتمّ عاد كما بَدَا

1) Ms.: رىس حواد.

2) Ms.: ىا مواحر, avec un trait horizontal au dessus, qui semble indiquer une correction marginale; à la marge se trouve يا مواجع, également destiné à être inséré dans la ligne suivante.

3) Ms.: يا مواجع à la marge.

4) Texte: كالشى, corrigé à la marge.

وانا القائل بمصر أَذُمّ من العيش الراحة والدعة وما كان النجل تقضّيه واسرعه [من البسيط]

أُنْظُرْ الى صرف دهرى كيف عوّدنى بعد المَشيب سِوى عاداتىَ الأُوَل
وفى تغايُرِ صرفِ الدهر مُعْتَبَرٌ وأَىُّ حالٍ على الأيّام لم تَحُلِ
قد كنتُ مِسْعَرَ حَرْبٍ كلّما خَمَدَتْ أَذْكَيْتُها باقتداحِ البيضِ فى القُلَلِ
هَمّى مُنازَلَةُ الأَقْرانِ أَحْسِبُهم فَرائسى فهمُ منّى على وَجَلِ
أَمْضَى على الهَوْلِ من ليلٍ وأَقْحَمَ من سَيْلٍ وأَقْدَمَ فى الهيجاء من أَجَلِ
فصِرْتُ كالغادة المِكْسالِ مَضْجَعُها على الحَشايَا وراءَ السَّجْفِ والكِلَلِ
قد كدتُ أَعْفَنُ من طُولِ الثَّواء كما يَصْدَى الهِنْدُ طُولَ اللَّبْثِ فى الخِلَلِ
أَروحُ بعد دُروعِ الحَرْبِ فى حُلَلٍ من الدَّبيقى فبُؤْسًا لى وللحُلَلِ
وما الرَّفاهةُ من رَأْمى 1) ولا أَرَبى ولا التنعُّمُ من شأنى ولا شُغُلى
ولستُ أَرْضَى بُلوغَ المجد فى رَقَةٍ ولا العُلَى دون حَطْمِ البيضِ والأَسَلِ

وكنت اظنّ ان الزمان لا يُبْلَى جديدُه، ولا يَهِى شديدُه، وأَنّى اذا عدت الى الشأم وجدت به ايّامى كعهدى، ما غيّرها الزمان بعدى، فلمّا عدتُ كذّبتنى وعود المطامع، وكان ذلك الظنّ كالسراب اللامع، اللهمّ غفرًا هذه جملة اعتراضيّة عرضتْ، وتقيّةُ همّ أَقضّتْ ثم انقضّت، اعود الى الهمّ، وأَدَعُ تعسّف الليل المدلهمّ، لو صفتِ القلوبُ من كدر الذنوب، فُوِّضتْ الى عالِمِ الغُيوب، علمتُ ان ركوب اخطار الحروب، لا يُنقص مدّة الاجل المكتوب، فاننى رأيت يوم تقاتلنا نحن والاسماعيليّة فى حصن شيزر معتبرًا يوضح للشجاع العاقل، والجبان الجاهل، ان العمر موقّت مقدّر، لا يَتقدّم اجله ولا يَتأخّر، وذلك اننا بعد فراغنا ذلك اليوم من القتال صاح انسان من جانب الحصن الرجال وعندى جماعة من اصحابى معهم سلاحهم فبادرنا الى الذى صاح فقلنا ما لك فقال

1) Lecture douteuse; peut-être دأبى.

خشّ الرجال هاهنا فجئنا الى اصطبل خال مظلم فدخلناه فوجدنا فيه
رجلين معهما سلاحهما فقتلناهما ووجدنا رجلا من اصحابنا مقتولا وهو
على شيء فرفعناه وجدنا تحته رجلا من الباطنيّة قد تسجّى ورفع
المقتول على صدره فحملنا صاحبنا وقتلنا الذى كان تحته ووضعنا
صاحبنا فى الجامع بالقرب من ذلك المكان وفيه جراح عظيمة ولا نشكّ
انه ميّت لا يتحرّك ولا يتنفّس وانا والله كنت احرّك رأسه على بلاط
الجامع برجلى ولا نشكّ انه ميّت وكان المسكين اجتاز بذلك الاصطبل
فسمع حسّا فادخل رأسه ليحقّق السماع فجذبه واحد منهم وضربوه
بالسكاكين حتى ظنّوا انه قد مات فقضى الله سبحانه ان خُيّطت
تلك الجراح فى رقبته وفى جسمه وعوفى وعاد من الصحّة الى ما كان عليه
فتبارك الله مقدّر الاقدار وموقّت الآجال والاعمار، وشاهدت ما يقارب
ذلك وهو ان الافرنج لعنهم الله غاروا علينا ثلث الليل الاخر فركبنا
نريد نتبعهم فنعنا عمّى عزّ الدين رحمه الله من إتباعهم وقال هذه
مكيدة والاغارة تكون بالليل وخرج من البلد رجّالة خلفهم ما علمنا
بهم فوقع الافرنج ببعضهم عند رجوعهم فقتلوهم وسلم بعضهم واصبحت
انا واقفا فى بندر قنين قرية عند المدينة فرأيت ثلاثة شخوص مقبلة
امّا اثنان فكالناس وامّا الاوسط فما وجهه كوجوه الناس فلمّا دنوا منّا
واذا الوسطانيّ منهم قد ضربه افرنجىّ بسيف فى وسط انفه فقطع
وجهه الى اذنيه وقد استرخى نصف وجهه صار على صدره وبين
النصفين من وجهه فتح قريب من شبر وهو يمشى بين رجلين فدخل
البلد وخاط الجرائحىّ وجهه وداواه فالتحم ذلك الجرح وعوفى وعاد الى
ما كان عليه الى ان مات على فراشه كان يتبع الدوابّ ويسمّى ابن
غازى المشطوب وانما سُمّى المشطوب بتلك الضربة فلا يظنّ ظانّ
ان الموت يقدّمه ركوب الخطر، ولا يؤخّره شدّة الحذر، ففى بقائى اوضح
معتبر فكم لقيت من الاهوال وتقحّمت المخاوف والاخطار ولاقيت

الفرسان وقتلت الاسود وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح وجرحت بالسهام والجروح وانا من الاجل فى حصن حصين الى ان بلغتُ تمام التسعين فرأيتُ الصحّة والبقاء كما قال صلّى الله عليه وسلّم كفى بالصحّة داءً فأعقبت النجاةُ من تلك الاهوال، ما هو اصعب من القتل والقتال، وكان الهلاك فى كبّة الجيش، اسهل من تكاليف العيش، استرجعتْ منّى الايّامُ بطول الحياة، سائرَ محبوب اللذّات، وشاب كدرُ النّكد، صفو العيش الرّغد، فانا كما قلت [من البسيط]

مع الثمانين عاث الدهرُ فى جَلَدى وساءنى ضعفُ رجلى واضطرابُ يدى
اذا كتبتُ فخطّى حدُّ مُضْطَرِبٍ كخطِّ مُرْتَعِشِ الكفّيْنِ مُرْتَعِدِ
فاْعجبْ لضعف يدى عن حملها قلَمًا من بعد حَطْمِ القنا فى لَبّة الأَسَدِ
وان مشيتُ وفى كفّى العصَا ثَقُلَتْ رِجْلى كانّى أَخوض الوَحْلَ فى الجَلَدِ
فقلْ لمن يَتمنّى طولَ مُدّته هذى عواقب طول العُمْر والمَدَدِ

ضعفت القوّة ووهتْ، وتقضّتْ بُلَهْنيةُ العيشِ وانتهت، ونكشنى التعبير بين الانام، والى الخمود يؤول تسعُّرُ الظلام، حتى اصبحتُ كما قلت [من الطويل]

تناستْنىَ الآجالُ حتى كأنّنى ذَريئةُ سَفْرٍ بالفَلاة حَسيرُ
ولمّا تَدَعْ منّى الثمانون مُنّةً كأنّى اذا رُمْتُ القيامَ كَسيرُ
أُؤدّى صلاتى قاعدًا وسجودُها علىّ اذا رُمْتُ السُّجودَ عَسيرُ
وقد أنذرتْنى هذه الحالُ أنّنى دَنَتْ رِحْلةٌ منّى وحان مَسيرُ

أَعجزنى وهنُ السنين، عن خدمة السلاطين، فهجرتُ مَغْشَى ابوابهم، وقطعتُ اسبابى من اسبابهم، واستقلتُ من خدمهم، ورددت عليهم ما خوّلونى من نعمهم، لعلمى ان ضعف الهرم، لا يَقوى على تكاليف الخدم، وان سوق الشيخ الكبير، لا ينفق على الامير، ولزمتُ دارى، وجعلتُ الخمول شعارى، ورضيتْ نفسى بالانفراد فى الغربة، ومفارقة

الاوطان والتربة، الى ان سكن نفارتها، عن مرارتها، 1) وصبرتُ صبر الاسير على قدّه، والظمآن ذى الغلّة عن ورده، فندا[نى اليه 2)] مكاتبة مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، سلطان الاسلام والمسلمين، جامع كلمة الايمان، قامع عَبَدة الصلبان، رافع علم العدل والاحسان، محيى دولة امير المؤمنين ابو 3) المظفّر يوسف بن ايّوب جمّل الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه، وايّدهم بماضى سيوفه وارائه، واصفى عليهم وارق ظلّه، كما اصفى لهم من الاكدار موارد فضله، وانفذ فى البسيطة على اوامره ونواهيه، وحكّم صوارمه فى اعناق اعدائه، برحمة نقبت عنّى فى البلاد ودونى الحَزن والسهل، بضيعة من الارض لا مال لدىّ ولا اهل، فاستنقذنى من أنياب النوائب برأيه الجميل، وحملنى الى بابه العالى بانعامه الغامر الجزيل، وجبّر ما هاضه الزمان منّى، ونفق على كرمه ما كسد على من سواه من علوّ سنّى، فغمرنى بغرائب الرغائب، وانهينى 4) من انعامه أهنانى 5) المواهب، حتى رعى لى بفائض الكرم، ما اسلفتُ سواه من الخدم، فهو يعيد لى بذلك ويرعاه، رعاية من كانّه شاهده وراه، فعطاياه تُطرقنى وانا راقد، وتسرى الىّ وانا مخيّب قاعد، فانا من انعامه كلّ يوم فى مزيد، واكرام لتكرّمه الاهل وانا اقلّ العبيد، امّننى جميلُ رأيه حادث الحادثات، واخلف لى انعامُه ما سلبه الزمان بالنكبات المجحفات، وافاض علىّ من نوافل فضله بعد تأدية فرضه وسُنّته 6)، ما يعجز الاعناق عن حمل ايسر منّته، ولم يُبْقِ لى جودُه املًا ارجو نيله، اقضى زمانى بالدعاء به نهاره وليله،

1) Texte en grande partie effacé, restitué par conjecture.
2) Texte effacé, complété par conjecture.
3) *Sic*; correctement ابى.
4) *Sic*; correctement وانهانى; peut-être وأهنأنى.
5) Lecture douteuse.
6) Ms.: وسننه; lecture douteuse.

والرحمة التى تَداركَ بها العباد، واحيى ببركاتها البلاد، والسلطان الذى احيى سُنّة الخلفاء الراشدين، واقام عمود الدولة والدين، والبحر الذى لا ينصبّ لكثرة الواردين ماؤه، والجواد الذى لا ينقطع مع تتابع الوافدين عطاؤه، فلا زالت الأمّة من سيوفه فى حِمًى منيع، ومن إنعامه فى ربيع مريع، ومن عدله فى انوار تكشف عنهم ظُلَمَ المظالم، وتكفّ بسطة يد المعتدى الغانم، ومن دولته القاهرة فى ظلّ وارف، وفى سعود متتابع أُنُفٍ فى اثر سالف، ما تعاقب الليل والنهار، ودار الفلك الدوّار، [من المتقارب]

دعوتُ وقد أَمِنَ الحافظان ... وذو العرش ممّن دعاه قريبُ

وقد قال سبحانه للعباد ... سَلُونى فانى سميعٌ مُجيبُ

والحمد لله ربّ العلمين وصلواته على سيّدنا محمّد وعلى آله اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل وما بكم من نعمة فمن الله،



فصل قال اسامة بن مرشد بن علىّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين هذه طُرَف اخبار حضرتُ بعضها وحدّثنى بعضها من اثق به جعلتُها الحاقا فى الكتاب اذ ليست ممّا قصدتُ ذكره فيما تقدّم وابدأتُ منها بأخبار الصالحين رضى الله عنهم اجمعين

حدّثنى الشيخ الامام الخطيب سراج الدين ابو طاهر ابرهيم بن الحسين بن ابرهيم خطيب مدينة اسعرد بها فى ذى القعدة سنة اثنتين وستّين وخمس مائة قال حدّثنى ابو الفرج البغدادى قال شهدتُ مجلس الشيخ الامام ابى عبد الله محمّد البصرىّ ببغداد وحضرتْه امرأة فقالت يا سيّدى انك كنت ممن شهد فى صداقى وقد فقدتُ كتاب المهر واسئلك ان تتفضّل علىّ تقيم الشهادة بمجلس الحكم فقال ما افعل حتى تأتينى بحلاوة فوقفت المرأة وهى تظنّ انه يمزح بقوله فقال لا تطيلى لا امضى معك الّا ان تأتينى بالحلاوة فمضت ثمّ عادت فاخرجت من جيبها من تحت الازار قرطاسا فيه حلاوة يابسة فتعجّب اصحابه من طلبه الحلاوة مع زهده وتعفّفه فاخذ القرطاس وفتحه ورمى بالحلاوة قطعة قطعة حتى فرغ القرطاس ونظره فاذا هو1) كتاب صداق المرأة الذى فقدتْه فقال خذى صداقك فهذا هو فاستعظم من حضره ذلك فقال كلوا الحلال وقد فعلتم ذلك واكثر منه، حدّثنى الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم بن قاسم الحموىّ بها يوم الاثنين سلخ ذى الحجّة سنة سبعين وخمس مائة قال قدم علينا رجل شريف من اهل الكوفة فحدّثنا قال حدّثنى ابى قال كنت ادخل على قاضى القضاة الشامىّ الحموىّ فيكرّمنى ويُجلّنى فقال لى يوما انا احبّ اهل الكوفة لشخص واحد منهم كنت بحماة وانا شابّ وقد توفّى بها عبد الله ابن ميمون الحموىّ رحمه الله فقالوا له أَوْصِ فقال اذا انا متّ وفرغتم

---

1) Ms.: ماهو.

من جهازى اخرجونى الى الصحراء ويطلع انسان على الرابية التى تشرف على المقابر وينادى يا عبد الله بن القُبيبس 1) مات عبد الله ابن ميمون فاحضرْه وصلِّ عليه فلمّا مات فعلوا ما امرهم به فاقبل رجل عليه ثوب خام ومئزر صوف من الجانب الذى نادى منه المنادى وجاء حتّى صلّى عليه والناس قد بهتوا لا يكلّمونه فلمّا فرغ من الصلاة انصرف راجعا من حيث جاء فتلاوموا اذ لم يتمسّكوا به ويسئلونه فسعوْا فى اثره ففاتهم ولم يكلّمهم كلمة واحدة، وقد حضرت ما يقارب ذلك فى حصن كيفا وكان فى مسجد الحُصر 2) رجل يُعرَف بمحمّد السمّاع 3) له زاوية الى جانب المسجد يخرج وقت الصلاة يصلّى جماعة ويعود الى زاويته وهو رجل من الاولياء وهو بالقرب من منزلى فاحضرتْه الوفاة فقال كنت اشتهى على الله تعالى ان يحضرنى شيخى محمّد البُسْتىّ فما جُمع له جهاز غسله وكفنه الّا وشيخه محمّد البستىّ عنده فتولّى غسله وخرج خلفه تقدّمنا صلّى عليه ثم نزل فى زاويته فاقام بها مُديدة وهو يزورنى وانا ازوره وكان رحمه الله عالما زاهدا ما رأيت ولا سمعت بمثله كان يصوم الدهر ولا يشرب ماء ولا يأكل خبزا ولا شيئا من الحبوب انما يفطر على رمّانتين او عنقود عنب او تفّاحتين ويأكل فى الشهر مرّة او مرّتين لُقيمات من لحم مقلىّ فقلت له يوما يا شيخ ابا عبد الله كيف وقع لك ان لا تأكل خبزا ولا تشرب ماء وانت صائم ابدا قال صمتُ وطَويت فوجدتُّنى اقوى على ذلك فطويت ثلثا وقلت اجعلُ ما آكله كالمنيّة التى تحلّ للمضطرّ بعد ثلث فوجدتُّنى اقوى على ذلك فتركتُ الاكل وشرب الماء فألِفتِ النفسُ ذلك وسكنت اليه

1) Ms.: العبيبس.

2) Ms.: الحصر; peut-être faut-il lire الحصن.

3) Ms.: السماع; peut-être الشمّاع.

فاستمرّتْ على ما انا عليه، وكان بعض اكابر حصن كيفا قد عمل للشيخ زاوية فى بستان جعله له فحضر عندى فى اوّل شهر رمضان وقال قد جئتُ مودّعا قلت والزاوية التى قد أُعدّت لك والبستان قال يا اخى ما لى حاجة فيهما ولا اقيم وودّعنى ومضى رحمه الله وذلك سنة سبعين وخمس مائة، وحدّثنى الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم ابن قُسيم الحموىّ بحماة فى التأريخ المتقدّم ان رجلا كان يعمل فى بستان لمحمّد بن مسعر رحمه الله اتى اهلَه وهم جلوس على ابواب دورهم بالمعرّة فقال سمعت الساعة عجبا قالوا وما هو قال مرّ بى رجل معه ركوة طلب منّى فيها ماء فاعطيته فجدّد وضوءه واعطيته خيار تين فابى ان يأخذها فقلت ان هذا البستان نصفه لى بحقّ عملى ولمحمّد بن مسعر نصفه بالملك فقال أَحَجَّ العام قلت نعم قال البارحة بعد انصرافنا من الوقفة مات وصلّينا عليه فخرجوا فى اثره ليستفهموا منه فرأوه على بُعد لا يمكنهم لحاقه فعادوا وورّخوا الحديث فكان الامر كما قال، حدّثنى الاجلّ شهاب الدين ابو الفتح المظفّر بن اسعد بن مسعود ابن بختكين بن سبكتكين مولى معزّ الدولة ابن بويه بالموصل فى ثامن عشر شهر رمضان سنة خمس وستّين وخمس مائة قال زار المقتفى بامر الله امير المؤمنين رحمه الله مسجد صندوديا بظاهر الأنبار على الفرات الغربىّ ومعه الوزير وانا حاضر فدخل المسجد وهو يُعرَف بمسجد امير المؤمنين علىّ رضوان الله عليه وعليه ثوب دمياطىّ وهو متقلّد سيفا حليتُه حديد لا يدرى انه امير المؤمنين الّا من يعرفه فجعل قيّم المسجد يدعو للوزير فقال الوزير ويحك ادعُ لامير المؤمنين فقال له المقتفى رحمه الله سله عمّا ينفع قل له ما كان من المرض الذى كان فى وجهه فانى رأيته فى ايّام مولانا المستظهر رحمه الله وبه مرض فى وجهه وكان فى وجهه سلعة قد غطت اكثر وجهه فاذا اراد الأكل سدّها بمنديل حتى يصل الطعام الى فمه فقال القيّم كنتُ كما تعلم وانا

اتردّد الى هذا المسجد من الانبار فلقيني انسان فقال لو كنت تتردّد
الى فلان يعنى مقدّم الانبار كما تتردّد الى هذا المسجد لاستندا 1)
لك طبيبا يزيل هذا المرض من وجهك فخامر قلبى من قوله شيء
ضاق له صدرى فنمت تلك الليلة فرأيت امير المؤمنين علىّ بن ابى
طالب رضوان الله عليه وهو فى المسجد يقول ما هذه الحصرة يعنى
حصرة فى الارض فشكوت اليه ما بى فاعرض عنّى ثم راجعته وشكوت اليه
ما قاله لى ذلك الرجل فقال انت ممن يريد العاجلة ثم استيقظتُ
والسلعة مطروحة الى جانبى وقد زال ما كان بى فقال المقتفى رحمه الله
صدق ثم قال لى تحدّثْ معه وابصرْ ما يَلتمسه واكتب به توقيعا واحضره
لأعلم عليه فتحدّث معه فقال انا صاحب عائلة وبنات واريد فى كلّ شهر
ثلاثة دنانير فكتبتُ عنه مطالعة وعَنْوَنتها الخادمُ قيّم مسجد علىّ فوقّع
عليها بما طلب وقال لى امض ثبّتْها فى الديوان فضيت ولم اقر 2) منها
سوى يوقّعْ له بذلك وكان الرسم ان يُكتَب لصاحب المطالعة توقيعٌ
ويؤخَذ منه ما فيه خطّ امير المؤمنين فلمّا فتحها الكاتب لينقلها وجد
تحت قيّم مسجد علىّ بخطّ المقتفى امير المؤمنين صلوات الله عليه
ولو كان طلب اكثر من ذلك لوقّع له به، وحدّثنى القاضى الامام مجد
الدين ابو سليمن داود بن محمّد بن الحسن بن خالد الخالدىّ رحمه
الله بظاهر حصن كيفا يوم الخميس ثانى وعشرين ربيع الاوّل سنة ستّ
وستّين وخمس مائة عن من حدّثه ان شيخا استأذن على خواجا
بزرك 3) رحمه الله فلمّا دخل عليه رآه شيخا مهيبا نهيّا فقال من اين
الشيخ قال من غزنة قال الك حاجة قال انا رسول رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم الى ملك شاه قال يا شيخ اىّ شيء هذا الحديث قال ان

---

1) *Sic*; correctement لاستدعى.
2) *Sic*; correctement أقرأ.
3) Ms.: درك.

اوصلتَنى اليه بلّغتُه الرسالة والّا فانا لا ازول حتّى اجتمع به وابلّغه الى ما1) معى فدخل خواجا بزرك على السلطان فأَعلمه بما قاله الشيخ فقال احضروه فلمّا حضر قدّم للسلطان مسواكا ومشطا وقال له انا رجل لى بنات وانا فقير لا اقدر على جهازهن وتزويجهن وكلّ ليلة ادعو الله تعالى ان يرزقنى ما اجهّزهن به فنمت ليلة الجمعة من شهر كذا ودعوتُ الله سبحانه بمعونتى عليهن فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما يرى النائم فقال لى انت تدعو الله تعالى ان يرزقك ما تجهّز به بناتك قلت نعم يا رسول الله فقال امض الى فلان وسمّاه بمعزّ2) ملك شاه يعنى السلطان وقل له قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جهّزْ بناتى فقلت يا رسول الله ان طلب منّى علامة ما اقول له قال قل له بعلامة أنّك كلّ ليلة عند النوم تقرأُ سورة تبارك فلمّا سمع ذلك السلطان فقال هذه علامة صحيحة وما اطّلع عليها غير الله تبارك وتعالى فان مؤدّبى امرنى ان اقرأها كلّ ليلة عند النوم وانا افعل ذلك ثمّ امر له بكلّ ما طلبه لتجهيز بناته واجزل عطيّته وصرفه، ويشبه هذا الحديث ما سمعته عن ابى عبد الله محمّد بن فاتك3) المقرئ قال كنت اقرأُ يوما على ابى بكر بن مجاهد رحمه الله المقرئ ببغداد اذ ورد عليه شيخ عليه عمامة رثّة وطيلسان وثياب رثّة وكان ابن مجاهد يَعرف الشيخ فقال له ايش كان من خبر الصبية قال يا ابا بكر4) جاءتنى البارحة ابنة ثالثة فطلبتْ منّى اهلى دانقا يشترون به سمنا وعسلا يحنّكونها به فلم اقدر عليه فبتُّ مهموما فرأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فيما يرى النائم فقال لا تغتمّ ولا تحزن واذا كان غدا فادخلْ على علىّ بن عيسى وزير الخليفة فأقْرِه5) منّى السلام وقل له بعلامة انك

1) Ms.: الا ما.
2) Ce mot se devine, mais ne se lit pas sur le manuscrit.
3) Ms.: هاتك. 4) Ms.: ىاىا بكر.
5) Ms.: فاقره; correctement فأَقْرِئْهُ; cf. p. ١٢٨, l. 12 et p. ١٣٠, l. 10.

صلّيت علىّ عند قبرى اربعة الاف مرّة ادفعْ لى مائة دينار عينًا فقال ابو بكر بن مجاهد يا ابا عبد الله فى هذا فائدة وقطع على القراءة واخذ بيد الشيخ وقام فدخل به على علىّ بن عيسى فرأى علىُّ بن عيسى مع ابن مجاهد شيخا لم يعرفه فقال من اين لك يا ابا بكر هذا فقال يُدنيه الوزير ويَسمع منه كلامه فادناه وقال ما خطبُك يا شيخ فقال الشيخ إن ابا بكر بن مجاهد يعلم ان لى ابنتين والبارحة جاءتنى ثالثة فطلبتْ منّى اهلى دانقا يشترون به عسلا وسمنا يحنّكونها به فلم اقدر عليه فبتُّ البارحة وانا مهموم فرأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى المنام وهو يقول لا تغتمّ ولا تحزن اذا كان غدا فادخلْ على علىّ بن عيسى واَقْرِه 1) منّى السلام وقل له بعلامة انك صلّيت علىّ عند قبرى اربعة الاف 2) مرّة ادفعْ لى مائة دينار عينًا قال ابن 3) مجاهد فاغرورقتْ عينَا علىّ بن عيسى بالدموع ثم قال صدق الله ورسوله وصدقتَ ايّها الرجل هذا شىء ما كان علم به الّا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم يا غلام هات الكيس فاحضره بين يديه فضرب بيده اليه فاخرج منه مائة دينار وقال هذه المائة التى قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهذه مائة اخرى للبشارة وهذه مائة اخرى هديّة منّا لك فخرج الرجل من عنده وفى كمّه ثلاثمائة دينار، وحدّثنى القائد الحاجّ ابو علىّ فى شهر رمضان فى سنة ثمان وستّين وخمس مائة بحصن كيفا قال كنت بالموصل جالسا فى دكّان محمّد بن علىّ بن محمّد بن مامة فاجتاز بنا رجل فُقّاعىّ ضخم غليظ الساقين فدعاه محمّد 4) وقال يا عبدُ علىَّ بالله حدّثْ فلانا حديثك

---

1) Ms.: واقره; cf. p. ١٢٩, note 5.
2) Ms.: الف.
3) Ms. sans ابن.
4) Ms.: احمد.

قال انا رجل ابيع الفقّاع كما ترى فبتُّ ليلة اربعاء وانا صحيح فانتبهت وقد انحلّ وسطى فلا اقدر على الحركة ويبست رجلاى ودقّت حتى بقيت الجلد والعظم فكنت ازحف الى وراء لان رجلى ما كانت تتبعنى ولا كان فيها حركة بالجملة فقعدت فى طريق زين الدين علىّ كوجك رحمه الله فامر بحملى الى داره فحُملتُ وأحضر الاطبّاء وقال اريد ان تداووا هذا فقالوا نعم نداويه ان شاء الله ثم اخذوا مسمارا فأحموه ثم كووْا به رجلى فما حسست به فقالوا لزين الدين ما نقدر على دواء هذا ولا فيه حيلة فوهب لى دينارين وحمارا فبقى الحمار عندى نحوا من شهر ومات فعدت قعدت فى طريقه فوهب لى حمارا اخر فمات ووهب لى حمارا ثالثا فمات فعدت الى سؤاله فقال لواحد من اصحابه اخرجْ بهذا فارمه فى الخندق فقلت له بالله ارمنى على وركى فانى ما احسّ فيها بما يكون فقال ما ارميك الّا على رأسك فاذا رسول زين الدين رحمه الله قد جاءنى فردّنى اليه وكان الذى قاله من رميى مزاحا فلمّا احضرونى بين يديه اعطانى اربعة دنانير وحمارا فبقيت على ما انا عليه الى ليلة رأيت فيها فيما يرى النائم كانّ رجلا وقف علىّ وقال قم قلت من انت قال انا علىّ بن ابى طالب فقمت ووقفت فأُنبهت امرأتى وقلت ويحكِ قد ابصرتُ كذا وكذا فقالت ها انت قائم فشيت على رجلى وزال ما كان بى ورجعت كما ترانى فصبيت الى عند زين الدين الامير علىّ كوجك رحمه الله فقصصت عليه منامى ورآنى قد زال ما رآه بى فاعطانى عشرة دنانير فسبحان الشافى المعافى، حدّثنى الشيخ الحافظ ابو الخطّاب عمر بن محمّد بن عبد الله بن معمر العُلَيْمىّ بدمشق اوائل سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة قال حكى لى رجل ببغداد عن القاضى ابى بكر محمّد بن عبد الباقى بن محمّد الانصارىّ الفَرْضىّ المعروف بقاضى المارستان انه قال لمّا حججت بينا اطوف بالبيت اذ وجدت عقدا من اللؤلؤ فشددته فى طرف احرامى فبعد

ساعة سمعت انسانا ينشده فى الحرم وقد جعل لمن يردّه عليه عشرين دينارا فسألته علامة ما ضاع له فاخبرنى فسلّمته اليه فقال لى تجىء معى الى منزلى لادفع اليك ما جعلته لك فقلت ما لى حاجة الى ذلك وما دفعته اليك بسبب الجعالة وانا من الله بخير كثير فقال ولم تدفعه إلّا للّه عزّ وجلّ فقلت نعم فقال استقبلْ بنا الكعبة وآمنْ على دعائى فاستقبلنا الكعبة فقال اللهمّ اغفر له وارزقْنى مكافأته ثمّ ودّعنى ومضى ثمّ اتّفق اننى سافرت من مكّة الى ديار مصر فركبت فى البحر متوجّها الى المغرب فاخذت الرومُ المركب وأُسرتُ فيمن أُسر فوقعتُ فى نصيب بعض القسوس فلم ازل اخدمه الى ان دنت وفاته فاوصى باطلاقى فخرجت من بلد الروم فصرت الى بعض بلاد المغرب فجلست اكتب على دكّان خبّاز وكان ذلك الخبّاز يعامل بعضَ تُناة 1) تلك المدينة فلمّا كان فى رأس الشهر جاء غلام ذلك التانى الى الخبّاز فقال سيّدى يدعوك لتحاسبه فاستصحبنى معه ومضينا اليه فحاسبه 2) على رفاعة فلمّا رأى معرفتى فى الحساب وخطّى طلبنى من الخبّاز فغيّر تناءتى 3) وسلّم اليّ جباية مِلْكه وكانت له نعمة ضخمة واخلى 4) لى بيتا فى جانب داره فلمّا مضت مُديدة قال لى يا ابا بكر ما رأيُك فى التزويج قلت يا سيّدى انا لا اطيق نفقة نفسى فكيف اطيق النفقة على زوجة قال انا اقوم عنك بالمهر والمسكن والكسوة وجميع ما يلزمك فقلت الامر لك فقال يا ولدى ان هذه الزوجة فيها عيوب شتّى ولم يترك شيئا من العيب فى الخلقة من رأسها الى قدمها الّا ذكره لى وانا اقول رضيتُ وباطنى فى ذلك كظاهرى فقال لى الزوجة ابنتى واحضر جماعة

1) Ms.: تُناه.
2) Ms.: فحاسبه; peut-être faut-il lire فحاسبْتُه.
3) Ms.: تنادى.
4) Ms.: واحلا.

وعقد العقد فلمّا كان بعد ايّام قال لى تهيّأ لدخول بيتك ثم امر لى
بكسوة فاخرة ودخلتُ الى دار فيها التجمّل والآلات ثم أُجلستُ فى
المرتبة وأُخرجت العروس تحت النمط فقمتُ لىلقها فلمّا كشفت 1)
النمط رأيت صورةً ما رأيت فى دار الدنيا اجمل منها فهربتُ من
الدار خارجا فلقينى الشيخ وسألنى عن سبب هربى فقلت ان الزوجة
ما هى التى ذكرتَ لى فيها من العيوب ما ذكرتَ فتبسّم وقال يا ولدى
هى زوجتك وليس لى ولد سواها وانما ذكرتُ لك ما ذكرتُ لئلّا تستقلّ
ما تراه فعدتُ وجُليتْ علىّ فلمّا كان من الغد جعلتُ اتأمّل ما عليها
من الحلى والجوهر الفاخر فرأيت من جملة ما عليها العقد الذى
وجدتُه بمكّة فعجبت من ذلك واستغرقنى الفكر فيه فلمّا خرجتُ من
البناء استدعانى وسألنى عن حالى وقال جَدَعَ الحلالُ انفَ الغَيْرة فشكرتُه
على ما فعله معى ثم استولى علىّ الفكر فى العقد ووصوله اليه فقال
لى فيمَ تفكر فقلت فى العقد الفلانىّ فانى حججت فى السنة الفلانيّة
فوجدته فى الحرم او عقد 2) يشبهه فصاح وقال انت الذى رددت علىّ
العقد قلت انا ذاك فقال ابشرْ فان الله قد غفر لى ولك فانى دعوت
الله سبحانه فى تلك الساعة ان يغفر لى ذلك وان يرزقنى مكافأتك
وقد سلّمتُ اليك مالى وولدى وما اظنّ اجلى الّا وقد قرب ثم اوصى
الىّ ومات بعد مُديدة قريبة رحمه الله وحدّثنى الامير سيف الدولة
زنكى بن قراجا رحمه الله قال دعانا شاهنشاه بحلب وهو زوج اخته فلمّا
اجتمعنا عنده نفذنا الى صاحب لنا كنّا نعاشره وننادمه خفيف الروح
طيّب العشرة فاستدعيناه فحضر فعرضنا عليه الشرب فقال انا محتم 3)
امرنى الطبيب بالحمية ايّاما حتى تُشقّ هذه السلعة وكان فى مؤخّر

1) Mot douteux; le haut des lettres manque.

2) Ms.: عقد; correctement عقدا.

3) Ms.: محممى.

رقبته سلعة كبيرة فقلنا واثقّنا اليوم ويكون الجبة من غد ففعل وشرب معنا الى اخر النهار فطلبنا عن شاهنشاه شيعا نأكله فقال ما عندى شيعا 1) فلاججناه حتى اجابنا الى ان يُحضر لنا بَيْضًا نَقليه على المَنْقل فاحضر البيض واحضرنا صُحْنًا وكسرنا البيض وافرغنا ما فيه فى الصحن ووضعنا المِقْلى على المنقل ليَحْمَى فاشرتُ الى ذلك الرجل الذى فى رقبته السلعة ان يشرب البيض فرفع الصحن على فمه ليشرب بعضه فانساب جميع ما فى الصحن فى حلقه بشربه وقلنا لصاحب الدار عوّضْنا عن البيض فقال والله ما افعل فشربنا ثم افترقنا فانا فى السحر فى فراشى والباب يُقرَع فخرجت جارية تنظر من بالباب فاذا هو صديقنا ذلك فقلت أَحضريه 2) فجاءنى وانا فى الفراش وقال يا مولاى تلك السلعة التى كانت فى رقبتى ذهبت وما بقى لها أثر فنظرت موضعها فاذا هو كغيره من جوانب رقبته فقلت اىّ شىء انهبها قال الله سبحانه ما عرفت اننى استعملت شيعا ما كنت استعمله غير شربى لذلك 3) البيض النىء 4) فسبحان القادر المبلى المعافى، وكان عندنا فى شيزر اخوان اسم الاكبر مظفّر والاخر ملٰك بن عيّاض من اهل كفرطاب وهما تجار يسافران الى بغداذ وغيرها من البلاد ومظفّر ادركه قيلة عظيمة فهو منها فى تعب فسار فى قافلة على السماوة الى بغداذ فنزلت القافلة بحىّ من احياء العرب فضيّفوهم بطيور طبخوها لهم فتعشّوا وناموا فانتبه انبه رفيقه الذى فى جانبه وقال له انا نائم او مستيقظ قال مستيقظ لو كنت نائما ما تحدّثت قال تلك القيلة قد ذهبت وما بقى لها اثر فنظر فاذا هو قد عاد كغيره الى الصحّة فلمّا اصبحوا

1) Ms.: سيا ; correctement شيئا.

2) Lu en supposant l'*alif*, dont il reste la place, mais non le tracé.

3) لذلك deux fois dans le manuscrit.

4) Lecture incertaine; ms.: المى ou المى.

سألوا العرب الذين اضافوهم اىّ شىء اطعموهم قالوا نزلتم بنا ودوابّنا عازبة فخرجنا اخذنا فراخ غِرْبانٍ طبخناها لكم فلمّا وصلوا بغداد دخلوا المارستان وحكوا لمتولّى 1) المارستان حكايته فنفّذ حصّل فراخ غربانٍ واطعمها لمن به هذا المرض فلم تنفعه ولا اثّرتْ فيه فقال تلك الفراخ التى اكلها كان زقّها .ابوها افاعيا 2) فلذلك كان نفعها ومما يشاكل ذلك ان رجلا اتى يوحنّا بن بطلان الطبيب المشهور بالمعرفة والعلم والتقدّم فى صنعة الطبّ وهو فى دكّانه بحلب فشكى اليه مرضه فرآه قد استحكم به الاستسقاء وكبر بطنه ودقّت رقبته وتعرّف سحنته فقال له يا ولدى ما لى والله فيك حيلة ولا بقى الطبّ ينجع فيك فانصرف ثم بعد مدّة اجتاز به وهو فى دكّانه وقد زال عنه ما كان به من المرض وضمر جوفه وحسنت حاله فدعاه ابن بطلان فقال ما انت الذى حضرت عندى من مدّة وبك الاستسقاء وقد كبر بطنك ودقّت رقبتك وقلتُ لك ما لى فيك حيلة قال بلى قال فبما ذا تداويتَ حتى زال ما كان بك قال والله ما تداويت بشىء انا رجل صعلوك ما لى شىء ولا لى من يدور بى سوى والدتى عجوز ضعيفة كان لها فى دُنين خلّ فكانت كلّ يوم تطعمنى منه بخبز فقال له ابن بطلان بقى من الخلّ شىء قال نعم قال امش معى أرينى الدنّ الذى فيه الخلّ فمشى بين يديه الى بيته اوقفه على دنّ الخلّ فافرغ ابن بطلان ما كان فيه من الخلّ فوجد فى اسفله افعايين 3) قد تهرّتا 4) فقال له يا بنىّ ما كان يقدر يداويك بخلّ فيه افعايين 5) حتى تبرأ الّا الله عزّ وجلّ، وكان لهذا ابن بطلان اصابات عجيبة فى الطبّ فمن ذلك ان رجلا اتاه وهو فى

1) Ms.: للمتولى.
2) Ms.: افاعيا; correctement أَفَاعِىَ.
3) Ms.: افعايين; correctement أَفْعَيَيْنِ.
4) Ms.: تهريا; correctement تَهَرَّأَتَا.
5) Ms.: افعايين; correctement أَفْعَيَانِ.

دكّانه بحلب والرجل قد انقطع كلامه فلا يكاد يُفهَم منه اذا تكلّم فقال له ما صنعتك قال انا مغربل فقال احضر لى نصف رطل خلّ حاذق فاحضره فقال اشربه فشربه وجلس لحظة فذرعه القىء فتقيّأ طينا كثيرا فى ذلك الخلّ فانفتح حلقه واستوى كلامه فقال ابن بطلان لابنه وتلامذته لا تداووا بهذا الدواء احدا فتقتلوه هذا كان قد علق بالمَرِىء من غبار الغربلة تراب ما كان يُخرجه الّا الخلّ وكان ابن بطلان ملازما لخدمة جدّى الاكبر ابى المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ فظهر فى جدّى ابى الحسن علىّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ رحمه الله وَضَحٌ وهو صبىّ صغير فاقلق ذلك اباه واشفق عليه من البرص فاحضر ابن بطلان وقال له ابصر ما قد ظهر فى جسم علىّ فنظره وقال اريد خمس مائة دينار حتى اداويه وأُذهب هذا عنه فقال له جدّى لو كنت داويت عليّا ما كنت رضيت لك بخمس مائة دينار فلمّا رأى الغضب من جدّى قال يا مولاى انا خادمك وعبدك وفى فضلك ما قلتُ ما قلتُه الّا على سبيل المزح وهذا الذى بعليٍّ بهقُ الشباب واذا ادرك زال عنه فلا تحملْ منه همّا ولا يقول لك سواى انا اداويه ويتسوّق عليك فهذا يزول عند بلوغه فكان كما قال، وكان فى حلب امرأة من وجوه نساء حلب يقال لها بَرّةُ لحقها بردٌ فى رأسها فكانت تعمل عليه القطن العتيق والقلنسوة والمخملة والمناديل حتى تصير كانّ على رأسها عمامة كبيرة وهى تستغيث من البرد فاحضرت ابن بطلان وشكت اليه مرضها فقال حصّلى لى فى غد خمسين مثقالا من كافور رياحىّ عاريّةً او مُكْرًى من بعض الطيبيين فهو يعود اليه باسره فحصّلتْ له الكافور ثم اصبح القى كلّ ما على رأسها وحشى 1) شعرها بذلك الكافور وردّ على رأسها ما كان عليه من الدثار وهى تستغيث من البرد

---

1) Ms.: وحسى; correctement وحشا.

فنامت لحظة وانتبهت تشكو الحرّ والكرب فى رأسها فالقى عنها شيئا شيئا مما كان على رأسها حتى بقى على رأسها قناع واحد ثم نفض شعرها من ذلك الكافور وذهب عنها البرد وصارت تتقنّع بقناع واحد، وقد جرى لى بشيزر ما يقارب ذلك لحقنى برد عظيم وقشعريرة من غير حمى وعلىّ الثياب الكثيرة والفرو ومتى تحرّكتُ فى جلوسى ارتعدتُ وقام شعر بدنى وتجمّعتُ فاحضرت الشيخ ابا الوفاء تميم الطبيب فشكوت اليه ما اجد فقال احضِروا لى بطّيخة هندىّ 1) فأُحضرت فكسرها وقال لى كُل منها ما 2) استطعت قلت يا حكيم انا فى الموت من البرد والرمّان بارد كيف آكل هذه مع بردها قال كُل كما اقول لك فاكلت فما انتهى اكلى منها حتى عرقتُ وزال ما كنت اجده من البرد فقال لى الذى كان بك من غلبة الصفراء ما كان من برد حقيقىّ، وقد تقدّم ذكر شىء من غريب الأحلام وقد اوردت فى كتابى المترجم بكتاب النوم والاحلام من ذكر النوم والاحلام وما قيل فيها وفى اوقات الرؤيا وفى اقوال العلماء فيها واستشهدت على اقوالهم بما ورد فيها من اشعار العرب ووسّعتُ الشرح واشبعت فيه المعنى فما حاجة الى ذكر شىء منه هاهنا لكننى ذكرت هذا الخبر واستطرفتُه فاوردته كان لجدّى سديد الملك ابى الحسن علىّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ رحمه الله جارية يقال لها لؤلؤة ربّت والدى مجد الدين ابا سلامة مرشد بن علىّ رحمه الله فلمّا كبر وانتقل عن دار والده انتقلتْ معه فرزقنى فربّتْنى تلك العجوز الى ان كبرتُ وتزوّجتُ وانتقلتُ من دار والدى رحمه الله فانتقلتْ معى ورزقتُ الاولاد فربّتْهم وكانت رحمها الله من النساء الصالحات صوّامةً قوّامةً وكان يلحقها القولنج وقتًا بعد وقت فلحقها يوما من الايّام

---

1) Ms.: بطاخه هندى.
2) Ms. sans ما.

واشتدّ بها حتى غاب ذهنها وأيسوها فبقيتْ كذلك يومين وليلتين ثمّ افاقت فقالت لا اله الّا الله ما اعجب ما كنت فيه لقيتُ امواتنا جميعهم وحدّثونى بالعجائب وقالوا لى فى جملة ما قالوا ان هذا القولنج ما يعود يلحقك فعاشت بعد ذلك المدّة الطويلة ثم يلحقها قولنج وعاشت حتى قاربت المائة سنة وكانت محافظة لصلواتها رحمها الله فدخلتُ اليها فى بيت افردتُه لها من دارى وبين يديها طست وهى تغسل منديلا للصلوات فقلت ما هذا يا أمّى قالت يا بُنىّ قد مسكوا هذا المنديل وايديهم ذفرة من الجُبن وكلّما غسلتُه قد فاحت منه رائحة الجُبن قلت اريني الصابونة التى تغسلى 1) بها فاخرجتْها من المنديل فاذا هى قطعة جُبن وهى تظنّ انها صابون وكلّما عركتْ ذلك المنديل بالجُبن قد فاحت روائحه قلت يا امّى هذه 2) جبنة ما هى صابونة فنظرتْها وقالت صدقتَ يا بنىّ ما ظننتُها الّا صابون 3) فتبارك الله اصدق القائلين وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ، الاطالة تجلب الملالة والحوادثُ والطوارقُ اكثر من ان تُحصَرُ، والرغبةُ الى الله عزّ وجلّ فى السّيَر، والعافيةُ فيما بقى من الحياة، والرحمة والرضوان عند موافاة الوفاة، فانه سبحانه اكرمُ مسؤول، واقربُ مأمول، الحمد لله وحده وصلواته على سيّدنا محمّد وعلى آله وسلامه

---

1) Ms.: تعسلى; correctement تغسلين.
2) هذه deux fois dans le ms.
3) Ms.: صابون; correctement صابونا.



توكّلتُ على الله تعالى [من الطويل]

ولله منّى جانبٌ لا أُضيعُه ولِلّهْوِ منّى والبَطالةِ جانبُ

قد ذكرتُ من احوال الحرب وما شاهدته من الوقعات والمصافّات والاخطار ما 1) حضرنى ذكره ولم يُنْسِنيه الزمان ومرُّه فان العمر طال ولزمتُ الانفراد والاعتزال والنسيان من ارث متقادم من ابينا آدم عليه السلام 2)؛

وانا ذاكر فصلا فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح فمن ذلك ما حضرته بشيزر فى صدر العمر ومن ذلك ما حضرته مع ملك الامراء اتابك زنكى بن اق سنقر رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بمصر ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين ابى المظفّر محمود بن اتابك زنكى رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بديار بكر مع الامير فخر الدين قرا ارسلان 3) بن داود بن ارتق رحمه الله

فامّا ما كان بشيزر فكان مع الوالد رحمه الله وكان مشغوفا بالصيد لهجًا به وبجميع الجوارح وما يستكثر ما يُغرِمه عليه لفرجته فانه كان نزهته فليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله عزّ وجلّ عند فراغه من اشغال اصحابه وهو رحمه الله صائم الدهر مواظبٌ على تلاوة القران فكان الصيد كما جاء فى الخبر رَوِّحوا القلوب تَعِى الذكر 4) فما رأيت قطّ مثل صيده وترتيبه وقد شاهدت صيد ملك الامراء اتابك زنكى رحمه الله وكان له الجوارح الكثيرة فرأيته ونحن نسير على الانهار فيتقدّم البازداريّة بالبزاة ترميها على طيور الماء ويُدَقّ الطبول لجارى العادة فتتصيّد منها ما تصيد وتُخطِئُ ما تُخطئ ووراءهم

---

1) Ms. sans ما.
2) Ms.: السلم.
3) Ms.: ورارسلان.
4) J'hésite pour la lecture depuis فى الخبر jusqu'à الذكر.

الشواهين الكوهيّة على ايدى البازداريّة فاذا اصطادت البزاة واخطأت
ارسلوا الشواهين الكوهيّة على الطيور وقد ابعدتْ دست خيز1) فتلحق
وتصيد وتُرسَل على الحجل فتلحق الحجل فى طلوعها فى سفح الجبل
فتصيد فانها من سرعة الطيران على صفة عجيبة، وشاهدته يوما ونحن
فى المغرّقة2) بظاهر الموصل نسير فى باذنجان3) وبين يدى اتابك بازيار
على يده باشق فطار ذَكَرُ درّاج فارسله عليه فاخذه ونزل فلمّا صار فى
الارض فرط الدرّاج من كفّه وطار فلمّا ارتفع انتقل الباز من الارض
اخذه ونزل وقد ثبّته، ورأيته وهو فى صيد الوحش دفعات اذا
اجتمعت الحلقة واجتمع فيها الوحش لا يقدر احد يدخل الحلقة واذا
خرج من الوحش شىء رموه وكان من ارمى الناس فكان اذا دنا منه
الغزال رماه فيراه كانّه قد عثر فيقع ويُذبح وكان اول غزال يضربه فى
كلّ صيد احضره يُنفذه لى مع غلام من غلمانه وانا معه وشاهدته
وقد اجتمعت الحلقة ونحن فى ارض نصيبين على الهرملس وقد ضربوا
الخيام فوصل الوحش الى الخيام فخرج الغلمان بالعصىّ والعَمد فضربوا
منها شيئا كثيرا واجتمع فى الحلقة ذيب4) فوثب فى وسطها على غزال
اخذه وبرك عليه فقُتل وهو عليه، وشاهدته يوما ونحن بسنجار وقد
جاءه فارس من اصحابه فقال هاهنا ضبعة نائمة فسار ونحن معه الى واد
هناك والضبعة نائمة على صخرة فى سفح الوادى فترجّل اتابك ومشى
حتى وقف مقابلها وضربها بنشّابة رماها الى اسفل الوادى ونزلوا جاءوا
بها الى بين يديه وهى ميّتة ورأيته ايضا بظاهر سنجار وقد جلّوا
ارنب5) فامر فاستدارت الخيل حولها وامر غلاما خلفه يحمل6) الوشق كما

1) Lecture douteuse. 2) Mot douteux.
3) Ms.: بادىحان; lecture incertaine.
4) *Sic*; correctement ذئب.
5) Ms.: ارنب; correctement ارنبا.
6) يحمل ajouté par conjecture.

يُحمَل الفهد فتقدّم ارسله على الارنب فدخلتْ بين قوائم الخيل وما تمكّن منها وما كنت رأيت الوشق قبل ذلك يصيد، ورأيت الصيد بدمشق ايّام شهاب الدين محمود بن تاج الملوك للطير والغزلان وحمر الوحش واليحامير فرأيته يوما وقد خرجنا الى شَعراء بانياس وفى الارض عشب عظيم فتصيّدنا كثيرا من اليحامير وضربت الخيام حلقةً ونزلنا فقام من وسط الحلقة يحمور كان نائما فى العشب فأُخذ فى وسط الخيام، ورأيت ونحن عائدون رجلا قد رأى سنجاب 1) فى شجرة فاعلم به شهابْ الدين فجاء وقف تحته ورماه مرّتين او ثلاثة فما اصابه فتركه وسار شبه المغتاظ 2) الذى لم يصبه فرأيت رجلا من الاتراك جاء رماه فوسّط النشّابة فيه فاسترخت يداه وبقى متعلّقا برجليه والنشّابة فيه حتى هزّوا الشجرة فوقع ولو كانت تلك النشّابة فى ابن آدم كان مات لوقته فسبحان خالق الخلق، ورأيت الصيد بمصر كان للحافظ لدين الله عبد المجيد ابى الميمون رحمه الله جوارح كثيرة من البزاة والصقور والشواهين البحريّة فكان لهم زمام يخرج بهم فى الجمعة يومين واكثرهم رجّالة على ايديهم الجوارح فكنت اركب يوم خروجهم الى الصيد لاتفرّج بنظر صيدهم فمضى الزمام الى الحافظ وقال له ان الضيف فلان 3) يخرج معنا كانه يستطلع امره فى ذلك فقال اخرج معه يتفرّج على الجوارح فخرجنا يوما ومع بعض البازياريّة باز مقرنّص بيت احمر العينين فرأينا كراكىّ فقال له الزمام تقدّمْ ارمى 4) عليها الباز الاحمر العينين فتقدّمَ رماه وطارت الكراكىّ فلحق منها واحدا على بعد منّا فحطّه فقلت لغلام لى على حصان جيّد ادفع الحصان اليه انزلْ واغرزْ منقار الكركىّ

---

1) Ms.: سنجاب; correctement سنجابا.
2) Lecture incertaine.
3) *Sic*; correctement فلانا.
4) *Sic*; correctement ارم.

فى الارض واكنفه واترك رجليه تحت رجليك الى ان نصلك فصى وعمل ما قلت له ووصل البازيار نبح الكركى واشبع الباز فلمّا دخل الزمام حدّث الحافظ بما جرى وما قلته للغلام وقال يا مولانا حديثه حديث صيّاد قال وايّ شىء شغل هذا الّا القتال والصيد وكان معهم صقور يرسلونها على البلاشيب وهى طائرة فاذا رأى البلشوب الصقر دار وارتفع والصقر يدور فى جانب اخر حتى يرتفع على البلشوب ثم يتقلّب عليه يأخذه وفى تلك البلاد طيور يسمّونها البُجّ مثل النّحّام يصيدونها ايضا وطيور الماء فى مقطعات النيل سهلة الصيد والغزال عندهم قليل بل فى تلك البلاد بقر بنى اسرائل 1) وهى بقر صغير2) قرونها مثل قرون البقر وهى اصغر من البقر تعدو عدوا عظيما وتخرج لهم من النيل دابّة يسمّونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها 3) صغار وهى جرداء مثل الجاموس لها انياب طوال فى فكّها الاسفل وفى فكّها الاعلى خروق لانيابها تخرج روّوسها 4) من تحت عينيها وصياحها مثل صياح الخنزير ولا تبرح فى بركة فيها ماء وتأكل الخبز والحشيش والشعير، وكنت قد مضيت مع الامير معين الدين رحمه الله الى عكّا الى عند ملك الافرنج فلك بن فلك فرأينا رجلا من الجنويّة قد وصل من بلاد الافرنج ومعه باز كبير مقرنص يصيد الكركىّ ومعه كلبة صغيرة اذا ارسل الباز على الكراكىّ عدتْ تحته فاذا اخذ الكركىّ وحطّه عضّته 5) فلا يقدر على الخلاص منها وقال لنا ذلك الجنوىّ ان الباز عندنا اذا كان ذنبه ثلثة عشر ريشة اصطاد الكركىّ فعددنا 6) ذنب ذلك الباز فكان كذلك

1) Ms.: اسرائل; correctement اسرائيل.
2) Ms.: صغر; lecture douteuse.
3) Ms.: وعسها.
4) Ms.: روسها.
5) Correction marginale; le texte porte عطه.
6) *Sic*; correctement فعددنا.

فطلبه الامير معين الدين رحمه الله من الملك فاخذه من ذلك الجنوىّ هو والكلبة واعطاه للامير معين الدين فجاء معنا فرأيته فى الطريق يثب الى الغزلان كما يثب الى اللحم ووصلنا به الى دمشق فما طال عمره بها ولا صاد شيئا ومات، وشاهدت الصيد فى حصن كيفا مع الامير فخر الدين قرا ارسلان 1) بن داود رحمه الله وهناك الحجل والزرخ 2) كثير والدرّاج فامّا طير الماء فهو فى الشطّ وهو واسع ما يتمكّن الباز منها واكثر صيدهم الاراوى ومعزى الجبل يعملون لها شباك 3) ويمدّونها فى الاودية ويطردون الاراوى فتقع فى تلك الشباك وهى كثيرة عندهم وقريبة المتصيّد وكذلك الارانب وشهدت الصيد مع الملك العادل نور الدين رحمه الله فحضرته ونحن بارض حماة وقد جلّوا له ارنب 4) فضربها بنشّابة كشماء 5) وقامت وسبقت الى مجحر دخلته فركضنا خلفها ووقف عليها نور الدين وناولنى الشريف السيّد بهاء الدين رحمه الله رِجْلها قد قطعتْها النشّابة من فوق العرقوب وشقّت جوفها قرنة النصلة فوقع منها بيتُ الولد وسبقت بعد هذا وانجحرت فامر نور الدين بعض الوشاقيّة نزل وقلع خفافه ودخل خلفها فما وصل اليها وقلت للذى معه بيت الاولاد وفيه خرنقين 6) شُقّه واطمرْهم بالتراب ففعل فتحرّكوا وعاشوا، وحضرته يوما وقد ارسل كلبة على ثعلب ونحن على فناء 7) حصار بارض حلب فركض خلفه وانا معه فلحقت الكلبة اخذت ذنب الثعلب فرجع اليها برأسه فعضّ خيشومها

1) Ms.: قرارسلان.
2) En marge وهو الطيهوج.
3) Ms.: شباك; correctement شباكا.
4) Ms.: ارنب; correctement ارنبا. A la marge on lit: يعنى رأوها وهى نائمة.
5) Lecture douteuse; ms.: كسما.
6) *Sic*; correctement خرنقان.
7) Mot douteux.

فصارت الكلبة تعوى ونور الدين رحمه الله يضحك ثم خلّاها وانجاحر فما قدرنا عليه وجاءه يوما ونحن ركاب تحت قلعة حلب من شمالىّ البلد باز فقال لنجم الدين ابى طالب بن علىّ كرد رحمه الله قل لفلان يعنينى تأخذ هذا الباز تلعب به فقال لى فقلتُ ما أُحسن لم فقال نور الدين انتم فى الصيد ما كنتم تزالون ما تُحسن تُصلح الباز قلت يا مولاى ما كنّا نُصلحها نحن كان لنا بازياريّة وغلمان يُصلحونها ويتصيّدون بها قدّامنا وما اخذتُّ الباز؛ شاهدت من الصيد مع هاولاء الاكابر شيئا كثيرا ما اتّسع لى الوقت لذكره مفصّلا وكانوا قادرين على ما يحاولونه من صيد وآلته وغيره وما رأيت مثل صيد والدى رحمه الله فما ادرى كنت 1) اراه بعين المحبّة كما قال القائل [من البسيط]

وكلُّ ما يفعل المحبوبُ محبوبُ

ما ادرى اكان نظرى فيه على التحقيق وانا اذكر شيئا من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه وذلك ان والدى رحمه الله كان قد فرغ زمانه بتلاوة القرآن والصيام والصيد فى نهاره وفى الليل ينسخ كتاب الله تعالى فكان قد نسخ ستّا واربعين ختمة بخطّه رحمه الله منها ختمتان بالذهب جميع القرآن ويركب الى الصيد يوما ويستريح يوما وهو صائم الدهر ولنا بشيزر متصيّدان متصيّد للحجل والارانب فى الجبل قبلىّ البلد ومتصيّد لطير الماء والدرّاج والارانب والغزلان على النهر فى الازوار 2) من غربىّ البلد وكان يتكلّف فى تسيير قوم من اصحابه الى البلاد لشرى البزاة حتى انه انفذ الى القسطنطينيّة احضر له منها بزاة وحملوا الغلمان معهم من الحمام ما ظنّوا انه يكفى البزاة التى معهم

---

1) Peut-être faut-il lire اكنت; l'*alif*, s'il a existé, est bien effacé.

2) Mot douteux; le ms. semble porter الاروار, cf. p. ١٣٩ l. 20.

فتغيّر عليهم البحر وتعوّقوا حتى فُرغ ما معهم من طعم البزاة فاضطّروا الى ان صاروا يُطعمون البزاة لحم السمك فأثّر ذلك فى اجنحتهم صار ريشها ينكسر وينقصف فلمّا وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزاة نادرة وفى خدمة الوالد بازيار طويل اليد فى اصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنائم فوصل اجنحتها واصطاد بها وقرنص بعضها عنده وكان اكثر ما يستدعى البزاة ويشتريها من وادى ابن الاحمر بالغلاء فاحضر قوما من اهل الجبل القريب من شيزر من اهل بشيلا وبَسْمالخ وحلّة عارا وتحدّث معهم فى ان يعملوا فى مواضعهم مصايد للبزاة ووهبهم وكساهم فضوا وعملوا بيوت الصيد فاصطادوا بزاة كثيرة فراخ 1) ومقرنصة وزرارق فحملوها الى الوالد وقالوا يا مولاى نحن قد بطّلنا معايشنا وزراعتنا فى خدمتك ونشتهى ان تأخذ منّا كلّ ما نصيده وتقرّر لنا ثمنا نعرفه لا تجاذُبَ فيه فقرّر ثمن الباز الفرخ خمسة عشر دينارا وثمن الزُّرّق الفرخ نصفها وثمن الباز المقرنص عشرة دنانير وثمن الزُّرّق المقرنص نصفها وانفتح للجبليّين اخذ دنانير بغير كلفة ولا تعب انما يعمل له بيت 2) بحجارة 3) على قدر خلقته ويغطّيه 4) بعيدان ويسترها بقشّ وحشيش ويجعل نافذة ويأخذ 5) طير حمام 6) يجمع رجليه على قضيب ويشدّها اليه ويُخرجه من تلك النافذة يحرّك العود فيتحرّك الطير ويفتح اجنحته فيراه الباز ينقلّب عليه يأخذه فاذا احسّ به الصيّاد جذب القضيب الى النافذة ومدّ يده قبض رجلى الباز وهو

1) Ms.: فراح; correctement فراخا.
2) Ms.: بيت; correctement بيتا.
3) Ms.: بحجارد ou بحجارر; lecture douteuse.
4) Ms.: ويغطه; lecture incertaine.
5) Le manuscrit semble porter وتاخذ, à moins que les deux points du *tâ* supposé ne se rapportent soit au mot précédent, soit à la ligne supérieure.
6) *Sic*; correctement طيرا حماما; cf. p. ١٤٩, l. 1.

الباز فكان كما ظنّ فيه من افره البزاة واطيرها واشطرها وقُرنص عندنا وخرج من القرناص اجود مما كان وعمر ذلك الباز وفرص عندنا ثلاث عشرة سنة فكان قد صار كانه من اهل البيت يصطاد للخدمة لا لما جرت به عادة الجوارح أن يصيدوا لنفوسهم وكان مقامه عند الوالد رحمه الله لا يتركه عند البازيار لان البازيار انما يحمل الباز في الليل ويجوّعه حتى يصطاد به وذلك الباز كان يكفي من نفسه ويعمل ما يراد منه فكنّا نخرج الى صيد الحجل ومعنا عدّة بزاة فيدفعه الوالد الى بعض البازياريّة ويقول اعتزلْ به ولا تُرْسِلْه بالحَمْلة وتسيّرْ في الجبل فكما خلوْا ابصروا حجلة لابدة منْ شجرة قد اعلموه بها يقول هاتوا اليحشور1) ساعة يقيم يده له قد طار من على يد البازيار وقع على يده بغير نَحْوٍ ثم يستشرف برأسه ورقبته فيقف على الحجلة النائمة ويرميها بقضيب في يده فتطير ويُرسَل عليها اليحشور2) فيأخذها في عشْرة اذرع وينزل اليه البازيار يدمج3) في رجله ويرفعه فيقول اعتزلْ به فاذا رأوا حجلة اخرى لابدة عمل بها ذلك حتى يصيد خمس ستّ حجلات كذا يأخذها في عشرة اذرع ثم يقول للبازيار اشبعْه فيقول له يا مولاى ما تدعه نتصيّد به يقول يا بنىّ معنا عشرة بزاة نتصيّد بها وهذا قد اصاد هذه الاطلاق يقطع عمره فيشبعه ويعتزل به البازيار فاذا انهيّنا في الصيد واشبعنا البزاة وحطّناها4) على الماء شربت واستحمّت واليحشور5) على يد البازيار فاذا استقبلنا البلد راجعين ونحن في الجبل قال هات اليحشور6) حمله على يده وسار ان طارت حجلة من بين يديه أُرسل عليها صادها حتى يصيد عشرة اطلاق او اكثر على قدر ما

1) Ms.: البحسور. 2) Ms.: البحسور.
3) Mot douteux; cf. p. ١٥٠, l. 9; peut-être يذبح.
4) Ms.: وحطناها; correctement وحططناها.
5) Ms.: والبحسور.
6) Ms.: البحسور.

يطير له من الحجل وهو شبعان لا يحطّ منسره فى مذبح حجلة ولا
يذوق دمها فاذا دخلنا الى الدار قال هاتوا طاسة ماء فجاءوا بطاسة
فيها ماء قدّمها اليه وهو على يده رحمه الله فيشرب منها وان كان
يريد يستحمّ خضخض منسره فى الماء فيُدرى انه يريد يستحمّ فيأمر
باحضار جفنة كبيرة فيها ماء ويقدّمه اليها فيطير ينزل فى وسطها
ويدقّ فى الماء حتى يكتفى من السباحة ثم يطلع فيحطّه على قُفّاز
خشب قد عُمل له كبير ويُقرب منه منقل نار فيتمشّق وينفّش حتى
ينشف من الماء ثم يضع 1) له فروٌ مَطوىّ فينزل اليه ينام عليه فلا
يزال بيننا على ذلك الفرو نائما حتى ينهوّر الليل ويريد الوالد يدخل
الى دار الحرم فيقول لاحدنا احمله فيُحمَل كما هو نائم على الفرو حتى
يُحَطّ الى جانب فراش الوالد 2) رحمه الله 3) وكان من عجائب هذا
الباز وعجائبه كثيرة وانا اذكر منها ما يحضرنى ذكره فانّ الامد قد
طال وانستْنى السنون كثيرا من احواله أن كان فى دار الوالد حمام
وطيور ماء خضر واناثها وبيضانيّات 4) من التى تكون بين البقر لتلقط
الذبّان من الدار وكان يدخل الوالد وهذا الباز على يده يجلس
على دكّة فى الدار والباز على قُفّاز الى جانبه فلا يطلب شيئا من
تلك الطيور ولا يثب اليها ولا كانها مما جرت عادته بصيدها
وكانت المياه تكثر فى ظاهر شيزر فى الشتاء فيصير برّا من سورها نقلع
كبثار 5) ماء وفيها الطيور فيأمر الوالد البازيار وغلاما معه أن 6) يخرجا

---

1) Ms.: يصع; correctement يوضع, le manuscrit donnant la vocalisation فروٌ.
2) Ms.: الولد.
3) Ms. sans الله.
4) Mot douteux; ms.: وبيضانات.
5) Mot douteux; ms.: كبيار.
6) Ms. sans أن; peut-être faut-il lire مخرجًا.

الى قريب من تلك الطيور ويأخذ اليحشور1) على يده ويقف به على الحصن يوريه الطيور وهو شرقىّ البلد والطيور غربيّها فاذا ابصرها ارسلة فينزل يشقّ على البلد حتى يخرج منه وينتهى الى الطيور فيدقّ له البازيار الطبل فتطير الطيور فيصيد منها وبينها وبين موضع أُرسل منه مسافة بعيدة وكنّا نخرج الى صيد طير الماء والدرّاج ونرجع بعد عتمة نسمع صوت طيور فى خلجان كبار بالقرب من البلد فيقول الوالد هات اليحشور2) فيأخذه وهو شبعان ويتقدّم الى الطيور يُدَقّ الطبل حتى تطير الطيور ثمّ يرميه عليها فان اصاد وقع بيننا نزل اليه البازيار دمج3) فى رجله ورفعه وان لم يصد4) وقع على بعض اكهاف النهر فما نراه ولا ندرى اين وقع فنخلّيه وندخل الى البلد ويصبح البازيار من سحر يخرج اليه يأخذه ويطلع به الى الحصن الى عند الوالد رحمه الله ويقول له يا مولاى قد صقل هذا لصقيع قباه5) طول الليل وقد اصبح يقطّ البولاذ6) فاركبْ ابصر ايش نعمل اليوم وما كان يفوت هذا الباز شىء من الصيد من السُّمانة الى الوزّ السمند والارنب وكان البازيار يشتهى ان يصيد به الكراكىّ والحرجل ما يتركه الوالد ويقول الحرجل والكراكىّ تصيدها بالصقور وكان هذا الباز قد قصر عمّا يعهده من صيده سنة من السنين حتى انه كان اذا أُرسل وأَخطأ لا يجىء الى الدعو وهو عاجز ولا يستحمّ ولا ندرى ما به ثمّ صلح عمّا كان من تقصيره وصاد واستحمّ يوما فرفعه البازيار من الماء وقد تفرّق ريشه بالبلل عن جانبه واذا فى جانبه سلعة فى قدّ اللوزة فاحضره البازيار بين يدى الوالد وقال يا مولاى هذه التى قصّرت بالباز وكادت تُهلكه

---

1) Ms.: المحسور. 2) Ms.: المحسور.
3) Mot douteux; cf. p. ١٤٨, l. 13; peut-être ذبح. 4) Ms.: يصيد.
5) Texte douteux depuis قد صقل jusqu'à قباه.
6) Les mots يقطّ البولاذ ont été lus par conjecture.

ثمّ مسك الباز وعصرها خرجت مثل اللوزة يابسة وخُتم موضعها وعاد اليحشور1) الى الطيور بالسيف والنطع، وكان شهاب الدين محمود بن قراجا صاحب حماة فى ذلك الوقت يُنفذ كلّ سنة يطلب الباز اليحشور2) يمضى اليه مع البازيار يقيم عنده عشرين يوما يتصيّد به ويأخذه البازيار ويعود فمات الباز بشيزر واتّفق اننى كنت قد زرت شهاب الدين الى حماة واصبحت يوما وانا بحماة وقد حضر القُرّاء والمكبّرون وخلق عظيم من اهل البلد فسألتُ من قد مات قالوا بنتٌ لشهاب الدين فاردت الخروج خلف الجنازة فاحكنى شهاب الدين ومنعنى وخرجوا قبروا الميّت فى تلّ صقرون3) فلمّا عادوا قال لى شهاب الدين تدرى من هو الميّت قلت قالوا ولد لك قال لا والله بل هو الباز اليحشور4) سمعتُ انه قد مات انفذتُ اخذته وعملت له تابوت5) وجنازة وقبرته فانه كان يستحقّ ذلك، وكان للوالد رحمه الله فهدة فى الفهود تمثّل اليحشور6) فى البزاة اصطادوها وهى وحشيّة من اكبر ما يكون من الفهود فاخذها الفهّاد وقرمها واسجابها7) وكانت تُركّب ولا تريد الصيد وكانت تُصرَع كما يُصرَع المصاب بعقله وتزبّد ويقدَّم اليها الخشف فلا تطلبه ولا تريده حتى اذا شمّته عضّته وبقيت كذلك مدّة طويلة نحو8) من سنة فخرجنا يوما الى الازوار9) فدخلت الجبل الى الزور وانا واقف فى فم الزور والفهّاد بهذه الفهدة قريب منّى فقام

1) Ms.: المحشور.
2) Ms.: المحسور.
3) Lecture douteuse; ms.: صعرون ou صسرون.
4) Ms.: المحسور.
5) Ms.: ىاسوت; correctement تابوتا.
6) Ms.: المحسور.
7) Ms.: واسحابها; mot douteux; cf. p. ١٥٤, l. 16.
8) Ms.: بحو; correctement نحوا.
9) Pour nos doutes sur ce mot, voir page ١٤٤, l. 20; ١٤٩, l. 20; etc.

من الزور غزال وخرج اليّ فدفعتُ حصانًا كان تحتى من اجود الخيل
أريد ارّته الى الفهدة وعاجله لحصان ندسه بصدره رماه فوثبت الفهدة
صادته فكانها كانت نائمة انتبهت وقالت خذوا من الصيد ما اردتم
فكانت مهما قام لها من الغزلان اخذتْه ولا يستطيع الفهّاد ضبطها
فتجذبه ترميه ولا تقف كما تقف الفهود فى طردها بل وقتَ أن
يقول قد وقفتْ تجدّد عدوًا وتأخذ 1) الغزال وصيدُنا بشيزر الغزال
الأدمى وهو غزال كبير فكنّا اذا خرجنا بها الى العلاة والارض الشرقيّة
وفيها الغزال الابيض لا نترك الفهّاد يركض بها حتى تُمكنها الّا تجذبه
ترميه وتغير على الغزلان كانها كانت تُرَى انهم خشوف لصغر الغزال
الابيض وكانت هذه الفهدة دون باقى الفهود فى دار الوالد رحمه
الله وله جارية تخدمها ولها فى جانب الدار قطيفة مطويّة تحتها
حشيش يابس وفى الحائط سكّة مضروبة يجىء الفهّاد بها من الصيد
الى باب الدار يحطّها وفيها المرتقَة 2) وتدخل الى الدار الى ذلك المكان
المفروش لها فتنام فيه وتجىء الجارية تربطها الى السكّة المضروبة فى
الحائط وفى الدار والله نحو من عشرين غزال أدمى وابيض وفحول ومعزى
وخشوف قد توالدت فى الدار فلا تطلبهم ولا تروّعهم ولا تزول عن
موضعها وتدخل الى الدار وهى مسيّبة فلا تلتفت الى الغزلان وشاهدت
الجارية التى كانت تدور بها وهى تسرّح جسمها بالمشط فلا تمتنع ولا
تنفر ورأيتها يوما وقد بالت على تلك القطيفة المفروشة لها وهى تتلتلها
وتضربها حيث بالت على القطيفة ولا تهرّ عليها ولا تضربها، ورأيتها
يوما وقد ثارت من بين يدى الفهّاد ارنبين 3) وقد لحقت الواحدة

1) Ms.: او تاخذ.

2) Mot douteux; le manuscrit présente de nombreux traits enchevétrés; peut-être المرفقة.

3) Ms.: ارسى; correctement ارنبان.

واخذتها وعضّتها بفمها وتبعت الاخرى فلحقتها وجعلت تضربها بيديها وفمها مشغول بالارنب الاوّلة فوقفت عنها بعد ان ضربتها بيديها عدّة ضربات ومصت الارنب، وحضر معنا في الصيد الشيخ العالم ابو عبد الله الطُّلَيْطِلِيّ النحويّ رحمه الله وكان في النحو سيبويه زمانه قرأت عليه النحو نحوا من عشر سنين وكان متولّى دار العلم بطرابلس فلمّا اخذ الافرنج طرابلس نقّذ الوالد والعمّ رحمهما الله استخلصا الشيخ ابا عبد الله هذا ويأنس الناسخ وكان قريب الطبقة في الخطّ من طريقة ابن البوّاب اقام عندنا بشيزر مدّة ونسخ للوالد رحمه الله ختمتين ثم انتقل الى مصر ومات بها، وشاهدت من الشيخ ابى عبد الله عجبا دخلت عليه يوما لأقرأ عليه فوجدت بين يديه كتب النحو كتاب سيبويه وكتاب الخصائص لابن جنّى وكتاب الايضاح لابى علىّ الفارسىّ وكتاب اللُّمَع وكتاب الجُمَل فقلت يا شيخ ابا عبد الله قرأتَ هذه الكتب كلّها قال قرأتُها لا والله الّا كتبتُها في اللوح وحفظتُها تريد تدرى خذ جزأ وافتحه واقرأ من اول الصفحة سطرا واحدا فاخذتُ جزأ وفتحتُه وقرأت منه سطرا فقرأ الصفحة باجمعها حفظا حتى اتى على تلك الاجزاء جميعها فرأيت منه امرا عظيما ما هو في طاقة البشر هذه جملة اعتراضيّة لا موضع لها من سياقة الحديث مثل هديّة[1] وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة وهو راكب في رجليه اقدام وفي الارض شوك كثير وقد ضرب رجليه أدماهما وهو مشغول ينظر صيد الفهدة ولا يحسّ بتألّم رجليه مشغول بما يراه من تسلّلها الى الغزلان وعدوها وحسن صيدها، وكان الوالد رحمه الله محظوظ[2] من الجوارح النادرة الفارهة وذلك أنها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجارح الفاره وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص

1) Lecture douteuse; peut-être هديّة.
2) Ms.: محظوظ; correctement محظوظا.

بيت احمر العينين فكان من افره البزاة فوصل كتاب عمّى تاج الامراء
ابى المتوّج مقلّد رحمه الله من مصر وكان مقامه بها فى خدمة الآمر
باحكام الله يقول سمعتُ فى مجلس الأفضل ذكر الباز الاحمر العينين
والأفضل يَستخبر المحدِّث عنه وعن صيده فنفّذه الوالد رحمه الله مع
بازباره الى الأفضل فلمّا حضر بين يديه قال له هذا هو الباز الاحمر
العينين قال نعم يا مولاى قال اىّ شىء يصيد قال يصيد السمانة
والحرجلة وما بينهما من الصيد فبقى هذا الباز بمصر مدّة ثم افلت
وراح وبقى سنة فى البريّة فى شجر الجمّيز وقُرنص فى البرّيّة ثم عادوا
اصطادوه فجاءنا كتاب عمّى رحمه الله يقول الباز الاحمر العينين ضاع
وقُرنص فى الجمّيز وعادوا اصطادوه وتصيّدوا به وقد أُرسل على الطير1)
منه مصيبة عظيمة، وكنّا يوما عند الوالد رحمه الله وقد جاءه انسان
من فلّاحى معرّة النعمان معه باز مقرنص مكسّر ريش الاجنحة والذنب
فى قدر2) العقاب الكبير ما رأيت قط بازا مثله وقال يا مولاى كنت
أُصلى للدّمّر بالنادوف3) فضرب هذا الباز على دَكمة فى النادوف4)
فاخذتُه وحملته اليك فاخذه واحسن الى الذى اهداه اليه ووصل
البازيار ريشه وحمله واستجابه5) واذا الباز صائد مطابق مقرنص بيت
قد افلت من الافرنج وقُرنص فى جبل المعرّة فكان من افره الجوارح
واشطرها، وشاهدت يوما وقد خرجنا معه رحمه الله الى الصيد وقد
استقبلنا على بعد رجلٌ معه شىء ما نتحقّقه فلمّا دنا منّا واذا معه
شاهين فرخ من اكبر الشواهين واحسنها وقد خمش يديه وهو حامله

1) Mot douteux.
2) Lecture incertaine.
3) Ms.: بالنادوف; mot douteux.
4) Ms.: النادوف; mot douteux.
5) Ms.: واستحانه; mot douteux; cf. p. ١٥١, l. 14.

فدلّاه ومسك سباقيْه ورجليه والشاهين مدلّى منشور الاجنحة فلمّا وصلنا قال يا مولاى اصطدت هذا الطير وقد جئت به اليك فسلّمه الوالد الى البازيار فاصلحه ووصل ما انكسر من ريشه ولم يخرج مخبره مثل منظره كان قد اتلفه الصيّاد بما عمل به والشاهين هو الميزان 1) ادنى شيء يعيّبه ويُفسده وكان هذا البازيار صانعا مجوّدا في اصلاح الشواهين كنّا نخرج من باب المدينة الى الصيد ومعنا جميع آلة الصيد حتى الشباك والقوس والمجارف والكلاليب لما يحتاج من الصيد ومعنا الجوارح والبزاة والصقور والشواهين والفهود والكلاب فاذا خرجنا من المدينة ادار شاهينين فلا تزال تدور على الموكب فاذا خرج احدهما 2) عن القصد تنحنح البازيار واشار بيده الى النحو الذى يريده فرجع والله الشاهين من وقته الى ذلك النحو ورأيته وقد ادار شاهينا على قطعة من الصلاصل نازلة فى مرج فلمّا اخذ الشاهينُ طبقته دقّ لها الطبل فطارت وانقلب عليها الشاهين ضرب رأس صلصلة قطعه واخذها ونزل فدرنا والله على ذلك الرأس ما وجدناه واثره قد وقع على بعد فى الماء لاننا كنّا بالقرب من النهر وقال له يوما غلام يقال له احمد بن مجير 3) لم يكن ممن يركب معه يا مولاى اشتهيتُ ابصر الصيد قال قدّموا لاحمد فرسا يركبه ويخرج معنا فخرجنا الى صيد الدرّاج فطار ذَكَرٌ ونضّ 4) كما جرت العادة وعلى يد الوالد رحمه الله اليحشور 5) فارسله عليه فطار مع 6) الارض 7) والحشيش يضرب صدره

1) Ms.: المبران.
2) Ms.: احدها.
3) Ms.: محير.
4) Le ms. semble porter. ونضّ ou وتنّر.
5) Ms.: الىحشور.
6) Lecture douteuse.
7) Ms.: الارض الارض deux fois.

والدرّاج قد ارتفع ارتفاعا كبيرا فقال له احمد يا مولاى وحياتك كان يتلاها 1) به حتى اخذه وكان يجيئه 2) من بلاد الروم الزغاريّة كلاب جياد ذكور واناث فكانت تتوالد عندنا وصيدها الطير طبعٌ فيها، شاهدت منها جروة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب الذى 3) مع الكلابزىّ فأرسل بازا على درّاجة فبنّجت فى غلقا فى جرف النهر فارسلوا الكلاب على الغلقا لتطير الدرّاجة وتلك الجروة واقفة على الجرف فلمّا طارت الدرّاجة وثبت الجروة خلفها من على ذلك الجرف فوقعت فى وسط النهر وما تعرف الصيد ولا صادت قطّ، ورأيت كلبا من هذه الزغاريّة وقد بنّجت حجلةٌ فى الجبل فى بُنْج 4) صعب وقد دخل اليها الكلب وابطأ ثمّ سمعنا حشكة فى داخل البُنْج 5) فقال الوالد رحمه الله فى البُنج 6) وحش وقد قُتل الكلب ثمّ بعد ساعة خرج الكلب يجرّ رجل ابن آوى وكان فى البُنج 7) قد قتله وجرّه اخرجه الينا، وكان الوالد رحمه الله سار الى اصبهان الى دركاه السلطان ملك شاه رحمه الله فحكى لى قال لمّا قضيتُ اشغالى من عند السلطان واردت السفر اردت أستصحب معى جارحا أتفرّج به فى طريقى فجاءونى ببزاة ومعها ابن عرس معلّم يُخرج الطيور من البُنج 8) فاخذت صقورا تصيد الارنب والحبارى واستصعبت مداراة البزاة فى تلك الطريق البعيدة الشاقّة، وكان عنده رحمه الله من الكلاب السلوقيّة كلاب جياد أرسل يوما

---

1) Ms.: ىتلاها; correctement يتلاهى.
2) Ms.: ىحىه.
3) Ms.: الدى; correctement التى.
4) Ms.: ىسح.
5) Ms.: النُسح.
6) Ms.: البُنج.
7) Ms.: البُنح.
8) Ms.: البُنج.

الصقور على الغزلان والارض غبّ مطر ثقيلةٌ بالوحل وانا معه صغير
على برذون لى وخيلهم قد وقفت من الركض فى الطين وبرذونى تحتى
عليه مستظهر وقد صرعت الصقورُ والكلاب الغزال فقال لى يا اسامة
الحَق الغزال وانزل امسك رجليه الى ان نجىء ففعلت ووصل هو
رحمه الله فذبح الغزال ومعه كلبة صفراء جواد يسمّونها الحمويّة قد
صرعت الغزال وهى واقفة واذا قطعة الغزلان التى اصطدنا منها قد
عادت عابرة علينا فاخذ رحمه الله قلادة الحمويّة وخرج يهرول بها حتى
رأتْ الغزلان وارسلها عليها اصطادت غزالا اخر وكان رحمه الله مع
ثقل جسمه وكبر سنّه وأنه لا يزال صائما يركض نهاره كلّه وكان لا
يتصيّد الّا على حصان او اكديش جواد ونحن معه اربعة اولاده نتعب
ونكِلّ وهو لا يُضعَف 1) بكَلّ ولا بتعب ولا يقدر وشاقى ولا صاحب
جنيب ولا حامل سلاح يقصر فى الركض على الصيد وكان لى غلام اسمه
يوسف معه رمحى ودرقتى ويجنّب حصانى فلا يركض على الصيد ولا
يتبعه فتحرّد الوالد عليه فعل ذلك مرّة بعد مرّة فقال له الغلام يا
مولاى ما ينفعك احد من الحاضرين والعياذ بالله مثل ابنك هذا
فدعْنى اكون خلفه بحصانه وسلاحه ان احتجْتَه وجدتَّه واحسبْ انى
ما انا معكم فما عاد يلومه ولا ينكر عليه كونه ما يركض على الصيد،
ونزل علينا صاحب انطاكية وقاتلنا ورحل عن غير صلح فركب الوالد
رحمه الله الى الصيد واخرُهم ما ابعد عن البلد فتبعتهم خيلنا فعادوا
عليهم والوالد قد ابعد عن البلد ووصل الافرنج الى البلد والوالد
قد طلع على تلّ سكّين 2) يراهم وهم بينه وبين البلد وما زال واقفا
على التلّ الى ان انصرفوا عن البلد وعاد الى الصيد، وكان رحمه الله

1) Lu par conjecture; le manuscrit est ici presque entièrement effacé.

2) Ms.: سكس.

يطرد البحامير فى ارض حصن الجسر فصرع منها يوما خمسة او ستّة على فرس له دهماء تسمّى فَرَس خُرْجِيّ 1) باسم صاحبها الذى اباعها كان اشتراها الوالد منه بثلاثمائة وعشرين دينارا فطرد اخر اليحامير فوقعت يدها فى حفرة مما يُحفَر للخنازير فانقلبت عليه كسرت ترقاته 2) ثم قامت ركضت قدر عشرين ذراعا وهو مطروح ثم عادت وقفت عند رأسه تنحب وتصهل حتى قام وجاءه الغلمان اركبوه فهذا فعل الخيل العربيّة 3) وخرجت معه رحمه الله الى نحو الجبل لصيد الحجل فنزل غلام له اسمه لُؤلُو رحمه الله لبعض شغله ونحن قريب من البلد من بكرة وتحته برذون فرأى ظلّ تركيبته اجفل منه فرماه وانقلب فركضت والله عليه انا وبعض الغلمان من بكرة الى بعد العصر الى ان الجيناه 4) الى جشّار فى بعض الازوار 5) وقام الجشاريّة مدّوا له الحبل وقبضوه كما يُقبَض الوحش واخذته وعدت والوالد رحمه الله واقف فى ظاهر البلد ينتظرنى ما يصيد ولا ينزل فى داره فالبراذين بالوحش اشبهُ ممّا هى بالخيل، حكى لى رحمه الله قال كنت اخرج الى الصيد ويخرج معى الرئيس ابو تراب حيدرة 6) بن قطرمة رحمه الله وكان شيخه الذى حفظ عليه القرآن وقرأ عليه العربيّة فكنّا اذا وصلنا موضع الصيد ننزل عن الفرس ونجلس على صخرة نقرأ القرآن ونحن نتصيّد حوله فاذا فرغنا من الصيد ركب وسار معنا فقال يوما يا سيّدنا انا جالس على صخرة واذا حُجيلة قد جاءت وهى تتهنكف

1) Ms.: فرس خرجى.
2) Ms.: برقاده; cf. p. ٨٤, l. 4.
3) Ms.: العربيه.
4) Ms.: الحيناه; correctement الجأناه.
5) Mot douteux; cf. p. ۱٤٤, l. 20; ۱٤٩, l. 20 etc.
6) Ms.: الربس ابو براب حيدره.

وهى معيبة الى تلك الصخرة التى انا عليها دخلتْ واذا الباز قد اتى
خلفها وهو بعيد منها فنزل مقابلى ولؤلؤ يصيح عينَك عينَك 1) يا
سيّدنا وجاء وهو يركض وانا اقول اللهمّ استرْ عليها فقال يا سيّدنا اين
الحجلة قلت ما رأيت شيئا ما جاءت الى هاهنا وترجّل عن فرسه ودار
حول الصخرة وطلّع تحتها 2) فرآها فقال اقول الحجلة هاهنا تقول لا
واخذها يا سيّدنا كسر رجليها ورماها الى الباز وقلبى ينقطع عليها،
وكان هذا لؤلؤ رحمه الله اخبرَ الناس بالصيد شاهدته يوما وكانت جاءتنا
من البرّيّة ارانب جالية فكنّا نخرج نصطاد منها شيئا كثيرا وكانت
ارانب صغارا حمرا 3) فشاهدته يوما وقد جلّى عشرة ارانب طعن
التسعة بألْبالة 4) اخذها ثمّ جلّى ارنبا عاشرة فقال له الوالد رحمه الله
دعها تقيموها للكلاب تتفرّج عليها فاقاموها وارسلوا عليها الكلاب
فسبقت الارنب وسلمت فقال لؤلؤ يا مولاى لو كنتَ تركتنى طعنتُها
واخذتها، وشاهدت يوما ارنبا قد ثوّرناها وارسلنا عليها الكلاب فانجحرت
فى ارض الحُبيبة 5) فدخلتْ كلبة سوداء خلفها فى المجاحر ثمّ خرجت
فى الحال وهى تتعوّص 6) ثمّ وقعت فماتت فما انصرفنا عنها حتى
تفسّخت وماتت وتهرّت 7) وذاك انها لسعتها حيّة فى المجاحر، ومن
عجيب ما رأيت من صيد البزاة اننى خرجت مع الوالد رحمه الله
عقيب مطر قد تتابع ومنعنا من الركوب ايّاما فامسك المطر فخرجنا
بالبزاة نريد طير الماء فرأينا طيورا مُرجة فى مرج تحت شرف فتقدّم

---

1) Lecture qui n'est pas tout-à-fait certaine.
2) Ms.: دحتها; peut-être بحثها.
3) Ms.: حمر.
4) Lecture douteuse; ms.: بالبالة ou باليالة.
5) Ms.: الحميبه.
6) Leçon douteuse; ms.: يتعوص.
7) Ms.: وتهرت; correctement وتهرّأت; cf. p. ١٣٥ l. 19.

الوالد ارسل عليها بازا مقرنص بيت فظلع مع الطيور اصاد منها ونزل فما رأينا معه شيئا من الصيد فنزلنا عنده واذا هو قد اصاد زرزورا وطبق كفّه عليه فما جرحه ولا اذاه فنزل البازيار خلّصه وهو سالم ، ورأيت من الوزّ السمند حميّة وشجاعة كحميّة الرجال وشجاعتهم وذلك اننا أرسلنا الصقور على رفّ وزّ سمند ودققنا 1) الطبول فطار ولحقت الصقور تعلّقت بوزّة حطّتها من بين الوزّ ونحن بعيد منها فصاحت فترحّل من الوزّ اليها خمسة ستّة طيور يضربون الصقور باجنحتها فلولا نبادرهم كانوا خلّصوا الوزّة وقصّوا اجنحة الصقور بمناقيرهم وهذا ضدّ حميّة الحُبارى فانها اذا قرب منها الصقر نزلت الى الارض وكيف دارت استقبلته بذنبها فاذا دنا 2) منها سلحت عليه بلّت ريشها وملأت عينيه وطارت وان اخطأته بما تفعله به اخذها ، ومن اغرب ما صاده الباز مع الوالد رحمه الله انه كان على يده باز غطراف فرخ وعلى خليج ماء عيمة 3) وهى طير كبير مثل لون البلشوب الّا انها اكبر من الكركيّ من طرف جناحها الى طرف جناحها الاخر اربعة عشر شبرا فجعل الباز يطلبه فارسله عليه ودقّ له الطبل فطار ودخل فيه الباز اخذه ووقعا فى الماء فكان ذلك سبب سلامة الباز والّا كان قتله بمنقاره فرمى غلام من الغلمان نفسه فى الماء بثيابه وعدّته مسك العيمة 4) واطلعها فلمّا صارت على الارض صار الباز يبصرها ويصيح ويطير عنها وما عاد يعرض لها ولا رأيت بازا سوى ذلك اصطادها فانها كما قال ابو العلاء بن سليمان فى العنقاء [من الوافر]

اری العنقاء تكبر أن تُصادا

1) Ms.: ودهما ; correctement ودققنا.
2) Ms.: دنى ; correctement دنا.
3) Ms.: عيمه.
4) Ms.: العيمه.

وكان الوالد رحمه الله يمضى الى حصن الجسر وهو كثير الصيد مقيم1)
فيه ايّاما ونحن معه نصيد الحجل والدرّاج وطير الماء والبحامير والغزلان
والارانب فمضى يوما اليه وركبنا الى صيد الدرّاج فارسل بازا يحمله
ويُصلِحه مملوك اسمه نقولا 2) على درّاجة ومضى نقولا يركض وراءه
وقد بنّج الدرّاج فى غلقا واذا صياح نقولا قد ملأ الأسماع وعاد يركض
قلنا ما لك قال السبع خرج من الغلقا التى وقع فيها الدرّاج فخلّيتُ
الباز وانهزمتُ واذا السبع ايضا ذليل مثل نقولا لمّا سمع اجراس الباز
خرج من الغلقا منهزما الى الغاب وكنّا نتصيّد ونعود ننزل على
بوشمير3) نهر صغير بالقرب من الحصن وننفذ نحضر صيّادى السمك
فنرى منهم العجب فيهم من معه قصبة فى رأسها حربة لها جُبّة مثل
الخشوت ولها فى الجبّة ثلاث شعب حديد طول كلّ شُعبة ذراع وفى
رأس القصبة خيط طويل مشدود الى يده يقف على جرف النهر وهو
ضيّق المدى ويبصر السمكة فيزرقها بتلك القصبة التى فيها الحديد
فما يُخطئها 4) ثمّ يجذبها بذلك الخيط فيطلع والسمكة فيها واخر من
الصيّادين معه عود قدر قبضة فيه شوكة حديد وفى طرفه الاخر
خيط مشدود الى يده ينزل يسبح فى الماء ويبصر السمكة يخطفها
بتلك الشوكة ويخلّيها فيها ويطلع ويجذبها بذلك الخيط يُطلِع الشوكة
والسمكة واخر ينزل يسبح ويُمِرّ يده تحت الشجر الذى فى الشطوط
من الصفصاف على السمكة حتى يُدخِل اصابعه فى خواشيم السمكة
وهى لا تتحرّك ولا تنفر ويأخذها ويطلع فكانت تكون فرجتنا عليهم
كفرجتنا على الصيد بالبزاة وتوالى المطر والهواء علينا ايّاما ونحن فى

---

1) Ms.: فعىم.
2) Ms.: ىقولا ici et dans les lignes suivantes.
3) Ms.: ىوشمىر.
4) Ms.: ىىحطها; correctement يُخْطِئُها.

حصن الجسر ثمّ امسك المطر لحظة فجاءنا غنائم البازيار وقال للوالد البزاة جياع جيّدة للصيد وقد طابت وكفّ المطر ما تركب قال بلى فركبنا فما كان باكثر من ان خرجنا الى الصحراء وتفتّحت ابواب السماء بالمطر فقلنا لغنائم انت زعمت انها طابت وصحتْ حتى اخرجتنا فى هذا المطر قال ما كان لكم عيون تبصر الغيم ودلائل المطر كنتم قلتم لى تكذب فى لحيتك ما هى طيّبة ولا صاحية وكان هذا غنائم صانع جيّد 1) فى اصلاح الشواهين والبزاة خبير 2) بالجوارح ظريف الحديث طيّب العشرة قد رأى من الجوارح ما يُعرَف وما لا يُعرَف خرجْنا يوما الى الصيد من حصن شيزر فرأينا عند الرحا الخلالىّ 3) شيعا واذا كركيّ مطروح على الارض فنزل غلام قلّبه واذا هو ميّت وهو حارّ ما برد بعد فرآه غنائم قال هذا قد اصطاده اللزيق 4) فتّش تحت جناحه واذا جانب الكركيّ منقوب وقد أُكل قلبه فقال غنائم هذا جارح مثل العوسق يلحق الكركيّ يلصق تحت جناحه ينقب اضلاعه ويأكل قلبه وقضى الله سبحانه انى صرت الى خدمة اتابك زنكى رحمه الله فجاءه جارح مثل العوسق احمر المنسر والرجلين جفون عينيه حمر وهو من احسن الجوارح فقالوا هذا اللزيق ما بقى عنده الّا ايّاما قلائل وقرض السيور بمنسره وطار، وخرج الوالد رحمه الله يوما الى صيد الغزلان وانا معه صغير فوصل وادى القناطر 5) واذا فيه عبيد حراميّة يقطعون الطريق فاخذهم وكتفهم وسلّمهم الى قوم من غلمانه يوصلونهم الى الحبس بشيزر فاخذت انا خشت 6) من بعضهم وسرنا فى الصيد واذا

1) Ms.: صابع حىد; correctement صانعا جيّدا.
2) *Sic;* correctement خبيرا.
3) Ms.: الحلالى.
4) Peut-être اللذيق; le manuscrit autorise les deux lectures.
5) Ms.: القماطر.
6) Ms.: حسىت; correctement خشتنا.

عانة حمير وحش فقلت للوالد يا مولاى ما ابصرت حمير الوحش قبل
اليوم عن امرك اركض ابصرهم فقال افعلْ وتحتى فرس شقراء من اجود
الخيل فركضت وفى يدى ذلك الخشت الذى اخذته من الحراميّة فصرت
وسط العانة فافردت منها حمارا وصرت اطعنه بذلك الخشت فلا يعمل
فيه شيئا لضعف يدى وقلّة مضاء الحربة فرددت الحمار حتى رددته
الى اصحابى فاخذوه وعجب الوالد ومن معه من عدو تلك الفرس فقضى
الله سبحانه اننى خرجت يوما اتفرّج على نهر شيزر وهى تحتى ومعى
مُقْرِئٌ يُنشد مرّة ويقرأ مرّة ويغنّى مرّة فنزلت تحت شجرة ودفعت
الفرس الى الغلام فعمل فيها شكال 1) وكان الى جانب النهر فنفرتْ
ووقعت فى النهر على جنبها وكلّما ارادت تقوم تعود تقع فى الماء لاجل
الشكال وكان الغلام صغير2) لا يقدر على تخليصها ونحن لا نعلم ولا
ندرى فلمّا قاربت الموت صاح بنا فجئناها وهى فى اخر رمق فقطعنا
شكالها واطلعناها فماتت وما كان الماء يصل الى عضدها الذى غرقت
فيه وانما الشكال اهلكها، وخرج يوما الوالد رحمه الله الى الصيد وخرج
معه امير يقال له الصمصام من اصحاب فخر الملك بن عمّار صاحب
طرابلس على سبيل الخدمة وهو رجل قليل المخبرة بالصيد فارسل
الوالد بازا على طيور ماء فأخذ منها طيرا ووقع فى وسط النهر فجعل
الصمصام يدقّ يدا على يد ويقول لا حول ولا قوّة الّا بالله كيف كان
خروجى فى هذا اليوم فقلت له يا صمصام تخاف على الباز ان يغرق
قال نعم قد غرّق بطّةً هو حتى يقع فى الماء ولا يغرق فضحكت
وقلت الساعة يطلع فأخذ الباز رأس الطير وسبح وهو معه حتى
طلع به فبقى الصمصام يتعجّب من ذلك ويسبّح الله سبحانه ويحمّده

1) *Sic;* correctement شكالا.
2) Ms.: صغير; correctement صغيرا.

على سلامة البازه ومنايا الحيوان، مختلفة الالوان، قد كان الوالد رحمه الله ارسل زرّقا ابيض على درّاجة فوقعت الدرّاجة فى غلقا ودخل معها الزرّق وفى الغلقا ابن آوى اخذ الزرّق قطع رأسه وكان من خيار الجوارح وافرهها، ورأيت من منايا الجوارح وقد ركبت يوما وبين يدىّ غلام لى معه باشق فرماه على عصافير فأخذ عصفورا وجاء الغلام دمّج 1) العصفور فى رجل الباشق فنفض الباشق رأسه وتقيّأ دما ووقع ميّتا والعصفور فى تلفه مذبوح 2) فسبحان مقدّر الآجال، واجتزت يوما من باب فتحناه فى الحصن لعمارة كانت هناك ومعى زربطانة فرأيت عصفورا على حائط انا واقف تحته فرميته ببندقة فاخطأتْه وطار العصفور وعينىّ الى البندقة فنزلتْ مع الحائط وقد أَخرج عصفور 3) رأسه من نقب فى الحائط فوقعت البندقة على رأسه فقتلته ووقع بين يدىّ فذبحته 4) وما كان صيده عن قصد ولا اعتماد، وارسل رحمه الله يوما الباز على ارنب قامت لنا فى زور 5) كثير الشوك فاخذها وانفرطت منه فجلس على الارض وراحت الارنب فركضت انا فرسا دهماء تحتى من جياد الخيل لاردّ الارنب فوقعت يد الفرس فى حفرة فانقلبت علىّ فلأتْ يدىّ ووجهى من ذلك الشوك وانفسختْ رِجْلُ الفرس ثم انتقل الباز من الارض بعد ما ابعدت الارنب لحقها اصادها فكانه كان قصده تلاف 6) فرسى وادْنيتنى بالوقوع فى 7) الشوك فاصبحنا يوما فى اوّل يوم من رجب صياما فقلت للوالد رحمه الله اشتهى اخرج انشاغل بالصيد عن الصيام قال اخرج فخرجت انا واخى بهاء الدولة ابو المغيث منقذ

1) Mot douteux; ms.: دمج.
2) Ms.: مدبوح; lecture incertaine, peut-être مدموج.
3) Ms.: عصفورا.
4) Lecture incertaine.
5) Lecture incertaine; voir p. ١٣٤, l. 20; ١٣٩, l. 20; etc.
6) Le ms. semble porter قلاف. 7) Mot peu lisible.

رحمه الله ومعنا بعض البزاة الى الازوار1) فدخلنا فى سوس فقام لنا خنزير ذكر فطعنه اخى جرحه ودخل ذلك السوس فقال اخى الساعة يكرّ به الجرح ويخرج استقبله اطعنه اقتله قلت لا تفعل يضرب فرسك يقتلها نحن نتحدّث والخنزير خرج يريد زورا2) اخر فالتقاه اخى طعنه فى سنامه انكسرت فيه عالية القنطاريّة التى طعنه بها ودخل تحت فرس شقراء مُجَبَّة عُشَراء محجّلة شعلاء ضربها رماها ورماه فامّا الفرس فانفسخت فخذُها وتلفت وامّا هو فانفكّت اصبعه الخنصر وانكسر خاتمه وركضتُ انا خلف الخنزير فدخل فى سوس مخصب وخنات فيه باقورة نائمة ما اراها من ذلك الغاب فقام منها ثوّر3) فى صدر حصانى فنطسه فوقعت ووقع الحصان وانكسر لجامه وقمت أخذت الرمح وركبت ولحقته وقد رمى نفسه فى النهر فوقفت على جرف النهر وزرقته بالرمح فوقع فيه وانكسر منه قدر ذراعين وبقيت الحربة وكسر الرمح فيه وسبح الى ناحية النهر فصحنا بقوم من ذلك الجانب يضربون لبنا لعمارة ببيوت فى قرية لعمّى فجاءوا ووقفوا عليه وهو تحت جرف لا يقدر يطلع منه فجعلوا يرمونه بالحجارة الكبار حتى قتلوه وقلت لركابىّ لى انزلْ اليه فقلع عدّته وتعرّا4) واخذ سيفه وسبح اليه تمّم قتله وسحب برجله واتى به وهو يقول عرّفكم الله بركات صيام رجب استفتحناه بنجس الخنازير، ولو كان للخنزير ظفر وناب مثل الاسد كان اشدّ بأسا من الاسد فلقد رأيت منها خنزيرة قد اقتناها عن جُريّات لها وواحد منها يضرب حافر فرس غلام معى بفمه وهو فى قدّ جرو القطّ فأخذ الغلام من تركشه نشّابة ومال اليه طعنه بها ورفعه فى

1) Lecture incertaine; voir p. ١٤٤, l. 20; ١٤٩, l. 20; etc.
2) Le ms. semble porter ذورا ou زورا; cf. note 1.
3) Ms.: ىور; lecture douteuse.
4) Ms.: وىعرا; correctement وتعرّى.

النشّابة فتعجبت من قتاله وضربه حافرا لفرس وهو بحيث يُحتمَل فى سهم نشّاب، كان من عجائب الصيد اننا كنّا نخرج الى الجبل الى صيد الحاجل ومعنا عشرة بزاة نتصيّد بها النهار كلّه والبازيارية مفترقة فى الجبل ومع كلّ بازيار فارسينّ 1) ثلاثة من المماليك ومعنا كلابزيان اسم الواحد بُطرس والاخر زرزور بادية 2) وكلّما ارسل البازيار على حجلة وبنّاجت قد صاحوا يا بطرس يعدو اليهم مثل الهجين كذلك النهار كلّه يعدو من جبل الى جبل هو ورفيقه فاذا اشبعنا البزاة ورجعنا اخذ بطرس قلاعة وعدا خلف واحد من المماليك ضربه بها اخذ الغلام قلاعة وضرب بطرس فلا يزال يطارد الغلمان وهم ركاب وهو راجل ويراميهم بالقلاع من الجبل الى باب المدينة ما كانه كان نهاره كلّه يعدو من جبل الى جبل، ومن عجائب الكلاب الزغاريّة انها ما تاكل الطيور ولا تأكل منها الّا روّوسها 3) وارجلها 4) التى ما عليها لحم والعظام التى قد اكلت البزاة لحمها وكان للوالد رحمه الله كلبة سوداء زغاريّة يضع الغلمانْ بالليل على رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهى لا تتحرّك ولا تزول حتى عمشت عيناها وكان الوالد رحمه الله يَحرد على الغلمان ويقول قد اعميتم هذه الكلبة ولا ينهون عنها واهدى الامير شهاب الدين مُلك بن سالم بن مُلك صاحب القلعة للوالد كلبة عروف 5) تُرسَل تحت الصقور على الغزلان فكنّا نرى منها العجب وصيدُ الصقور بالترتيب يُرسَل فى الاول المقدَّمُ فيعلق باذن غزال يضربه ويُرسَل العون بعده فيضرب غزالا اخر ويُرسَل العون الاخر فيفعل كذلك ويُرسَل الرابع

---

1) Ms.: فارسى; correctement فارسون.
2) Ms.: بادية.
3) Ms.: روسها.
4) Leçon donnée à la marge au lieu de رجليها dans le texte.
5) *Sic*; correctement عروفا.

كذلك فيضرب كلّ صقر منها على غزال فيأخذ المقدّم 1) لئن غزال ويُفرِده من الغزلان فترجع الصقورُ جميعها اليه وتترك تلك الغزلان التى كانت تضربها وهذه اللّبة تحت الصقور لا تلتفت الى شىء من الغزلان الّا ما عليه الصقور فيتّفق ان يظهر العقاب فتحلّ الصقور عن الغزال فيمضى الغزال وتدور الصقور فكنّا نرى تلك اللّبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور وهى تدور تحت الصقور فى الارض كما تدور الصقور فى الهواء حلقة ولا تزال تدور تحتها حتى تنزل الصقورُ الى الدعو فحينئذ تقف وتمشى خلف الخيل، وكان بين شهاب الدين مُلك وبين الوالد رحمهما الله مودّة ومواصلة بالمكاتبات والرسل فنفّذ اليه يوما يقول له خرجت الى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة الاف خشف فى يوم، وذلك ان الغزلان عندهم فى ارض القلعة كثير وهم يخرجون وقت ولاد الغزلان خيّالة ورجّالة فيأخذوا منها ما قد وُلد تلك الليلة وقبلها بليلة وليلتين وثلاث يقشّونها كما يُقشّ الحطب والعشب والدرّاج عندهم كثير فى الازوار2) على الفرات واذا شُقّ جوف الدرّاجة وازيل ما فيه وحُشى بالشعر لا تتغيّر رائحتها ايّاما كثيرة ورأيت يوما درّاجة قد شُقّ جوفها وأُخرجت فانصتها وفيها حيّة قد اكلتها نحوٌ من شبر وقتلنا مرّة ونحن فى الصيد حيّة خرج من جوفها حيّة قد بلعتها صحيحة دونها فتسبير3) ففى طباع جميع الحيوان اعتداء القوىّ على الضعيف [من الكامل]

والظُّلْمُ من شِيَمِ النفوس فإن تجِدْ ذا عِفّةٍ فلعلّةٍ لا يَظْلِمُ

حَصْرُ المُصيدِ ذكرَ الصيد وقد شهدته سبعين سنة من عمرى غيرُ ممكن

---

1) L'*alif* initial de المقدّم se devine plutôt qu'il ne se lit.
2) Sur ce mot, voir p. ١٤٤, l. 20; ١٤٩, l. 20; etc.
3) Ms.: فتسر; lecture douteuse.

ولا مستطاع وتضييع الاوقات فى الخرافات، من اعظم عوارض الآفات، وانا استغفر الله تعالى من تضييع الصُّبابة الباقية من العمر، فى غير طاعة واكتساب ثواب واجر، وهو تبارك وتعالى يغفر الخطيّة، ويجزل من رحمته العطيّة، فهو الكريم الذى لا يخيب آمله، ولا يُرَدّ سائله،

اخر الكتاب والحمد لله ربّ العٰلمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه وعلى آله الطاهرين اجمعين وسلّم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل

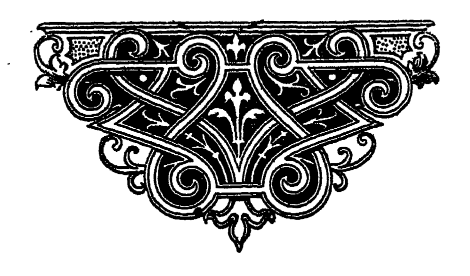
وكان فى اخر الكتاب ما مثاله قرأت هذا الكتاب من أوّله الى اخره فى عدّة مجالس على مولاى جدّى الامير الاجلّ العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين جليس الملوك والسلاطين حجّة العرب خالصة امير المؤمنين ادام الله سعادته وسألته ان يُجيزنى روايته عنه فاجابنى الى ذلك وسطر خطّه الكريم به وذلك فى يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشرة وستّمائة صحيح ذلك وكتب جدّه مرهف بن اسامة ابن منقذ حامدا ومصلّيا ✿

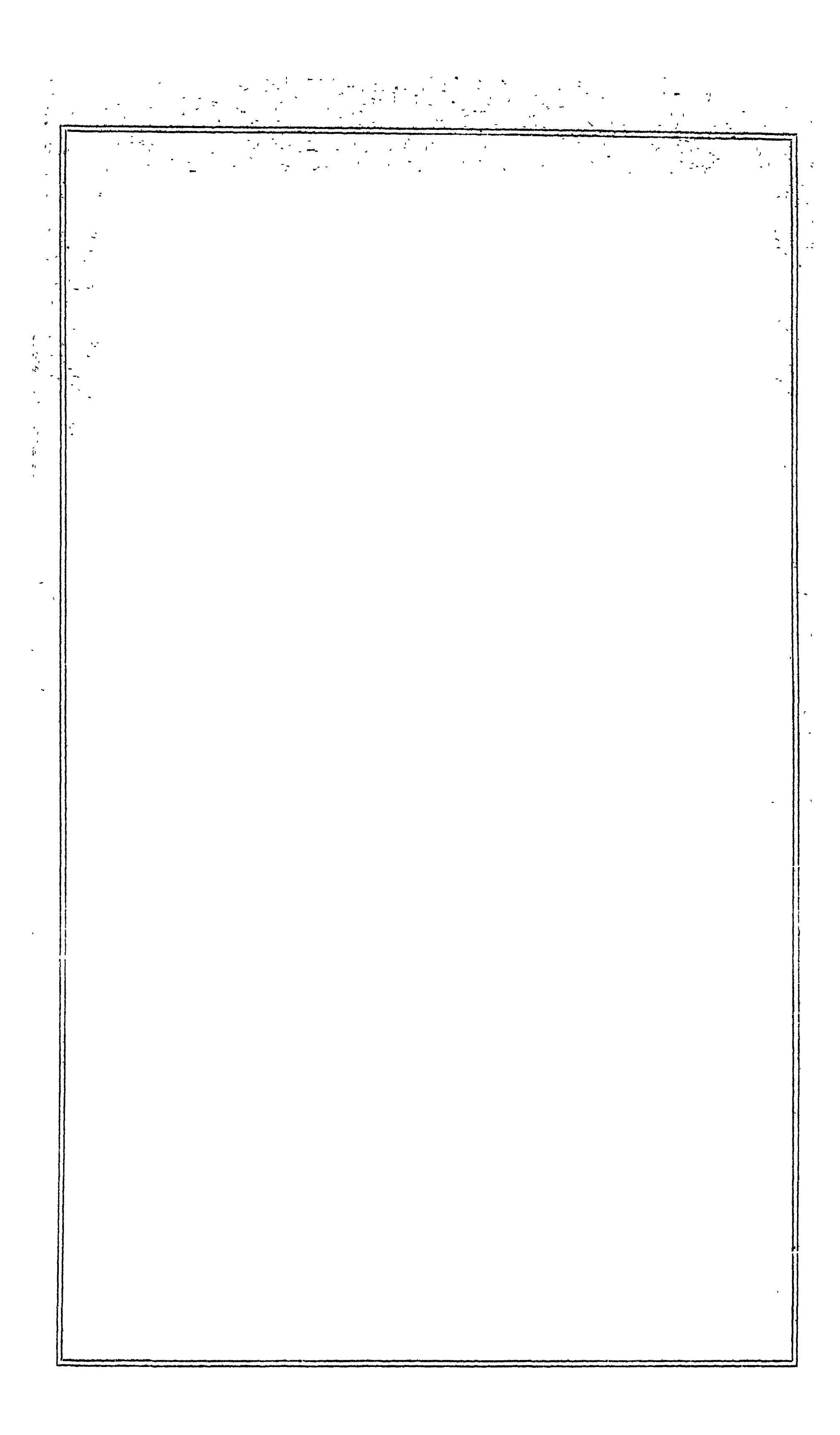


فهرست ما يتضمّنه كتاب الاعتبار من اسماء الرجال والنساء والحيوان



فهرست ما يتضمّنه كتاب الاعتبار من اسماء الاماكن والأُمم والقبائل والأنساب





qui auraient gagné en clarté, si l'orthographe en eût été plus transparente, ne tarderont pas à être groupés dans une courte monographie, dont le texte d'Ousâma aura fourni les éléments[1]. Je ne me suis pas dissimulé les difficultés de mon entreprise. On me saura gré, je pense, de les avoir affrontées courageusement, sans oublier d'une part, sans m'exagérer de l'autre mon insuffisance.

Paris, ce 11 décembre 1885.

---

répertoire de la littérature après un dépouillement exact et rigoureux des auteurs. Cette œuvre colossale mériterait d'occuper toute une génération d'orientalistes. Je ne répéterai pas à ce sujet ce que j'ai dit dans la *Revue critique d'histoire et de littérature* (1878, n° 4, I, p. 57 et suiv.) en exprimant mon admiration pour un « chef-d'œuvre » comme le *Arabic-english Lexicon* de M. Lane, mais en faisant des réserves absolues sur le plan adopté. Le sixième congrès international des orientalistes, tenu en 1883 à Leide, a réclamé l'entente des arabisants « pour la rédaction et pour la publication d'un dictionnaire arabe complet ». Voir *Actes du sixième congrès*, etc. *Première partie. Compte rendu des séances* (Leide, 1884), p. 79-80.

1) Dans le recueil de mélanges, que l'École des hautes-études (section des sciences historiques et philologiques) publiera prochainement en souvenir de son regretté président, Léon Renier.

devenu le feuillet 82. Grâce à cette intercalation, nous possédons sans aucune solution de continuité les feuillets depuis le vingt-deuxième jusqu'au quatre-vingt huitième et dernier. Toutes les recherches qui ont été tentées dans les divers pays de l'Orient musulman en vue de découvrir un autre exemplaire, qui permît de compléter l'ouvrage et de contrôler un certain nombre de passages douteux, sont demeurées infructueuses.

La constitution d'un texte à l'aide d'un seul manuscrit présente toujours de graves et sérieux inconvénients. Mais la situation de l'éditeur est encore aggravée, lorsqu'il doit lutter contre l'imperfection de l'écriture arabe et suppléer, par une sorte de divination, à l'omission dans un manuscrit unique de la plupart des points diacritiques[1]. Un moment j'avais songé à reproduire l'original dans un fac-simile photographique, ce qui aurait allégé ma tâche et laissé le champ libre aux lectures et aux interprétations des hommes compétents. L'état dans lequel nous est parvenu le premier feuillet (fol. 22) avec une large tache en diagonale qui s'étend presque de haut en bas et avec plusieurs mots effacés, m'aurait presque décidé à adopter ce parti extrême. Après mûre réflexion, je me suis résigné à encourir les rigueurs de la critique plutôt que de m'y dérober en reculant devant les responsabilités. Les noms propres m'ont causé des embarras que je ne me flatte pas d'avoir partout surmontés avec succès. Les termes de vénerie, pour lesquels nos dictionnaires sont par trop insuffisants, et qui naturellement sont très fréquents dans le récit des chasses auxquelles l'auteur dit avoir assisté pendant soixante-dix années de sa vie (fol. 79-88)[2], ont provoqué certaines conjectures, dont les progrès de la science lexicographique arabe, dans un avenir que j'espère prochain[3], démontreront la justesse ou la fausseté. Enfin quelques mots transcrits d'après « la langue des Francs », et

1) On peut se convaincre de ces trop nombreuses omissions en jetant un coup d'œil sur le fac-similé placé en face du titre.

2) Pages 139-168 du texte imprimé.

3) Le *Supplément aux dictionnaires arabes* de Dozy (Leide, 1881, 2 vol. gr. in-4°), est un premier acheminement vers un dictionnaire arabe, rédigé non plus comme une compilation extraite des lexiques indigènes, mais comme un vaste

liasse 1926. Ce feuillet précède immédiatement cinquante-six feuillets, qui sont demeurés réunis sous le numéro 1947 et qui contiennent la fin du manuscrit avec la souscription suivante[1] : « On lisait au bout du livre en propres termes : J'ai lu ce livre en quelques séances sous la direction de mon maître, mon grand-père, l'émir éminent, le chef parfait, 'Adoud ed-Dîn, l'ami des rois et des sultans, l'homme de confiance des Arabes, la créature de l'émir des croyants (puisse Allâh prolonger sa félicité !). Et je lui demandai de vouloir bien attester que j'avais exactement reproduit la tradition, dont il était détenteur. Il y consentit en ma faveur, et apposa son attestation autographe le jeudi treize de ṣafar, en l'an 610[2] : C'est la rédaction authentique ; je l'affirme, moi son grand-père Mourhaf, fils d'Ousâma Ibn Mounḳidh[3], en glorifiant Allâh et en lui adressant mes prières. » Voilà un certificat d'origine, émanant du fils de l'auteur, délivré vingt-six années musulmanes après la mort de celui-ci, qui rehausse singulièrement l'autorité de notre manuscrit. Remarquons en outre que la copie a été faite par un arrière-petit-fils d'Ousâma, désireux de rendre un pieux hommage à la mémoire de son illustre ancêtre.

Le premier des cinquante-six feuillets, groupés sous le numéro 1947, porte de nouveau à droite le titre comme précédemment, à gauche l'indication du cahier qui est « le quatrième ». Nous sommes donc en présence du feuillet 31. Il en est de même en tête des autres cahiers, du cinquième (fol. 41), du sixième (fol. 51), du septième (fol. 61), du huitième, dont le premier feuillet (fol. 71) provient, nous l'avons constaté[4], de la liasse 1922 et a été réintégré à sa place, du neuvième (fol. 81). Une lacune dans ce dernier cahier a pu être comblée par l'insertion d'un feuillet égaré, qui a été retrouvé à temps et qui est

1) Cette souscription est donnée à la page 168 du texte arabe.

2) Le 4 juillet 1213.

3) Mourhaf, fils d'Ousâma, est nommé par son père dans « l'Instruction par les exemples », voir p. 21, 97, 168. Il est l'objet d'une courte notice dans la *Kharîdat al-ḳaṣr*, fol. 117 r° ; cf. la table des matières contenues dans le manuscrit de Paris, rédigée par M. Gustave Dugat et insérée dans Dozy, *Catalogus codicum orientalium bibliothecæ academicæ Lugduno Batavae*, II, p. 246.

4) Plus haut, p. VII.

fut précisément la découverte du précieux document, dont j'ai entrepris la publication, l'étude et la mise en œuvre.

Neuf feuillets insérés dans la liasse cotée 1922 appelèrent tout d'abord mon attention. Huit d'entre eux se suivaient et j'ai reconnu plus tard que, s'ils ne constituent pas le commencement de l'ouvrage, ils s'en rapprochent le plus entre tous ceux qui ont été conservés. Quant au feuillet isolé, il me révéla le nom de l'auteur, le titre de l'ouvrage et la place que ce feuillet même avait occupée primitivement dans le manuscrit entier. En effet, on y lit à droite : *Al-I'tibâr li-Ibn Mounkidh* « L'Instruction par les exemples, de Ibn Mounkidh, » c'est-à-dire de l'émir Ousâma Ibn Mounkidh ; à gauche le nombre ordinal féminin singulier *thâmina* « huitième », signifiant que ce feuillet ouvre le huitième cahier du manuscrit. Les cahiers étant de dix feuillets, c'est le folio 71. Si courts que fussent ces deux fragments, je me rendis compte qu'ils se rapportaient aux croisades, j'y remarquai la mention des années 532 et 548 de l'hégire [1]; enfin j'y notai parmi les noms propres qui me frappèrent tout d'abord les Francs (qu'Allâh les maudisse !); Al-Malik Al-'Âdil; Ibn As-Sallâr, vizir du khalife Fâtimide d'Égypte; 'Abbâs ibn Abî 'l-Foutoûh; etc. Les pages, hautes de 0m,185, larges de 0m,14, sont en général de vingt-trois lignes [2]; l'écriture, pourvue très parcimonieusement de points diacritiques [3], a une allure très particulière, qui n'est pas sans analogie avec celle du style : à la fois légère et élégante, sans la lourdeur magrébine, avec la grâce de la calligraphie orientale. C'est ainsi que l'on devait écrire en Syrie et en Égypte pendant la première moitié du XIIIe siècle [4].

Un feuillet faisant suite immédiatement aux huit feuillets consécutifs du manuscrit 1922, avait été inséré dans la

---

1) 1137 et 1153 de notre ère.

2) Quelques pages ont jusqu'à vingt-cinq lignes.

3) Si les points diacritiques les plus indispensables à la clarté du texte manquent le plus souvent, par contre le *sîn* a quelquefois trois points au-dessous (ainsi au fol. 24 v°, 29 v°, etc.) par opposition aux trois points au-dessus du *schîn*.

4) L'écriture, avec les formes arrondies et pleines de ses lettres, ressemble beaucoup à celle de l'autographe d'Ibn Khallikân conservé au British Museum. Voir *The palaeographical Society. Facsimiles of ancient manuscripts. Oriental Series* Part III (London, 1878, gr. in-folio), planche XXXVIII.

celui où sa fantaisie les lui rappelle. On dirait qu'il veut trouver une consolation pour sa faiblesse d'aujourd'hui en faisant un retour sur sa vigueur d'autrefois. « Étonne-toi, dit-il, de voir ma main impuissante à manier le roseau pour écrire, après qu'elle a brisé les roseaux des lances dans les poitrines des lions [1]. »

Ce ne fut pas une des moindres surprises de mon séjour à l'Escurial en 1880 que d'y trouver, au milieu de tant de manuscrits arabes relatifs à l'Espagne et au nord de l'Afrique, les Mémoires d'un émir syrien, qui avait connu, jugé et apprécié les croisés de la première heure, ses contemporains. Mon étude des manuscrits décrits par Casiri était achevée, lorsque je résolus d'examiner au moins sommairement les volumes incomplets, les cahiers dépareillés, les feuillets détachés qu'on avait relégués à la suite comme étant de moindre importance. J'ai montré ailleurs [2] comment cette enquête me permit de retrouver à l'Escurial même la plus grande partie des manuscrits que les inventaires signalaient comme ayant disparu de l'Escurial. Mais un autre résultat de mes investigations à travers ces liasses, composées en général un peu au hasard de morceaux hétéroclites, qui ne sont même pas toujours d'un format identique,

1) Voir le texte arabe, p. 122. Ce même vers est cité par ʿImâd ed-Dîn, *Kharîdat al-ḳaṣr*, fol. 106 r°; Aboû Schâma, *Kitâb ar-raudatain* (éd. de Boûlâḳ) I, p. 114; Ibn Khallikân, *Biographical Dictionary* (trad. de M. de Slane) I, p. 178.

2) *Les manuscrits arabes de l'Escurial*, I, p. XVIII-XXII. Deux des manuscrits, dont j'avais perdu la trace, les manuscrits 1836 et 1838 (Casiri, 1831 et 1833) figurent sous les numéros 1276 et 1278 dans le catalogue de la bibliothèque de D. Antonio Conde, catalogue publié à Londres en 1824. Voir Fr. Codera dans le *Boletin de la real Academia de la historia*, VII (1885), p. 26. Un article récent du *Literarisches Centralblatt* de 1885 (n° 34, 15 août, col. 1151 et 1152), signé W. P. (Wilhelm Pertsch) considère le manuscrit 1838 comme la seule perte de quelque importance, qu'ait subie la bibliothèque de l'Escurial entre le catalogue de Casiri et le mien, entre 1770 et 1884. Et encore le manuscrit 1838 contenait-il l'abrégé de la chronique d'Aboû 'l-Fidâ, par Ibn Asch-Schiḥna, ouvrage qui est loin d'être rare dans les bibliothèques publiques d'Europe (voir l'énumération de M. W. Pertsch, *Die arabischen Handschriften der herzoglichen Bibliothek zu Gotha*, III (1881), p. 202 et la compléter par le *Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque nationale*, p. 290-291, n° 1537-1541). Ce qui atténue encore nos regrets sur la disparition du manuscrit, c'est que ce manuel d'histoire universelle a été publié à Boûlâḳ en 1290 de l'hégire (1873-1874 de notre ère), à la marge des tomes VII-IX de la chronique « parfaite » d'Ibn Al-Athîr; cf. (J. Euting) *Katalog der kaiserlichen Universitäts- und Landesbibliothek in Strassburg. Arabische Literatur* (Strassburg, 1877, in-4°), p. 46, n° 2060.

AVERTISSEMENT.

La biographie de l'émir Ousâma, qui forme la première partie du présent volume, aura, j'ose l'espérer, mis en pleine lumière la valeur et la sincérité de son témoignage. Rien de moins apprêté, de moins artificiel que sa manière de raconter ce qu'il a vu et entendu. Ses mémoires anecdotiques sont comme une série de feuilles volantes. Le livre n'a d'autre unité que la personne de son auteur, qui se met toujours en scène alors même que le décor change et que le lecteur se trouve transporté sans transition d'une page à l'autre de Schaizar en 1108 à Mauṣoul en 1169[1]. Un souvenir en évoque un autre chez ce vieillard de quatre-vingt-dix ans et plus, qui avait négligé d'écrire au fur et à mesure des événements le journal de sa vie et qui s'est ravisé alors que, courbé par l'âge, il ressemblait, selon sa forte expression, « à un arc dont son bâton de vieillesse eût été la corde[2] ». Il ne faut donc pas chercher dans *L'instruction par les exemples* (c'est le titre qu'il a donné à son livre[3]), la régularité et le plan d'une composition savante, mais s'abandonner au charme d'une causerie sans prétention, où le narrateur se complaît à relater les histoires de son passé sans autre ordre que

1) Voir le texte arabe, p. 52 et 53.

2) Ousâma, dans ʿImâd ed-Dîn Al-Kâtib, *Kharîdat al-ḳaṣr* (ms. arabe de la bibliothèque nationale, ancien fonds, nº 1414), fol. 105 vº.

3) En arabe : *Al-Iʿtibâr*. Ce sens du mot (voir le texte, par exemple, p. 120, l. 4 et 20 ; 121, l. 25 ; etc.) est emprunté au Coran LIX, 2. Cf. aussi la même acception du même mot dans le titre de la fameuse description du Caire par Al-Maḳrîzî, publiée à Boûlâḳ en 1853, 2 vol. pet. in-folio.

OUSÂMA IBN MOUNKIDH

UN ÉMIR SYRIEN AU PREMIER SIÈCLE DES CROISADES

(1095-1188)

PAR

HARTWIG DERENBOURG

PROFESSEUR D'ARABE LITTÉRAL

A L'ÉCOLE SPÉCIALE DES LANGUES ORIENTALES

DEUXIÈME PARTIE

TEXTE ARABE DE L'AUTOBIOGRAPHIE D'OUSÂMA

PUBLIÉ D'APRÈS LE MANUSCRIT DE L'ESCURIAL

PARIS

ERNEST LEROUX, ÉDITEUR

LIBRAIRE DE LA SOCIÉTÉ ASIATIQUE

DE L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES, ETC.

28, RUE BONAPARTE, 28

1886

وامر برد ديوانه عليه كما كان فما مضى الا الايام القلائل حتى اغار علينا السرداي
صاحب طرابلس ففزع الناس اليهم وجمال في جملة الروع ووقف على رفعة من الارض
مستقبل القبلة فحمل عليه فارس من الافرنج من غربيه فصاح اليه بعض اصحابنا يا جمال
الفارس فراى الفارس قد وصل فرد راس فرسه شمال ومسك زججه بيده وسدده الى
صدر الافرنجي مستقبلا [illegible] حصانه فطعنه بعد الرمح منه ورجع الافرنجي متعلقا
برقبة حصانه في اخر رمقه فلما انقضى القتال قال جمال لعمي يا امير لو ان جمال
في المسجد من كان طعن هذه الطعنة فذكرني قول [illegible] الرماني

اما طعنة ما شيخ كبير يفن بالي يقيم بالي
تفندت بما اذكره الشكه امثالي

وكان العبد قد كبر وحضر القتال فطعن فارسين مقتربين وقتلهما جميعا
وقد كان جرى لنا مثل ذلك وهو ان فلاحا من العلاة جاء يركض الى ابي وعمي
رحمهما الله قال شاهدت سرية افرنج ما تهين قد ضلوا [illegible] الرويه لو خرج
اليهم احد لغنمهم فركب ابي وعمي وخرجوا ما العسكر الى السرية الثابتة واذا
به السرداي صاحب طرابلس في ملثمانة ومائتي تركبولي وهم رجاله الافرنج فلما
راوا اصحابنا ركبوا خيلهم واطلقوا على اصحابنا فهزموهم وتبعوا طردوهم
فاخرف عليهم مملوك لوالدي يقال له صاقوت الطويل وابي وعمي رحمهما الله ينظران فيه
فطعن فارسا منهم الى جانبه فارس اخر [illegible] اصحابنا [illegible] الفارس والفرسين
وكان هذا الغلام كثير الخلط والمزاح لا يزال قد فعل فعله يجب ما ادبه عليها فكلما هم
والدي به وبادبه يقول عمي يا اخي بحياتي هب لي ذنبه ولا تنسى له تلك الطعنة فيصفح
عنه لكلام اخيه وكان جمال الذي تقدم ذكره طريف الحديث
حسن [illegible] والدي رحمه الله قال قلت لجمال ونحن سائرون في طريق اصفهان [illegible]
امر جمال اطلب اليوم شيا قال نعم يا امير [illegible] فلما [illegible]

FOLIO 36 VERSO DU MANUSCRIT DE L'ESCURIAL
REPRODUIT DANS LA GRANDEUR DE L'ORIGINAL D'APRÈS UNE PHOTOGRAPHIE
DE M. A. SELFA

(P. ٣٧ et ٣٨ du texte imprimé.)



ANGERS, IMPRIMERIE A. BURDIN ET Cie, RUE GARNIER, 4

PUBLICATIONS

DE

L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES

IIe SÉRIE. — VOL. XII (IIe PARTIE)

OUSÂMA IBN MOUNḲIDH

TEXTE ARABE DE L'AUTOBIOGRAPHIE D'OUSÂMA

